

وثائق ندوة السويس الدولية

معرفة السويس

[ثلاثون عامًا]

وثائق وشهادات تاريخية بأقلام :

محمد حسنين هيكل	أمين هويدي
محمد عزت كامل	مايكل فوت
أنثوني ناتنج	ديمتشونكو
ستيفن جريرين	كلود چوئيان
كيت كاسل	مارتن روبا
خليفة الجندي	أحمد عبد الرحمن



اللجنة المصرية لنظام
الصحافة العربية الليبية

دار الشروق

مركز
السوييس

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دارالشروق

القاهرة : ١٦ شارع جولد سيتي - هاتف : ٣١٢٤١٤ - ٣١٢٤١٥

بروكينا : فسوك - فكس : 8201 HHRK UN

بيروت : ص ب : ٨٠٩١ - هاتف : ٣١٨٨٤ - ٨١٧٣٥ - ٨١٧٣٢

بروكينا : فالسوك - فكس : BIKOIK 20175 L.2

محتويات الكتاب

صفحة

- ١ - مقدمة بقلم أحمد حمروش ٧
- ٢ - المحاضرون في الندوة ١٥
- ٣ - الجلسة الأولى :
 - كيف أدار ايدن أزمة السويس ؟ السير أتوني ناتج ١٧
 - كيف أدار عبد الناصر الأزمة ؟ الأستاذ محمد حسنين هيكل ٣١
 - مناقشات وتعقيبات ٥٣
- ٤ - الجلسة الثانية :
 - موقف الاتحاد السوفيتي من أزمة السويس .. د. ديمتشنكو ٨٣
 - حكومة الرئيس ايزنهاور والعدوان على مصر .. ستيفن جرین ٩١
 - مناقشات وتعقيبات ١٠٧
- ٥ - الجلسة الثالثة :
 - حزب العمال البريطاني والعدوان .. مايكل فوت ١٣١
 - مناقشة حول محاضرة مايكل فوت ١٤٩
 - فرنسا وأزمة السويس .. كلود جوليان ١٧٥
 - نقاش حول محاضرة كلود جوليان ١٩١
- ٦ - الجلسة الرابعة :
 - العرب وتأميم القناة .. أحمد عبد الرحمن ٢١٣
 - مناقشات حول محاضرة العرب وتأميم القناة ٢٢٣
 - تأميم القناة واستخدام القوة .. أمين هويدى ٢٣٥
 - مناقشات لحديث أمين هويدى ٢٤٥
 - تغير ميزان القوى العالمى وتأميم القناة .. بروفيسور مارتن روبا ٢٦٩

– العلاقة بين معركة الجزائر ومعركة السويس.. الجيندى خليفة..... ٢٨١

– مستقبل قناة السويس..... ٣٠٣

٧ – الجلسة الخامسة :

– العمل المشترك بين أمريكا وبريطانيا لمواجهة عبد الناصر.. كيث كايل . ٣١٥

– نتائج وتوقعات..... ٣٤٣

مُقَدِّمَة

كَلِمَة أَمْر مَحْمُودِش

رئيس اللجنة المصرية للتضامن الأفريقي الآسيوي
في افتتاح الندوة

يسعدنى ويشرفنى باسم اللجنة المصرية للتضامن أن أحياكم وأشكر لكم تفضلكم بالحضور للمشاركة فى هذه الندوة التى نعقدتها بمناسبة مرور ٣٠ عاما على تأميم قناة السويس ، هذا الحدث الكبير الذى أثر تأثيرا كبيرا فى ثوابت كانت راسخة ومتوارثة منذ كان الاستعمار والاحتلال .

وتأميم قناة السويس لم يكن قرارا له سوابق مماثلة ، بل كان فى الدول النامية فاتحة للقرارات التى تؤكد الاستقلال الوطنى ، وتعيد للشعب خيارات أرضه ، وتواجه ما يترتب على ذلك فى إصرار وصلابة .

تميز هذا القرار الذى أعلنه جمال عبد الناصر من ميدان المنشية بالاسكندرية ليلة ٢٦ يوليو ١٩٥٦ إلى جانب الجرأة والمفاجأة ، بأنه كان محل دراسة متأنية ... فهو لم يكن من باب زدود الفعل ، ولم يتقرر قبل صدوره بأيام أو أسابيع ... بل كان محل دراسة شاملة وعميقة ومتشعبة فى عدة اتجاهات .

وكان هذا القرار تعبيرا عن إرادة شعبية تطل بعض مظاهرها على الساحة السياسية وتفرض نفسها فى أشكال متنوعة ... كان الدكتور مصطفى الحفناوى على سبيل المثال قد تبنى هذه القضية ، فأصدر فيها كتابا تحمل اسم (قناة السويس) ... وكثيرا ما نشرت مقالات فى صحف مصرية مختلفة تنادى بعودة القناة لشعب مصر... وأذكر أن مجلة الهدف التى كانت تصدر عن إدارة التبعثة للقوات المسلحة نشرت على مدى عدة شهور عام ١٩٥٥ مقالات تحمل

اسم (هذه القناة ملكنا) فى وقت كانت منطقة القناة مازالت محتلة بالجنود البريطانيين ...

القضية كانت مثارة ومطروحة .. ولكن أكثر الناس تفاؤلا لم يتوقع صدور مثل هذا القرار الذى تباينت الآراء واختلفت حول أسباب صدوره .

هل كان ردا على سحب عرض تمويل بناء السد العالى ؟
هل كان رغبة فى إنهاء عقد امتياز شركة أجنبية لتحصل مصر على رسوم ملاحه لا يستهان بها ؟

هل كان ردا على السخرة التى تعرض لها المصريون الذين أجبروا على الحفر حتى طوت أتربة المنطقة عظام ١٢٠ ألفا من الفلاحين ؟
هل كان انتقاما من ديليسبس الذى تدخل فى شئون مصر فحمل إلى الخديوى إسماعيل فرمان السلطان العثمانى بعزله ، ثم كشف ظهر قوات أحمد عرابى بالسماح للقوات البريطانية بالمرور فى القناة ، فكان غدرا انتهى بالاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ ؟

هل كانت هذه هى الأسباب التى دفعت بجمال عبد الناصر إلى اتخاذ هذا القرار الجريء الذى سمع تحذيرا من عواقبه فى أحاديث مع عدد من الخبراء والزملاء المصريين ... أم أنه كانت هناك أسباب أخرى إلى جانب ذلك هى التى أنضجت اتخاذ القرار فى هذا التوقيت بالتحديد ؟

هذه الأسئلة وغيرها لاشك أنها سوف تجد إجابة وافية خلال جلسات الندوة بفضل الشخصيات المتميزة التى تفضلت بقبول المشاركة .

ونحن نعتز بأن بيننا اليوم صاحب السعادة السير انتونى ناتنج وزير الدولة البريطانى فى ذلك الوقت ، والذى اتخذ قراراً جريئاً عبر به عن موقفه الخاص فى رفض أن يكون العدوان هو الرد على إرادة وطنية وشعبية تبلورت فى تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس .

ونعتز أيضا بحضور مستر مايكل فوت الزعيم البارز فى حزب العمال والذى

شارك في المظاهرات التي قام بها الشعب البريطاني احتجاجا على العدوان وأصدر في ذلك ما سوف نقدمه مترجما إلى العربية .

وتقدم الندوة إلى جانب ذلك موقف كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرنسا إزاء هذا القرار ... وقد تفضل بالحضور الكاتب الأمريكي المعروف صاحب الكتب الهامة عن المنطقة ستيفن جرين الذي يفسر الموقف الأمريكي .. ويجلس معه على المنصة الكاتب السوفيتي ديمتشنكو عضو رئاسة تحرير البرافلا ليفسر الموقف السوفيتي ... كما تفضل بالحضور الكاتب الفرنسي الشهير كلود جوليان رئيس تحرير الموند ديبلوماسيك ليقدم لنا الموقف الفرنسي خلال الأزمة .

وقد حرصت اللجنة المصرية للتضامن على أن يكون للندوة صبغتها الدولية ، وأن يشارك فيها ممثلون للدول التي ارتبط الحدث بها بصفة مباشرة ... ومنها دول عربية مثل الجزائر التي كانت ثورتها الشعبية تتوهج وتزداد اشتعالا منذ بدأت في فاتح نوفمبر ١٩٥٤ ، ويقدم لنا ذلك الأستاذ خليفة الجنيدي عضو اللجنة التنفيذية في حزب جبهة التحرير الجزائرية .

ويشارك الجانب العربي في الندوة بالبحث الذي يقدمه كاتبنا الكبير القدير الأستاذ محمد حسنين هيكل الذي يتصادف عقد الندوة مع صدور كتابه الجديد (ملفات السويس) الذي بادرت الصحف العالمية والعربية إلى نشر مقتطفات منه ، وهو لم يظهر للجمهور إلا أمس فقط ... كما وقع الاختيار أن يتحدث باسم العرب ممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية التي وقع اختيارها على الأستاذ أحمد عبد الرحمن الناطق الرسمي باسم المنظمة ... كما أن الأستاذ أمين هويدى عضو مكتب اللجنة ووزير الدفاع والدولة السابق يتحدث إلينا عن تأميم القناة واستخدام القوة .

ولا يقتصر عمل الندوة على القاهرة فقط ، وإنما شاعت هيئة قناة السويس أن تدعو السادة الضيوف لزيارة الإسماعيلية لمشاهدة نجاح الإدارة المصرية

والتي سجلت للفنيين والإداريين والعمال المصريين خلال ٣٠ عاما، ونظرتها المستقبلية التي يقدمها لنا المهندس محمد عزت عادل الذي قام بدور معروف خلال التأميم وواصل عمله بكل الإخلاص والجدية إلى أن أصبح اليوم رئيسا للهيئة .

ويسرني أن يجلس بيننا اليوم بعض أعضاء أول مجلس إدارة مصرى شكل لإدارة هيئة قناة السويس ... نحييم لدورهم التاريخي كما ندعو بالرحمة لمن انتقل منهم إلى رحاب الله .

السادة الضيوف

الزملاء الأعزاء .

لعلى أطلت في وقت تتلهفون فيه لسماع شهادات الشخصيات البارزة المشاركة في الندوة وهي تتحدث إليكم .. ولكنى أستمحكم عذرا إذا أوضحت فقط أن المحاضر سوف يسترسل في حديثه كما يشاء ، وبعد ذلك تبدأ مرحلة التعقيب والأسئلة ، وضمانا لانتظام العمل وانضباط الوقت أرجو من كل راغب في الحديث أن يكتب سؤاله على أوراق توزع عليكم وتسلم إلى السكرتارية التي ترفعها إلى رئيس كل جلسة ... الذي يصبح من حقه كاملا أن يحدد الحديث في حدود الوقت حتى لا تتجاوز الجلسات موعدها وتختلط الأمور...

أما بالنسبة للزملاء الصحفيين فقد أعد لهم مركز صحفى لتسهيل مهمتهم وتنظيم لقاءاتهم مع المشاركين في الندوة على أن يقتصر حضورهم على الاستماع والتسجيل فقط وذلك إسهاما منهم في إتاحة الوقت للسادة المشاركين ..

السادة الضيوف

الزميلات والزملاء

أود أخيرا أن أؤكد لكم أن هذه الندوة ما كان يمكن لها أن تعقد لولا تشجيع لمستة من الرئيس محمد حسنى مبارك ، ومن السيد الدكتور عصمت

عبدالمجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الذي قدم لنا مساعدات
مشكورة... ولولا جهود مشكورة قام بها الزملاء من أعضاء اللجنة وخاصة
الأخ الأستاذ عبدالمجيد فريد رئيس مركز الدراسات العربية في لندن.
وأخيرا... لكم الشكر جميعا على تفضلكم بالحضور.

المحاضرون في الندوة

أنتوني ناتنج :

تخرج من كلية إيتون ثم من جامعة كامبردج ، وانتخب لعضوية مجلس العموم البريطاني ، وهو في الخامسة والعشرين ، وبقى عضوا بالمجلس من سنة ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٦ . وعين وزيرا للدولة للشئون الخارجية في حكومة المحافظين سنة ١٩٥٤ ، وظل وزيرا حتى عام ١٩٥٦ ، عندما استقال احتجاجا على العدوان . له كتب عديدة .

مايكل فوت :

رئيس حزب العمال البريطاني من عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٨٣ ، له كتاب مشهور صدر عام ١٩٥٧ بعنوان « رجال مذنبون » يتضمن وجهة نظره في حرب السويس ، وقد وصف تلك الحرب بأنها حرب امبريالية ضد شعب كل جرمته أنه يسعى لنيل حقوقه .

ستيفن جرين :

كاتب أمريكي معروف ، كتب عدة كتب في موضوعات تتناول قضايا الشرق الأوسط ، من أهمها كتابه عن العلاقات الأمريكية الإسرائيلية .

محمد حسنين هيكل :

من كبار الصحفيين المصريين ، وله سمعة عالمية ، عمل رئيسا لتحرير الأهرام ١٨ سنة ، وكان وثيق الصلة بالرئيس جمال عبد الناصر ، له عدة مؤلفات ، ترجم بعضها إلى عدد في اللغات العالمية .

ديمتشكو :

عضو بمجلس تحرير البرافدا السوفيتية ، عمل في مصر مرتين ، في المرة الأولى كان مراسلا لصحيفة البرافدا ، وفي المرة الثانية كان مراسلا للازفستيا ، له كتب عن قضايا الشرق الأوسط والعالم العربي وحرب الأيام الستة والعراق .

كيث كايل :

عضو المعهد الملكي للعلاقات الخارجية ، كان مراسلا للايكومونست سنة ١٩٥٦ في واشنطن . أحد القلائل المطلعين على خفايا « السويس » ، حيث قرأ أوراق المجلس القومي الأمريكي ومجلس الوزراء البريطاني والفرنسي والإسرائيلي الخاصة بأزمة السويس ، ويعد حاليا كتابا عن تأميم قناة السويس .

أمين هويدى :

أحد رجال ثورة ٢٣ يوليو ، تولى العديد من المناصب السياسية والعسكرية ، وعمل وزيرا للدفاع ورئيسا للمخابرات العامة ، لجمهورية مصر العربية .

مارتن روبا :

أستاذ التاريخ بأكاديمية العلوم بألمانيا الديمقراطية . وكاتب بارز ، له أكثر من كتاب يناقش القضايا العربية الراهنة ، والصراع العربي الإسرائيلي بشكل خاص .

أحمد عبد الرحمن :

مناضل فلسطيني وهو المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية .

الجنيدي خليفة :

أستاذ بجامعة الجزائر ، وواحد من المناضلين القدامى للثورة الجزائرية ، وله مؤلفات كثيرة عن قضايا الجزائر والعالم العربي .

كلود جوليان :

كاتب وصحفي فرنسي بارز ، ويرأس حاليا تحرير « الموند ديبلوماتيك » الفرنسية .

الجلسة الأولى :

رئيس الجلسة : أحمد حمروش

القسم الأول : كلمة انتوني ناتج وكلمة محمد حسين هيكل

كيف أدار إيدن أزمة السويس؟

كلمة السير أنتوني ناتج

وفي مطلع عام ٥٦ ، جاءت الضربة التي فاقت مرارتها كل شيء : طرد الجنرال جلوب من الأردن ، حيث كان وقتها رئيسا لأركان الجيش الأردني . وقد أنفقت معظم تلك الليلة - ليلة طرد جلوب - مع إيدن أحاول أن أحلل على أسس عقلانية تصرف الملك حسين بطرد ذلك الجنرال العجوز من رئاسة أركان جيشه ، ولكن إيدن أصم أذنيه عن كل هذا ، ولم يكن في ذهنه غير زعم واحد ، أن هذا هو من فعل عبد الناصر .

- لماذا كان إيدن مؤيدا في البداية لفكرة قيام أمريكا وبريطانيا بمساعدة مصر في بناء السد العالي؟
- أزمة السويس بدأت يوم أقال الملك حسين الجنرال جلوب من منصب رئيس أركان الجيش الأردني .
- اللحظة التي لم تتسع الدنيا بعدها لاثنتين معا إيدن وعبد الناصر في رأي ناتج .

كلمة السير أنتوني ناتنج :

حضرات السيدات والسادة . اسمحوا لي في البداية أن أنتهز هذه الفرصة لأشكر بحمارة اللجنة المصرية للتضامن على كرم ضيافتها وعلى دعوتها للاشتراك في هذه الندوة .. ولقد أعرب عبد المجيد فريد عن امتنانه لمايكل فوت ولى لقبولنا هذه الدعوة .. ولكنى أقول إن العكس هو الصحيح .. أن الامتنان هو من ناحيتنا .. وأنا واثق من أن مايكل فوت يشاركنى فى التعبير عن شكرنا للجنة المصرية للتضامن وللسيد حمروش لهذه الدعوة .. وللضيافة الرائعة التى أحطنا بها ..

وأظنك يا عبد المجيد كنت مبالغاً فى رفقك وكرمك نحوى .. وسأحاول أن أكون عند حسن ظنك لأستحق بعض ما أضفيته على .. وذلك بأن أوضح لبعض الذين لم يطلعوا على خلفيات الأحداث - وخاصة أولئك الذين لم يسعدهم الحظ بقراءة الكتاب الذى كتبتة عن هذا الموضوع - وعلى فكرة هذا الكتاب مازال معروضاً للبيع فى الأسواق وهذا إعلان عنه .

لقد بدأت أزمة السويس حقيقة فى اليوم الذى أقال فيه الملك حسين ملك الأردن الجنرال جلوب من منصبه كقائد للأركان فى الجيش الأردنى .. ذلك أنه فى هذا اليوم بالذات أعلن أنتونى ايدن حربه الشخصية ضد الرئيس جمال عبد الناصر .. هذه الحرب التى تصاعدت حتى بلغت ذروتها بغزو السويس .

قبل هذه الواقعة .. كانت مشاعر ايدن تجاه الرئيس عبد الناصر - فى اعتقادى - تتميز بالفضول أكثر منها ميلاً للعداء .. بل إن ايدن عندما كان وزيراً للخارجية كان يدافع بحماس وحرارة ضد العناصر العنيدة المتجمدة من

حزب المحافظين - وحتى في الأوقات التي كان فيها تشرشل نفسه موجودا - من أجل تسوية المسائل التي كان يجري التفاوض بشأنها مع مصر مثل مستقبل السودان المستقل .. ثم بالطبع على الأخص .. القضية الأكثر أهمية وهي انسحاب القوات البريطانية من قاعدة السويس .

وعندما استطاع إيدن أن يحقق إنجاز التسوية النهائية .. وبعد أن قمت بالتوقيع مع الرئيس عبد الناصر على اتفاقية ١٩٥٤ .. أذكر أن إيدن أصدر إلى تعلماته بأن أبقى في القاهرة .. وطلب مني أن أحادث عبد الناصر وأن أتعرف على مدى استعداده بعد أن أنهينا حقبة عتيقة وغير سعيدة من العلاقات بين بلدينا .. لوضع أسس مرحلة جديدة من الصداقة والتفاهم بيننا وفقا لروح الاتفاقية الجديدة .

وفي اعتقادي أن إيدن كان شديد السعادة والتفاؤل عندما قدمت له تقريرى بعد عودتى إلى إنجلترا وفيه أعرض انطباعى بأن عبد الناصر يريد أن يصل مع بريطانيا إلى أقصى حد ممكن من التعاون إلا فيما يتعلق بالتحالف العسكرى الذى أوضح لى أنه لا يمكنه الخوض فيه .. وخاصة بعد أن استطاع بالكاد أن يوقع اتفاقية للتخلص من وجود القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس .

بعد هذه المرحلة أعتقد أن الأمور انحدرت فى طريق خاطئ وسيئ .. ذلك أنه فى أعقاب الاتفاقية وأثناء زيارة إيدن للقاهرة ومقابلته لعبد الناصر .. أحس عبد الناصر - إن خطأ أو صوابا - أن إيدن كان يحاول أن يضعه فى ظله وأن يتعامل معه بعجرفة أو استعلاء .. وأنه وكأنه يمثل دور رجل الدولة العريق أمام كولونيل صغير حديث العهد بالسياسة وكأن الصدف وحدها قد جعلت منه قائدا لمصر الحديثة .

ثم حدث بعد ذلك أن أعلنت مصر فى أعقاب الغارة الإسرائيلية على غزة أنها وقد أخفقت فى الحصول على أية أسلحة من أمريكا ومن بريطانيا فإنها قد

أبرمت صفقة لاستيراد الأسلحة من تشيكوسلوفاكيا .

وقد يكون مستغربا حقا أن هذه الخطوة لم تستفز إيدن عن مساره وكان إيدن في ذلك الوقت كما نعرف قد أصبح رئيسا للوزراء وبذلك أصبح مسئولاً عن الشؤون الداخلية في بريطانيا إلى جانب مسئوليته عن إدارة سياستها الخارجية .

فتى الحزب المدلل

وإذا سمحتم لي أن أتطرق لحظة في أوضاع الوزارة وقتذاك - لأني أعتقد بأهمية ذلك - فقد كانت الجبهة الداخلية هي أول ما بدأ عليها علامات التدهور الحاد بعد فترة قليلة من تولي إيدن رئاسة الوزارة .

كان وزير الخزانة البريطانية قد قام بإعداد ميزانية شملت بعض التنازلات الضريبية الأمر الذي ساعد إيدن على الفوز في انتخابات عام ١٩٥٥ الأمر الذي لم يكن معروفا في السياسات البريطانية - ولكن هنا قد أدى إلى ما يسميه الاقتصاديون « إلى اشتعال حمى اقتصادية » مما حدا مستر بتلر إلى أن يقدم ميزانية أخرى في الخريف لتصحيح هذا الوضع المؤسف . وكان من الطبيعي أن تقوم المعارضة بمهاجمة رئيس الوزراء ووزير الخزانة متهمين إياهما بالسعي إلى الفوز في الانتخابات بتقديم وعود وتوقعات مزيفة .

وإلى جانب هذا فقد أضافت الاضرابات المزيد إلى مخاوف إيدن وسرعان ما تصاعدت الانتقادات ضده لافي الصحافة المعارضة فحسب بل وأيضا في صحافة حزب المحافظين متهمين إياه بالضعف والجهل بالمشاكل الداخلية .

كان إيدن شديد الخيلاء والتهيه بنفسه .. كان هو الفتى الذهبي المدلل لحزب المحافظين .. وتآلق كوزير للخارجية في حكومة المحافظين بعد أن أحرز سلسلة من المفاوضات الناجحة .. والتسويات الموفقة في أوروبا وفي الشرق الأوسط بل وفي الشرق الأقصى .. ومن ثم فلم يكن معتادا على أن يواجه بمثل هذا

الانتقاد .. ولم يكن قد تمرس على مواجهة الأساليب الحشنة والانتقادات السياسية الفظة .. ولذلك فقد جرحت هذه الانتقادات كبريائه وغروره .. لقد كان بالفعل رجلا شديد الغرور والاعتداد .. لذلك حقيقة أصابته هذه الانتقادات بجرح غائر في كبريائه .. ولم يكن مستعدا لأن يواجه أو يتحمل مثل هذا الهجوم ..

ثم يأتي فوق ذلك كله - إلى جانب متاعبه حيال الجبهة الداخلية التي تدهورت تحت قيادته .. جاءته هذه المتاعب والمشاكل من هذا الجزء من العالم .

غضب إيدن للهجوم الذي صبته مصر على العراق بسبب انضمامها إلى بريطانيا في حلف بغداد .. هذا الهجوم المصري الذي امتد إلى بريطانيا نفسها لمحاولتها ضم الأردن إلى هذا الحلف .. ولكنه على الرغم من ذلك فقد واصل إيدن تأييده لفكرة قيام بريطانيا وأمريكا مع البنك الدولي بتمويل ومساعدة مصر في بناء السد العالي .. لا لأنه كان يستهدف مساعدة مصر أساسا .. ولكنه كان يريد بذلك أن يحول دون قيام الروس بمساعدة مصر في بناء ذلك السد .
وإني لأتذكر أنه كان يكرر على مسامعي قوله « بأى ثمن يا عزيزي انتوني يجب أن تبعد اللب الروسي عن وادي النيل ! .. » وكانت هذه هي الجملة المحببة عنده ..

طرد الجنرال جلوب :

نعم كانت هذه هي الحالة حتى أشرفنا على نهاية عام ١٩٥٥ .. ولم يكن إيدن حتى ذلك الوقت قد استطاع أن يجدد موقفه من عبد الناصر .. لم يكن واثقا منه .. وكان يشعر بالمرارة لرد الفعل المصري تجاه حلف بغداد .. كما لم تكن مرارته أقل تجاه حملة مصر على العراق .

ولكن في مطلع عام ١٩٥٦ جاءت الضربة التي فاقت مرارتها كل شيء :

طرد الجنرال جلوب من الأردن حيث كان وقتها رئيسا للأركان في الجيش الأردني ..

هذه الواقعة التي التقطها معارضو إيدن لمهاجمته زاعمين أنه حتى في مجال تخصصه وهو السياسة الخارجية .. بل وفي أخص مجالاته وهو الشرق الأوسط قد لحفته الهزيمة .. وبدأ الانهيار يدب حتى في هذا المجال ..

ولقد أمضيت معظم تلك الليلة - ليلة طرد جلوب - مع إيدن أحاول أن أحلل على أسس عقلانية تصرف الملك حسين بطرد ذلك الجنرال العجوز من رئاسة أركان جيشه .. ولكن إيدن أصم أذنيه عن كل هذا .. ولم يكن في ذهنه غير زعم واحد : « أن هذا هو من فعل عبد الناصر ! ! .. » .

ومنذ تلك اللحظة حتى النهاية لم تعد الدنيا تستطيع أن تتسع لاثنتين معا : إيدن وعبد الناصر ! ! ..

في تلك الليلة أعلن رئيس الوزراء إيدن « حربه الشخصية » على الرئيس عبد الناصر .. تلك الحرب التي بلغت ذروتها بمأساة السويس .. بل إن إيدن قد ذهب إلى أبعد من ذلك .. فقد قرر أن يرتدى عباءة سلفه ونستون تشرشل - بكل ما يحتويه هذا التعبير من أبعاد - فتخلى عن دور « الدبلوماسي » لكي يتقمص دور « المحارب » ..

وتصاعد العنف في سياسة بريطانيا في الشرق الأوسط .. وكان أول الضحايا لهذه السياسة .. المفاوضات التي كانت تجري بتقدم في قبرص مع الأسقف مكاريوس .. فكان أن قبض عليه ونفى إلى سيشل وعززت القوات البريطانية في قبرص بقوات أخرى أرسلت إليها للمشاركة في حرب ضد الجنرال جريفاس لم يكن هناك أي أمل للنصر فيها ..

وعلى الجانب من هذه التشنجات .. ظل إيدن خلال الأشهر الخمسة التالية عاجزا عن أن يجد أية فرصة ليضع حربه المعلنة ضد عبد الناصر موضع

التنفيذ .. وكان عليه أن ينتظر حتى حل شهر يوليو ٥٦ عندما قام المستر جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية باستدعاء السفير المصرى فى واشنطن وأبلغه قرار الولايات المتحدة الأمريكية بسحب عرضها لتمويل السد العالى .. وسارع ايدن فاقتدى بدالاس وبالطبع سقط بالتالى عرض البنك الدولى لتمويل السد .

وكلنا نذكر ما حدث فبعد سبعة أيام أعلن جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس .

وظن ايدن أن الفرصة التى كان يبحث عنها قد جاءتة ! .
ولكن هل جاءتة الفرصة حقيقة ؟ ! ..

لقد أعد خطته العسكرية مع فرنسا لمهاجمة مصر - تلك الخطة المشهورة باسم موسكيتير - ولكن ناصر لم يعطه أية فرصة ليتخذها مبررا لتنفيذ هذه الخطة ! .

فلا تعطلت أية سفينة فى القناة أو توقفت على الرغم من أن السفن البريطانية والفرنسية وسفن بأعلام أخرى - تحت ضغط بريطانيا وفرنسا - ظلت تدفع رسوم المرور فى القناة إلى الشركة القديمة وليس إلى الهيئة المصرية .

لم تتوقف أية سفينة ولم يجل دون أية سفينة ودون العبور فى القناة .. ولم يقع أى ضرر على أى من الرعايا البريطانيين فى منطقة القناة وفى قاعدة القناة .. أو فى أى مكان آخر فى مصر .. لا ضرر ولا إساءة ..

وهكذا أسقط فى يدى ايدن الذى لم يجد أى مبرر يتعلل به لتنفيذ خطته العسكرية ومن ثم أخذ يبحث عن وسائل أخرى للضغط على مصر ..

جى موليه وإسرائيل :

دعيت القوى البحرية إلى « مؤتمر لندن » . وذهب مستر متريس رئيس وزراء استراليا إلى مصر فى أوائل سبتمبر حاملا مقترحاتهم بإنشاء مجلس أو هيئة

دولية لإدارة القناة ولكن بلا جدوى .. لأن عبد الناصر قال إن هذا الاقتراح يعود بنا إلى النظام الدولي القديم للقناة ولكن بقاعدة أوسع ..

وعلى نفس المنوال جرى الأمر في الأمم المتحدة وانتهت المناقشات بفيتوروسى في مجلس الأمن ضد قرار مماثل وضع إرضاء لبريطانيا وفرنسا .

وأصاب هذا كله إيدن بالإحباط .. ولكن مالم يكن يدريه بالطبع في ذلك الوقت هو أن فرنسا بدأت تخطط لحسابها حلا عسكريا للقضية باستخدام إسرائيل على أساس أن تهاجم مصر وتتخذ فرنسا من الهجوم ذريعة للتدخل العسكرى بدعوى إنقاذ القتال من القتال بين الجانبين .. تلك كانت الذريعة ..

كان جى موليه - رئيس وزراء فرنسا مقتنعا - تماما مثل أنتونى إيدن - بأن كل متاعبة في العالم العربى كان سببها عبد الناصر .. وأنه إذا أمكن إزاحة عبد الناصر فإن ثورة الجزائر - والتي اشتعلت زهاء سنتين - سرعان ماتوقف .. وأن الجزائريين سوف يهدأون ويعيشون في سعادة تحت الحكم الفرنسى وأن المشكلة كلها سببها خطيئة ناصر .

ومن ثم فقد كان جى موليه تواقا مثل إيدن للالتجاء للحل العسكرى في هذه الأزمة .. ولكن المشكلة كانت هناك .. سرعان مابرزت في المحادثات بين الفرنسيين والاسرائيليين .. فقد فرض الاسرائيليون شرطا أساسيا وقاطعا .. الأمر الذى جعل فرنسا عاجزة عن مواجهة الموقف وحدها .

لقد أصر بن جوريون لإصرارا لاتراجع عنه : أنه إذا ما كانت إسرائيل ستهاجم مصر فإنه لابد مقدا أن « تزاح وتستأصل » قوة ناصر الجوية .. كانت هذه هى كلماته « تستأصل » .. وإلا فإنه يخشى أن مدن إسرائيل سوف تسوى بالأرض بواسطة قاذفات الأليوشن التى يملكها ناصر ..

وفرنسا لم تكن تملك القيام بهذا العمل .. فرنسا لم تكن تستطيع أن تضرب

مصر بالتقابل من القواعد الفرنسية .. كانت هذه القواعد بعيدة - حتى تلك التي في الجزائر- وهذا يعني أنه لابد من إدخال بريطانيا في العملية .. حيث أن لبريطانيا قواعد في قبرص وهي قريبة بما فيه الكفاية لأداء هذه المهمة ..

وهكذا .. في ١٤ من أكتوبر .. وفد إلى بريطانيا مبعوثان فرنسيان ليضعوا الأمر بين يدي إيدن .. المسيو جازيه الذي كان وزيرا للخارجية بالنيابة في فرنسا والجنرال شال الذي لعب فيما بعد دورا مشهورا مشينا في حركة الجيش السرى الجزائري .

وصل مسيو جازيه والجنرال شال إلى تشيكرز (المقر الرفي لرئيس وزراء بريطانيا) في سرية ليقدما إلى إيدن فكرة استخدام إسرائيل في إيجاد الذريعة لتبرير التدخل العسكى الأنجلوفرنسى ضد مصر .. هذه الذريعة التي كان يتوق إليها منذ شهر يوليو ..

وهكذا وجد إيدن أخيرا فرصته الذهبية .. فتلقفها وتثبت بها بكلتا يديه ..

اجتماع لم يتم

ولكن الشيء الغريب - والحزن في نظرى - أنه في تلك الأثناء .. وفي نيويورك .. - وقبل يومين فقط من وصول المبعوثين الفرنسيين إلى تشيكرز - كان سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا وكريستيان بينو وزير خارجية فرنسا قد توصلا بحضور المستر داج همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة إلى الخطوط العريضة لاتفاق مع الدكتور محمود فوزى .. يعطى لبريطانيا وفرنسا - بصورة واقعية وعملية - كل ما يحتاجانه من الضمانات التي تؤكد أن قناة السويس ستظل تدار في المستقبل وفق احتياجات الدول المستخدمة لها .. وأن هذه الخطوط العريضة للاتفاق سيجرى صياغتها والتوقيع عليها في اجتماع يعقد في جنيف ..

ومن الغرب أن الموعد الذى اتفق على عقد هذا الاجتماع فيه كان هو ٢٩ أكتوبر.. هذا اليوم المشهود ٢٩ أكتوبر بالذات !!..

ومفهوم طبعاً .. أنه لا إيدن .. ولا موليه .. كانا يريدان اتفاقاً .. كان كل منهما يريد نصراً .. وفى الخطة التى توأطأ الفرنسيون مع الإسرائيليين على إعدادها .. وجد إيدن وموليه ما يعتقدان أنها الفرصة لتحقيق ذلك النصر! .. بعد يومين من الزيارة الفرنسية - وقبل عودة سلوين لويد من نيويورك - دعا إيدن بعض أخصائه من الوزراء المتعاطفين مع ميوله إلى اجتماع لدراسة الخطة الفرنسية ..

وقد حضرت أنا شخصياً هذا الاجتماع .. وجادلته بعنف .. وعارضت هذه الخطة قائلاً إنها غير أخلاقية من الناحية السياسية .. وأنها خطة خرقاء تماماً عارية من التعقل .. فى الوقت الذى أصبح فيه بين أيدينا اتفاق يكاد يكتمل .. وقلت أيضاً إننا لانستطيع أن نفلت من مغبتها بالتظاهر بأننا نرسل قواتنا لإيقاف حرب نحن أنفسنا قد أشعلناها .. ثم نضرب بقنابلنا المعتدى عليه بدلاً من أن نضرب المعتدى .. منتهكين بصورة فاضحة كل التزاماتنا الدولية وعلى الأخص تلك المعاهدة التى وقعتنا بنفسى مع ناصر منذ عامين فقط ..

ولقد حدث أن وصل سلوين لويد مع نهاية الاجتماع .. وعلى الرغم من أنه فى البداية قد وافقنى على وجهة نظرى .. إلا أن إيدن استطاع فيما بعد أن يدير رأسه .. وأخذ الإثنان بعد ظهر ذلك اليوم طريقهما سوياً إلى باريس ليعلنا للفرنسيين موافقتنا على الخطة وأننا سننضم إليهم فى تنفيذها ..

وفى الأسبوع التالى عقد اجتماع خارج باريس فى « سيفر » التى فيه سلوين لويد مع بن جوريون وآخرين من الجانب الاسرائيلى .. ولقد بدأ لبعض الوقت أن الخطة لن يمكن تنفيذها ..

كان بن جوريون متشككاً فى بريطانيا إلى حد بعيد وأحس - وكان محقاً فى إحساسه - أن سلوين لويد لم يكن متحمساً تماماً للخطة الفرنسية .

مطلب بن جوربون

وقال بن جوربون إنه لا يريد أن يتورط في نزاع السويس والذي وصفه بأنه نزاع بين بريطانيا وفرنسا وبين مصر.. الأمر الذي لايعنى إسرائيل في شيء.. وذهب بن جوربون إلى أبعد من هذا عندما أصر على أنه إذا ما كانت إسرائيل ستشارك في العملية وتقبل أن تمثل دور الذريعة لتبرير التدخل البريطاني الفرنسي فإنه لا بد أولاً أن يجرد عبد الناصر من قوته الجوية وأن تستأصل قاذفات القنابل الاليوشن التي في حوزته على أن يتم ذلك بمجرد أن تجتاز القوات الاسرائيلية حدود مصر... بل في نفس اللحظة التي تجتاز فيها القوات الاسرائيلية هذه الحدود..

واعترض سلوين لويد بأن هذا المطلب سيطيح بالخططة من أساسها.. وأنه يجب أن يكون هناك فاصل زمني يتيح لمصر أن ترفض إنذارنا ومطالبتنا بأن تسحب قواتها وقوات إسرائيل من قناة السويس ومن ثم تتح للقوات الانجلوفرنسية العذر للتدخل..

ولكن بن جوربون ظل يصر على ضرورة التعجيل بضرب القواعد الجوية المصرية بمجرد بدء إسرائيل العمليات.. ولكنه في النهاية وافق على مده ثمان وأربعين ساعة كفترة فاصلة..

وهكذا.. وبعد هذا التفاهم وضعت الخطة الثلاثية موضع التنفيذ..

هاجمت إسرائيل يوم ٢٩ أكتوبر.. اليوم الذي كان مفروضاً أن يلتقي فيه سلوين لويد مع محمود فوزى في جنيف ليعملا على أن يصبح هيكل الاتفاق الذي توصلا إليه في نيويورك اتفاقاً نهائياً..

هاجمت إسرائيل يوم ٢٩ أكتوبر.. وقامت بريطانيا وفرنسا بمطالبة الجانبين المتحاربين بالانسحاب عشرة أميال بعيداً عن قناة السويس لكي تتيح للقوات الانجلوفرنسية أن تحتل منطقة القنال..

في هذا الوقت الذي كانا يطالبان فيه الاسرائيليين والمصريين بالابتعاد لم تكن القوات الإسرائيلية قد وصلت بعد إلى منطقة القناة .. وهكذا وبسببساطة فإن ما كانا يطالبان به معناه واقعا وعمليا .. هو أن تتقدم القوات الاسرائيلية حوالي ٧٥ ميلا لتكون على مسافة عشرة أميال من القناة .. بينما على القوات المصرية أن تنسحب زهاء ١٢٥ ميلا لتحقيق هذا المطلب .. كان منطقا هزليا !.

وهكذا .. ففي مساء يوم ٣١ أكتوبر قامت قاذفات القنابل البريطانية بضرب القواعد الجوية الأربعة الرئيسية لمصر.. لتشل تماما فاعلية طائرات اليوشن المصرية ..

ولما كنت في ذلك الوقت قد فشلت في الحيلولة دون وقوع هذه المأساة .. شعرت بأنه لا يمكنني أن أكون مدافعا عن موقف الحكومة سواء أمام مجلس العموم أو أمام الأمم المتحدة .. وكان على أن أستقيل !! ..

السيد الرئيس :

مابعد ذلك .. كان التاريخ ..

أجبرت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل تحت ضغط التهديدات الأمريكية وإلحاح الرأي العالمي على الانسحاب ..

وإيدن الذي كان يخطط لمجد زاهر ونصر عسكري ساحق .. اضططر للاستقالة بعد شهرين .. وانزوى محطما يواجه نهاية مأساوية لرجل حاول أن يلعب دورا لا يناسبه ..

* * *

الأستاذ أحمد حمروش : الزميلات والزملاء .. نواصل جلستنا الأولى ..
وأحب أن أشير إلى أن كثيرا من الزملاء كانت لهم رغبة في أسئلة وتعليقات على
الحديث القيم الذى تفضل به السير أنتونى ناتنج .. ولكن الوقت يحكمنا
جميعا .. ولذا معذرة .. ونرجو أن نوفق فى الندوات القادمة لأن نعطي وقتنا
أطول لأصحاب الرغبات والآراء المختلفة .. وإن كانت الفرصة متاحة فى
الجلسات المقبلة لكثير من الأسئلة والاستفسارات ..

والآن يسعدنى أن أقدم إليكم الزميل والصديق .. الكاتب الكبير محمد
حسنين هيكل ليحدثنا .. ولا أشك أننا جميعا مشوقون إلى حديثه .. وليس
عندى كلمات أكثر من أننا ونحن نستمع إليه هنا فإن آلافا بل عشرات من
الألوف يقرأون كتابه الذى صدر أمس .. ويحوى هذا الموضوع فصلا هاما من
فصوله ..

الأستاذ الزميل محمد حسنين هيكل يتفضل لإلقاء حديثه

الأستاذ محمد حسين هيكل :

كيف أدار جمال عبدالناصر أزمة معركة السويس كلمة محمد حسين هيكل

وكانت بريطانيا تريد القناة وإخضاع مصر . وأرغمت بريطانيا على الانسحاب من بورسعيد . وكانت فرنسا تريد ضرب قاعدة الثورة الجزائرية - قبل شركة القناة وأرغمت فرنسا على الانسحاب من بورسعيد . بعد ثلاثة شهور من العدوان ومن الجزائر أيضا بعد ثلاث سنوات ، وكانت إسرائيل تريد ضرب مصر وماتمثلة في ذلك الوقت ، وأرغمت إسرائيل على الانسحاب في أثر انسحاب حلفائها وقد ازدادت قوة مصر وازدادت أهمية ماتفعله . وأرادت الولايات المتحدة في الساعات الأخيرة من الأزمة - واسرائيل معها ، نزع سلاح سيناء وتدويل قطاع غزة على الأمل وعادت القوات المصرية إلى سيناء وقطاع غزة . كانت هذه أهدافهم الاستراتيجية في الأزمة ولم يتحقق واحد منها وأما الهدف الاستراتيجي المصري . السويس - ليس فقط القناة ولكن الأمل قبل القناة فقد بقيت جميعا للأمة العربية .

- ما هو مغزى سحب اشتراك الغرب في تمويل السد العالي في تقدير دالاس ؟
- في التقرير الأول المكثوب للموقف - بعد التأزم - وضع جمال عبد الناصر احتمال التدخل العسكري من الجانب البريطاني بنسبة ٨٠٪ .
- قال خيراء القانون المنين استشارهم زيدن في الجلسة الأولى لمجلس الحرب أن القرار المصري ليس فيه ثغرة قانونية واحدة .

السيد الرئيس

حضرات السيدات والسادة :

من واجبي ، ومن واجب كثيرين غيري ، أن نتوجه بالشكر والتقدير والعرفان للجنة المصرية لتضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية على حمايتها بمعركة السويس سنة ١٩٥٦ وعلى الجهد الذى بذلته فى إقامة وتنظيم هذه الندوة التى تجمعنا الآن .

وربما أضفت أن شكرنا لهذه اللجنة تزداد حرارته بمقدار ما نرى أنها أقدمت بينا تردد غيرها من المنظمات والهيئات والتجمعات ، باستثناء جريدة « الأهرام » ونقابة الصحفيين - إحقاقا للحق .

ولكى لانكون متعسفين مع الآخرين الذين ترددوا فلعل عذرهم أنهم تصوروا أن السويس بعد ثلاثين سنة على وقائعها قد استقرت فى مجال الذكريات - وربما طاف بخواطهم أن الحاضر بكل همومه وأثقاله لا يعطى الناس وقتا ولا مزاحا لحكايات ماجرى فى الماضى ورواياته .

لكن التماس العذر لهم نصف الطريق إلى حقهم علينا . ونصف الطريق الآخر لتمام حقهم علينا أن نفضى إليهم بما نفكر فيه .

نقول لهم : نعم - إن بعض الأيام فى التاريخ تجيء وتذهب - لكن بعض الأيام فى التاريخ تجيء ولا تذهب !

بعض الأيام تختلف عن بعض الأيام ، كما يختلف رجل عن رجل ، وكما تختلف امرأة عن امرأة .

هناك أيام تجيء وتذهب - تتحول إلى ذكريات .

وهناك أيام تجيء ولا تذهب - تتحول إلى درس .

والذكريات فعل ماضٍ - والدرس فعل في الحاضر وفي المستقبل .

ولقد كان صديقنا العزيز الجالس معنا هنا « أنتوني ناتنج » بعيد النظر إلى أبعد حد وصافي الفكر إلى أبعد حد حينما اختار لكتابه الشهير عن السويس عنوانا يقول « لانهاية للدرس » No end of a lesson .

هكذا رأى السويس وهكذا نراها معه : درسا لانهاية له .

ولقد كان يعنى في كتابه درس السويس بالنسبة للطرف البريطانى ، ونحن معه وأكثر لأننا نراها درسا لكل الأطراف ، والطرف المصرى أولهم وأحقهم .

ليست هى الذكريات إذن ، وإنما هو الدرس ! وبلا نهاية !!

* * *

نتقدم خطوة من هنا لنسأل أنفسنا قبل أن يسألنا الآخرون :

لماذا درس السويس بالذات ، وأليست دروس تاريخنا كثيرة ؟

ولماذا السويس الآن - فإذا كان الدرس بغير نهاية - فكل وقت صالح وكل

لحظة مناسبة ؟

أبدأ بالسؤال الأول : لماذا درس السويس بالذات ؟

والجواب : لأن العالم كله يعرف - ومن الضرورى أن نعرف معه - أن السويس كانت نقطة تحول رئيسية فى التاريخ الحديث كله . وقد أجازف وأقول إن كثيرا من الملامح الرئيسية على الخريطة السياسية للعالم كما نعرفه اليوم - جرى رسمها أيام السويس .

وسوف آخذ المتغيرات - نتيجة للسويس - فى بعض المواقع الأساسية من خريطة العالم ، وسوف أتعرض لهذه المواقع بترتيب التلاعى الزمنى وليس بترتيب

الأهمية النسبية - مجرد التزام سباق منطقي للعدد :

● أبدأ بمصر : كانت معركة السويس بؤرة تركيز تجمعت فيها كل أماني مصر في الاستقلال الوطني والتنمية الاقتصادية الاجتماعية والتوحد مع عالمها الذي تنتمي إليه ، وفيها اكتشف الشعب المصري طاقاته الكامنة ومصادر قوته الحقيقية . والواقع أن الشعب المصري كان هو البطل الحقيقي لهذه الحرب فقد وقف متماسكا وصلبا ومصمما في مواجهة جبروت أكبر الإمبراطوريات ، في الفترة ما بين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ إلى ٧ نوفمبر ١٩٥٦ - ولو أنه تردد لحظة في هذه الأيام العشرة العصبية أو ضعف لحظة أو اهتر إيمانه لحظة لما كانت هناك جدوى من أي شيء - لا من قيادة «جمال عبد الناصر» ، ولا من تضامن بقية شعوب الأمة العربية ، ولا من تعاطف الشعوب الآسيوية والأفريقية ، ولا من مواقف الأمم المتحدة ، ولا من سياسات الولايات المتحدة ، ولا من الإنذار السوفيتي .

● مع مصر في نفس اللحظة وعى العالم العربي حقائق موقعه وضرورات وحدته ومكامن قوته ومجالات عمله وأولها أن الفعل الحقيقي للجماهير وليس لغيرها . ولقد أثبتت الأمة العربية كلها في السويس أن أحلامها صحيحة وأن الدفاع عنها ممكن ، وليس مهما أننا شهدنا فيها بعد تراجعنا عن الأحلام وقصورا في الدفاع عنها فعندما تثبت القوانين تصبح مخالفتها جرائم يستحق حسابها في يوم من الأيام ، لكن القوانين نفسها لا تسقط !

● في الغرب أقل نجم إمبراطوريتين (بريطانيا وفرنسا) وتحولت كلتاهما إلى دول تجارية أو دول صناعية ، ولكن العصر الإمبراطوري بالنسبة لهما انتهى في السويس .

وفي نفس الوقت صعد نجم قوة إمبراطورية جديدة هي الولايات المتحدة الأمريكية - كانت قد برزت بدورها إبان وبعد الحرب العالمية الثانية ضد النازية لكنها لم تلبث أن تورطت في حرب كوريا ثم أعطتها السويس مسرحا جديدا في الشرق الأوسط تبدأ منه بداية أخرى .

● بالسويس خرج الاتحاد السوفيتي لأول مرة بعد عزلة عصر « ستالين » ليمارس دورا عالميا نشيطا وحيا ، فقد قفز عبر الحزام الشمالى للشرق الأوسط ولم تعد المواجهة بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية مواجهة تقتصر على ما وراء خنادق ومباريس الكتلة الشرقية وإنما أصبحت صراعا حيا وساخنا ذابت فيه ثلوج الحرب الباردة وتعددت مواقعه التي تداخلت حركاتها وتنوعت أساليبها وأهدافها فشملت العالم الثالث كله مع تركيز خاص على الشرق الأوسط الذى أصبح المنطقة الحرجة فى المواجهة العالمية سياسيا واقتصاديا . استراتيجيا وفكريا - ووراء الشرق الأوسط أفريقيا .

● خرجت فرنسا من التجربة تبحث عن بديل . ولم يمض عام إلا وسقطت الجمهورية الثالثة وعاد « ديغول » يؤسس الجمهورية الرابعة وهو يدرك أن فرنسا لم تعد تستطيع أن تعتمد على الرادع النووى الأمريكى إذا كان لها أن تحتفظ باستقلالية قرارها السياسى ، وهكذا ولدت قوة الضرب الفرنسية المستقلة ووراء ذلك ظهرت احتمالات أوروبا الغربية كقوة نصف مستقلة على الأقل !

● إن الدرس الذى استوعبته فرنسا استوعبته الصين أيضا وهكذا راحت بدورها تسعى إلى دخول النادى النووى لكى تصبح قوة عظمى بإمكانياتها الذاتية .

● أحدثت السويس تحولا هاما فى سياسة إسرائيل فقد راحت من يومها توجه اهتمامها شطر النجم الأمريكى البازغ وتلحق نفسها به . وكان ذلك بداية ظهور دور الشرطى المحلى الذى كررت الولايات المتحدة نموذجه بعد ذلك كثيرا فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . وإن بقيت للشرطى الاسرائيلى مكانة مميزة لأسباب عديدة آخرها أنه أصبح شرطيا نوويا - لأول مرة فى تاريخ الشرطة !

● كانت السويس هى العلامة البارزة فى حركة التحرر الأفريقى ، ويكفى للدلالة على ذلك أن « هارولد ماكميلان » رئيس الوزراء الذى خلف

« إيدن » لم يسبق له ذكر سياسى غير خطابه المشهور عن رياح التغيير Winds of change في أفريقيا والذي كان معناه تصفية بقايا الإمبراطورية في أفريقيا.

● وكان إلهام السويس عميقا في أمريكا اللاتينية - وقد روى لى الزعيم الكوبي « فيدل كاسترو » أنه كان يتابع مع رجاله في جبال « Sirra Mayestra » أخبار الغزو البريطانى الفرنسى الإسرائيلى لمصر ، ومقاومة الشعب المصرى الباسلة له ، ويخطب في رجاله قائلا : « إذا كان في استطاعة شعب صغير كالشعب المصرى التصدى لامبراطوريتين - ولدولة تابعة - أفلا نستطيع نحن أن نتصدى لديكتاتور تابع وهو الجنرال باتيستا ؟ » !

* * *

أنتقل إلى بعض الحقائق التى ظهرت من السويس بعد أن استعرضت بعض المواقع .

انتهى عصر الحملات الاستعمارية تماما وانتهت أساليبه وأبرزها دبلوماسية المدافع البحرية Gun boat diplomacy

تأكدت استحالة الحرب النووية . فبعد الإنذار السوفيتى ، ومهما اختلفت الآراء حول حساباته ، لم يكن في استطاعة أحد أن يجرب استراتيجية الدمار المتبادل وعاد العالم إلى استراتيجية الرد المرن . وأهم من ذلك بدأت القوات الأعظم جديا مفاوضاتها للحد من تجارب الأسلحة النووية . والإنصاف فإن السويس كانت لحظة اليقظة ثم جاءت أزمة الصواريخ الكوبية سنة ١٩٦١ لتكون صك التأكيد .

تبين الكل أن أحدا لن يدافع عن أحد في الحرب النووية - فإن « ايزنهاور » لم يكن على استعداد لأن يعرض واشنطن ونيويورك للخطر دفاعا

عن لندن أو باريس - وهكذا ظهر عصر تعدد مراكز القوة وهو عصر مازال في بداياته وأما عواقبه فمعلقة بالمجهول !

اكتشف الكل بالتجربة العملية أن التدخل المباشر ضد الآخرين ينطوي على احتمالات صعبة ، وخرج الكل يدرس أن العمل غير المباشر أكثر أهمية - وربما أقدر على التحقيق - من العمل المباشر ، واستفحل دور سياسات الانقلاب من الداخل ودور الحروب الاقتصادية والنفسية والتخريبية وهي اليوم ملتبئة على خط طويل من « موزامبيق » إلى « نيكاراغوا » !

تعلمت نزعات السيطرة الاقتصادية أن أهدافها لا تتحقق باحتلال المواقع وإنما باحتلال الموارد والثروات ، وهكذا ظهر وتفاقم دور البنوك والشركات العابرة للقارات .

هل هذه - مهما كان تقديرنا لها - متغيرات خطيرة في المواقع وفي الحقائق وكلها جرت أو تأكدت في السويس .

* * *

هذا هو ما يخص الجزء الأول من السؤال وهو : لماذا السويس ؟

وأنتقل إلى الجزء الثاني منه : لماذا الآن ؟

والرد ليس صعبا .

من ناحية لأن المعركة مستمرة ، فلقد كانت السويس بالدرجة الأولى معركة في حرب طويلة على مقادير الشرق الأوسط والعالم العربي في قلبه ، وهي معركة مازالت مستمرة حتى الآن لنفس الأهداف وربما على نفس المواقع وإن تغيرت الأساليب (Tactics). بعد السويس ١٩٥٦ جاءت معركة ١٩٦٧ ، وبعدها جاءت معركة أكتوبر ١٩٧٣ حتى شهدنا نزول الستار مؤقتا عما نسميه حرب الثلاثين سنة والتي ظهر بعدها أن الولايات المتحدة تمكنت من إيقاف الحرب - ولا أقول إنهاؤها - لصالحها وصالح سياساتها ، ولم تعد تلك النتيجة

موضع شك من أحد فمى اليوم - ١٩٨٦ - أمام الجميع تشعرهم بوطأتها
وتذكرهم بنفسها صباح مساء !

وهكذا يصبح من الضرورى لكل من يريد أن يتطلع إلى الغد أن يبدأ
بدراسة أصوله وبداياته عند مرحلة التكوين الأولى - لأن حركة التاريخ
لا تتقطع ولا تعرف الفجوات فى مسارها .

ومن ناحية أخرى - عملية أكثر- فإن هذا العام - ١٩٨٦ - وبعد ثلاثين
سنة سوف يرفع الستار عن كل وثائق المعركة الكبيرة ، فهنا ينتهى الحظر
المفروض بالسرية على حقائق ماجرى وتتكشف تفاصيله ، وهكذا فقد انفتح
باب الاجتهاد على أساس سليم وانفسح مجال البحث والتأمل على ضوء الحقائق
كما بدت أمام الأطراف . وربما أشرت إلى أن مكاتب لندن شهدت حتى الآن
هذا الموسم ستة كتب كبيرة عن السويس ، كما أن البرامج الاذاعية والتليفزيونية
على القنوات المختلفة حملت أو تحمل فى الأيام القليلة القادمة عشرات
الساعات من الإرسال حول السويس .

* * *

أنتقل الآن إلى موضوعى الأصى .

كيف أدار « جمال عبد الناصر » أزمة معركة السويس ؟

أتصور مقدما أننى فى حاجة هنا إلى تعريف لعبارة « أزمة » لكى نقيس
على هذا التعريف إدارة « جمال عبد الناصر » لها .

والحقيقة أنه ليس هناك تعريف محدد ، وعلى كثرة ما كتب أساتذة العلوم
السياسية وخبرائها عن وقوع الأزمات ، وعن إدارة الأزمات ، وعن السيطرة
على الأزمات ، وعن حل الأزمات - فإن أحدا لم يستطع أن يقدم لنا صياغة
كافية وافية للتعبير - وربما جازفت استخلاصا للكثير مما قيل إلى مجموعة من
الملامح لما نطلق عليه وصف الأزمة :

- ١- الأزمة هي اللحظات المكثفة والمتوترة لحركة صراع .
- ٢- وهي تحمل عادة عند إقدام طرف من الأطراف على خطوة تعتبر نوعاً من التحدى للطرف الآخر لأنها تهدده بخلق نقطة تحول في مسار الصراع ضد مصالحه كما يراها .
- ٣- وهذا بدوره يفرض على الطرف الآخر أن يتدخل بقرار يعيد التوازن الحرج أو يعكس الاتجاه .
- ٤- ولا بد أن تكون هناك علاقة توقيت زمني بين التحدى والرد عليه .
- ٥- وبطباع الأمور فإن الرد والتحدى يجريان في مناخ من الترقب والقلق تصنعه وقائع الأزمة ومفاجآت الحوار بين التحدى والرد عليه .

وإذا أخذنا هذه الملامح لوصف الأزمة وقبلنا بها ، وفي ظني أنه يمكن القبول بها ولو كتصور عام ، فإن أزمة تأمين قناة السويس لم تكن من صنع « جمال عبد الناصر » ولم تكن مبادأة منه .

والحقيقة أن جو الأزمة بدأ من قبل التأميم وفي سنوات الفوران الثوري الذي عبرت عنه وبلورته ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر ، ولقد كانت السنوات التي أعقبت الثورة خصوصاً سنة ١٩٥٥ والنصف الأول من سنة ١٩٥٦ هي فترة تركز فيها صراع العالم العربي كله ضد السيطرة الاستعمارية - أي أن تطورات قرن ونصف من الزمان - القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين - جرى اختزالها وتكثيفها بطريقة حادة وشبه حاسمة في سنة ونصف سنة .

وباختصار فإن لحظة الأزمة جاءت حين وجه « جمال عبد الناصر » ليس فقط سحب عرض اشتراك الغرب في تمويل السد العالي وإنما بالطريقة التي تمت بها هذه الخطوة وماتعنيه وتعبر عنه الخطوة وأسلوبها من أهداف ومقاصد .

وربما قلنا بغير تجاوز إن « دالاس » أرادها بالفعل نقطة تحول في مجرى الصراع العربي في مواجهة السيطرة الغربية .

وكان على « جمال عبد الناصر » أن يتدخل بقرار يعيد التوازن أو يعكس الاتجاه . .

وكان عليه أن يرد مراعيًا أهمية عنصر التوقيت وإلا نجح التحدى في تحقيق بعض مقاصده إذا تأخر الرد .

وكان المناخ مفعما بعوامل الترقب والقلق وانتظار المفاجآت .

وإذا نحن أمام أزمة بكل المعايير .

وهكذا ننقل إلى طريقة « جمال عبد الناصر » في إدارتها .

* * *

إننى على استعداد لأن أستبق السياق وأقول مبكرا إن إدارة « جمال عبد الناصر » لأزمة قناة السويس كانت نموذجية ، وأعتقد أن إدارته لها تستحق أن تكون حالة مثالية يقاس عليها ويقاس بها من مراكز تلقى العلم إلى مراكز صنع القرار .

وهنا نحتاج أيضا إلى عملية تعريف مختصرة عن إدارة الأزمات .

وكما حددت خمسة عناصر لتعريف الأزمة فلعلى أجازف وأحدد خمس

نقط جديدة في التعريف بإدارة الأزمة :

١ - التوصل إلى الرد الصحيح والمناسب للتحدى الذى ألقى به الطرف الآخر .

٢ - التأكد من أن هذا الرد قابل للتحقيق بنجاح .

٣ - الاستعداد للاجتماعات والخطوات المعاكسة المترتبة على تداعى الأزمة ومخاطر هذه الاحتمالات .

- ٤ - إبقاء الهدف الاستراتيجى واضحا ومحددا بحيث لا يضيع وسط تعاقب وتراحم الأفعال وردود الأفعال .
- ٥ - الإدراك الواعى لحقيقة أن أى أزمة إنما تجرى فى ظل أوضاع وموازين محلية وإقليمية وعالمية لا يستطيع صانع القرار أن يتصرف فى معزل عنها .
- هذه عناصر عامة فى إدارة الأزمة لا أظننا نختلف كثيرا عليها ويبقى أمامنا أن نطبق عليها ونقيس .

* * *

نبدأ بعنصر الرد الصحيح والمناسب .

ماهو الرد الصحيح والمناسب ؟

أول عنصر فى الرد الصحيح والمناسب فى تقديرى هو اشتراط مشروعيته . وكان ذلك متوفرا على أكمل وجه فيما أظن فى قرار « جمال عبد الناصر » أن يرد على التحدى بتأميم قناة السويس . فنحن نرى :

١ - أن قرار التأميم يستجيب لمطلب كان فى أعماق الضمير المصرى ولم يكن ينقص تحقيقه إلا ظهور عنصر الإرادة الوطنية - وهذه شرعيته .

٢ - أن قرار التأميم من الناحية القانونية - بعد الشرعية - لم يخرق معاهدة دولية ، ثم إنه صدر فى حدود السيادة المصرية لتأميم شركة مصرية ، وأخيرا فإنه لم يغتصب حقا لأحد فقد نص فى نفس الوقت على التعويض العادل للمساهمين بسعر أسهم الشركة فى إقفال البورصة يوم صدور القرار - ولقد اتضحت مشروعية القرار حتى فى الجلسة الأولى التى عقدها « إيدن » لمجلس حربه فى نفس ليلة صدور إعلان التأميم فقد قال له كل خبراء القانون الذين استشيروا فى الموضوع على عجل إن القرار المصرى ليست فيه ثغرة قانونية واحدة .

٣ - أن قرار التأميم كان يحقق نفعا عاما مباشرا ومحددا ، فالفائض من

دخل قناة السويس بعد نفقات إدارتها وتكاليف تعويض مساهمها سوف يوجه لمشروع مطلوب وحيوي لتطور وتقدم الشعب الذي يملك القناة طبيعة وتاريخاً - والنفع العام هو أهم مصادر القانون .

٤ - إن قرار التأميم كان رداً على استفزاز ولم يكن مبادأة به وهكذا فإن الحق في مكانه والدفاع عن النفس هو الطبيعة ذاتها .

* * *

أنتقل إلى النقطة الثانية في إدارة الأزمة وهي التأكيد من أن الرد قابل للتحقيق بنجاح . وهنا نلاحظ مسألة هامة اختلف فيها نجاح تأميم قناة السويس ليصبح نقيضاً لفشل تأميم البترول الإيراني في عهد الدكتور « محمد مصدق » .

لقد كان تأميم البترول الإيراني إجراءً توفرت له كل عناصر المشروعية : الشرعية والقانونية - ومع ذلك لم ينجح .

لم ينجح لفارق هام رآه « جمال عبد الناصر » منذ اللحظة الأولى وهو يضع تقديره للاحتتمالات التي يمكن أن تترتب على تأميم قناة السويس .
ففي حين أن البترول سلعة - فإن قناة السويس خدمة .

والسلعة تحتاج إلى إنتاج ونقل وتسويق وهذه كلها في يد احتكارات دولية بعيدة عن نطاق سيطرة قانون التأميم - وهكذا فقد بقي البترول الإيراني في باطن الأرض لتعذر إنتاجه ونقله وتسويقه .

وفوق ذلك فإن الشركات المحتكرة لبترول الشرق الأوسط استطاعت تعويض توقف حقول البترول الإيراني بزيادة الضخ من حقول أخرى قريبة على شطآن الخليج ، وكانت النتيجة أن الخزنة الإيرانية نفسها أصبحت هي الخاسر الأكبر من عملية التأميم وانعكس ذلك بالطبع على الشعب الإيراني وانفتح الطريق إلى الانقلاب المضاد .

وفي حالة قناة السويس فإن الأمر كان يختلف .

- هي خدمة وليست سلعة كما أسلفنا القول .
- ثم إنها خدمة تعتمد على موقع جغرافي معين من خريطة العالم وتستحيل في غيره - وبالتالي فليس هناك بديل .
- ثم إنها خدمة حيوية إذا أريد لكل الآلة الصناعية للغرب أن تتحرك بالطاقة اللازمة لها .
- ثم نلاحظ أن احتمال خسارة دخل - كما خسرت الخزينة الإيرانية من دخل البترول الإيراني - لم يكن واردا لأن مصر لم تكن تحصل إلا على مليون جنيه واحد من دخل قناة السويس وهو مبلغ لا يكاد يذكر في دخل الخزينة المصرية .

ولقد توصل « جمال عبد الناصر » من ذلك كله إلى حقيقة أن نجاح القرار يرتبط بكفاءة إدارة المرفق .

هكذا ركز اهتمامه في اختيار الإدارة معتبرا أنها العامل الأساسي في النجاح ، ثم أعطى لهذه الإدارة سلطة الدولة كلها .

وضمانا نهائيا للنجاح فقد أعطاها حق فرض الأحكام العسكرية على العاملين الأجانب في القناة ، وكان واثقا أن هذا الإجراء الذي يبدو تعسفيا لن يواجه معارضة شديدة في البداية فالغرب يحتاج إلى القناة أكثر منه - لأنه يحتاج إلى تدفق البترول - لأن احتياجاته منه في ذلك الوقت لم تكن تزيد على أربعة أسابيع - وبالتالي فإنهم هناك مضطرون إلى فترة تخزين قبل الإقدام على مخاطر يمكن أن تؤدي إلى إغلاق القناة . هم يحتاجون إلى فترة تخزين وهو يحتاج إلى فترة ترتيب .

وهكذا فإن عامل حسن اختيار الإدارة المصرية للمرفق عززه ضمان إضافي باستبقاء الجزء العملي من الإدارة الأجنبية ولو حتى بقوة الأحكام العسكرية

خصوصا على المرشدين . ثم إن ذلك كان يتيح الوقت لإعداد وتجنيد عناصر فنية تواجه الموقف في حالة ما إذا أصبح الغرب على استعداد لإثارة موضوع القسر الواقع على العناصر الأجنبية ، وهو ما حدث بعد ذلك فعلا بعد سبعة أسابيع في ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ - انسحب المرشدون الأجانب يومها ولم يكن صانع القرار المصرى نائما في قيلولة ظهيرة في يوم صيف حار !

* * *

نصل إلى العنصر الثالث وهو عنصر الاستعداد للاحتالات والخطوات المعاكسة المترتبة على تداعى الأزمة - ومخاطر هذه الاحتمالات .

وفي تقديره الأول المكتوب للموقف فإن « جمال عبد الناصر » توقع احتمال التدخل العسكرى بنسبة ٨٠ في المائة من الجانب البريطانى ، هذا إذا كانت لديه قوات جاهزة في المنطقة تستطيع أن تندفع إلى القوة المسلحة مستغلة حالة الصدمة التى يمكن أن يحدثها قرار تأميم قناة السويس .

ولقد توقع أن تتنازل حدة خطر التدخل أسبوعا بعد أسبوع إذا فاتت فرصة الحركة كرد فعل للصدمة الأولى ، وفي نفس الوقت ظلت حركة المرور فى القناة سالكة .

وهكذا فإنه كان حريضا قبل إعلان قراره على التحقق من حجم القوات البريطانية القريبة من مصر ودرجة استعدادها ، ولم يتخذ قرار التأميم بطريقة لارجعة فيها إلا عندما تأكد أن حجم هذه القوات غير كاف كما أن درجة استعدادها ليست هى الأخرى كافية .

ولقد رجح أن فرنسا سوف تكون مستعدة للعمل العسكرى المباشر والسريع - إذا تحققت فرصته - ولكن اشتراكها سوف يكون محدودا بسبب انشغالها فى حرب الجزائر .

وربما كان فى هذا العنصر أن « جمال عبد الناصر » وقع فى خطأين .

أولها : تصور أن العمل السياسي أسبوعاً بعد أسبوع سوف يجهض فكرة التدخل المسلح - فهو في هذه النقطة لم يستطع أن يقيس قياساً دقيقاً الحالة النفسية التي استتبت بـ « إيدن » .

ولصالح تقدير « جمال عبد الناصر » هنا - رغم الخطأ الشكلي فيه - أن تصرف « إيدن » على النحو الذي لم يتوقعه « جمال عبد الناصر » أدى إلى سقوط « إيدن » نفسه وليس إلى سقوط « جمال عبد الناصر » كما كان « إيدن » يرسم ويخطط .

والثاني : تصور أن « إيدن » لن يقدم على تعاون - أو تواطؤ - مع إسرائيل في حملة ضد مصر إذا قرر القيام بها لأن ذلك سوف يؤدي إلى إحراج أصدقاء بريطانيا العرب ، لأن ذلك سوف يؤدي إلى نهاية النفوذ والمصالح البريطانية من المنطقة .

لكن « إيدن » تصرف على عكس ما تصور « جمال عبد الناصر » - ومع ذلك لصالح تقدير « جمال عبد الناصر » أيضاً - فإن بريطانيا دفعت الثمن الذي قدره « جمال عبد الناصر » وتحولت في الشرق الأوسط - وفي غيره - من قوة عظمى إلى دولة أوروبية تجارية شأنها شأن غيرها في القارة .

* * *

وإذا وصلنا إلى العنصر الرابع وهو المحافظة على الهدف الاستراتيجي وعدم السماح لأية خطوات تكتيكية أن تغطي مطالبه - فإننا نجد أن « جمال عبد الناصر » تسليح بقدر هائل من المرونة .

كان هدفه التكتيكي أن يكسب وقتاً وأن يعبئ رأياً عاماً عالمياً وأن يحرك موازين قوى دولية . وأن يستغل تناقضات أطراف حتى ولو كانت مرحلية بحيث تفوت فرصة التدخل العسكري المسلح على الذين يفكرون فيه .

وهكذا نراه لم يعترض على مؤتمر لندن الأول ، ولم يعترض على مجيء بعثة

« متزيس » إلى مصر تحمل له قرار ثمانية عشرة دولة من المشتركين في مؤتمر لندن ، ولم يعترض على ذهاب بريطانيا وفرنسا إلى الأمم المتحدة - وإنما جعل من كل تطور من هذه التطورات فرصة للمناورة ، وفرصة لكسب الوقت ، وفرصة للتعبئة ، وفرصة لتحريك الموازين .

كان على استعداد لأن يناقش ويسمع ويبدى رأيه .

وكان على استعداد للاتصالات المباشرة وغير المباشرة .

وكان على استعداد لأن يتجاوز عما اعتبره من باب التفاصيل ، وعلى سبيل المثال فإنه حينما سئل غداة يوم التأميم عن رأيه في بواخر تعبر القناة ولا تريد أن تدفع الرسوم للهيئة المصرية كان قراره أن يتركها تمر على أن تضاف رسوم مرورها إلى حسابات شركاتها حين يجيء يوم الحساب .

ولو أنه تعنت فرفض أن تمر باخرة دون أن تدفع الرسوم لتسبب في تعطيل حركة المرور في القناة وأعطى للمتريصين حجة يتمنونها .

وحتى تحت ظروف القتال فإنه رفض عمليا ومعنويا أن ينساق إلى قرار بإعلان الحرب على بريطانيا طبقا لما تقضى به الأصول ، فلقد كان ينظر إلى ما بعد انتهاء المعارك ويعرف أنه لا يستطيع أن يطبق على بريطانيا ما يطبقه على إسرائيل ومرور بواخرها من قناة السويس في ظروف حالة الحرب - وهكذا أخذ الأمور بمرونة منذ بداياتها ولم يشأ أن يكون هناك إعلان رسمي بحالة الحرب .

كان هذا سببه العملي .

وأما السبب المعنوي فمرجهه إلى تقديره الشديد لموقف حزب العمال البريطاني من الحرب رغم صداقة كثيرين من أعضائه لإسرائيل . وأتذكر أن الوزراء المختصين ببعض الإجراءات العملية الاقتصادية والأمنية وجدوا أنهم لا يستطيعون بالقانون تطبيق بعض هذه الإجراءات دون إعلان رسمي بالحرب

أو حالة الحرب ، وكان رده : « تصرفوا بدون إعلان حرب فنحن لانستطيع أن نعلن الحرب على نصف أمة تقف وراء « إيدن » ونصف أمة تعارضه في الشارع » . وكانت أمامه صور لمظاهرات ميدان « ترافلجار » .

وحتى عندما تقرر اعتقال الرعايا البريطانيين كرعايا أعداء في وقت الحرب فإن تصرفه كان مدهشا في مرونته ، فقد طلب التحفظ على رءوس الجالية البريطانية بما فيهم المراسلين الصحفيين في فندق « سميرا ميس » وهو أكبر فنادق العاصمة وقتها .

لكن هذه المرونة في التكتيك لم تقترب من تصميمه الاستراتيجي . ومع ذلك فقد بدأ هنا التصميم متنوعا وخلاقا في استجابته .

فعندما بدأت المعارك كان هو الذي أصدر القرار بإغلاق قناة السويس أمام الملاحة عن طريق تفجير باخرة مملأى بالأسمت في وسط مجراها ، فقد كان إيقاف تدفق البترول إلى الغرب قد حان وقته كجزء من معركة السلاح ، وتحقق ذلك على أكمل وجه حينما تم نسف خط أنابيب البترول الممتد من الخليج إلى البحر المتوسط عبر سوريا .

ولقد كان تمثله لساحة المعركة هو الذي حفزه إلى اتخاذ واحد من أهم القرارات العسكرية في مجرى الحرب وهو قرار سحب مجموعة القوات الرئيسية التي تقدمت إلى سيناء بعد أن تدخلت اسرائيل بدورها في التواطؤ على حدود مصر ، وذلك حتى لا ينقسم الجيش المصرى إلى قسمين - واحد يواجه اسرائيل في سيناء وآخر يواجه بريطانيا وفرنسا خلفه على القناة أو في الدلتا ، وإنما رأى تجميع قواته والدخول في معركة أساسية واحدة . ولقد قاتل في سيناء بالقدر اللازم لحماية الانسحاب ، وقاتل في بورسعيد بالقدر اللازم لوقف تقدم قوات لغزو ، واختار سلامة الطيران على سلامة الطائرات أمام تفوق جوى بريطانى - فرنسى لكى يصبون قواه لمرحلة أخرى من المعركة رآها في انتظاره إذا لم تخرج اسرائيل من سيناء وقطاع غزة .

وبعد انتهاء المعارك لم يكن لديه ما يعطيه في شأن قناة السويس غير إعلان مصرى من طرف واحد بـ « ضمان حرية الملاحة في قناة السويس » . ولم يستطع طرف أن يجادله .

ثم إنه وجد الفرصة ملائمة ومهيأة لإلغاء كل اتفاقية سنة ١٩٥٤ مع بريطانيا من أساسها دون انتظار ست سنوات أو سبع كما كانت تقضى نصوصها . وفي النهاية فإن الجائزة الاستراتيجية للحرب كلها - وهي المرادف الفعلي للنصر - قناة السويس في هذه الحالة - ظلت ملكية كاملة لمصر بأهميتها وبدورها وبدخلها .

* * *

يبقى في النهاية عنصر الإدراك الواعي للمناخ الوطني والإقليمي والدولي . وبالنسبة للمناخ الوطني فلقد وضع ثقته منذ اللحظة الأولى للأزمة في الشعب المصري ، وجرى توزيع السلاح بمئات الآلاف من القطع على أفراد الشعب وأحس الناس أنهم في المعركة شركاء في المصير - بل هم أصحابه .

وكان واثقا أن مجمل الأحداث منذ قيام الثورة قد خلق حالة من الوعي والتأهب وصلت إلى أرقى درجاتها ، وحين أطلق صيحة القتال دفاعا عن الوطن لم تسمع في مصر على مستوى الجماهير صيحة غيرها وإلى النهاية .

وبالنسبة للمناخ العربي فلقد أدرك أن شعوب الأمة العربية كلها وصلت إلى درجة عالية من التعبئة خلال مواجهة ممتدة ضد الأحلاف وضد احتكار السلاح وضد مخططات سيطرة القوى الكبرى .

ولم يتظر طويلا فإن ضغط الشارع العربي المندفِع على القصور العربية المترددة ولد طاقات لا حدود لها في المنطقة وخارجها من « داكا » إلى « داكار » وأصبحت لندن بالفعل والواقع عاصمة تحت الحصار من الخارج وحتى من

الداخل ، وتصعد « حلف بغداد » ، بل وكاد « الكومنولث » نفسه أن يتصدع تحت وطأة الأحداث .

ولقد كان يرى أبعاد التناقض الداخلى بين بريطانيا والولايات المتحدة ويعى أنه تناقض فى الوسائل وليس فى الأهداف ، ومع ذلك فقد بدا له تناقض الوسائل مما يمكن استغلاله ، واستغله إلى درجة أنه رضى أن يلى بتصريح على يقول فيه إنه كان يفكر فى تأمين شركة قناة السويس منذ سنين وأن قراره بتأمينها لم يأت كرد على « دالاس » - وكان مقصده أن يرفع عن وزير الخارجية الأمريكية ضغط الذين ألقوا باللوم كله عليه - لأن « جمال عبد الناصر » كان يريد للتناقض الأمريكى - البريطانى فى الوسائل أن يتحرر حتى من لوم الحلفاء !

كذلك رأى أن الاتحاد السوفيتى أمام منعطف هام فإما أن يخرج نهائيا من عزلة التى أطل منها مجرد إطلال بعد صفقة السلاح ، وإما أن يعود إلى العزلة القديمة . وقدر أن القيادة السوفيتية الجديدة بعد « ستالين » لن تترك الفرصة نفلت لتقفز فوق الحزام الشمالى وتدخل إلى تأيد حركة التحرر القومى فى العالم العربى .

ولم يحاول تعجل موقف السوفيت ، فلو أنه حاول تعجله لكانت تلك مقدمة للترام من جانبه ، وكان يدرك أن قوته الحقيقية هى تحرره من أى الترام مسبق فى المواجهة الدولية على القمة .

هكذا قدر موقف الاتحاد السوفيتى . وفى يوم ٦ نوفمبر عرف أن تقديره كان الأقرب إلى الصواب حينما صدر الإنذار السوفيتى .

ولقد وجد لديه رصيلا هائلا من صداقات أنشأها من قبل بحرص ودأب مع عمالقة من طراز « نهرو » و « تيتو » .

ثم إنه اكتشف بسرعة فائقة أهمية الأمم المتحدة فى لحظة خاصة من تاريخها ، فإن توافق القوتين الأعظم ظاهريا على الأقل فى تحركات الأزمة أعطى

للمنظمة الدولية ولأمينها العام بشخصيته المتميزة في ذلك الوقت دورا استثنائيا سواء كأداة فعل أو أداة تعبئة ، ومشى « جمال عبدالناصر » بهذا الدور إلى مداه .

كذلك وجد طاقات هائلة جرى كبتها من تأثير محاولات سابقة لم تنجح في مواجهة السيطرة والاحتكار ، وأبرزها في تلك الأيام . تجربة ايران مع شركة البترول البريطانية الايرانية وتجربة جواتيمالا مع شركة الفواكه المتحدة .

ولقد كان هذا الكبت في جانب منه طاقة محبوسة بالقهر ، وحينما واتها الفرصة لترى مواجهة ناجحة ومنتصرة فإن طاقتها المحبوسة بالقهر تحولت إلى إضافة لا يستهان بها في المناخ الدولي خصوصا في العالم الثالث .

* * *

كانت تلك لمحة عن إدارة « جمال عبدالناصر » لأزمة السويس ، واضطرت قوات العدوان إلى الانسحاب تحت ضغوط هائلة وبعد عناد عقيم شبه « راندولف تشرشل » - ابن « ونستون تشرشل » - بأنه كان أشبه ما يكون بعناد « هتلر » في سحب قواته من « ستالنجراد » حتى فات الأوان !

والآن - قرب النهاية - نعود إلى الأهداف الاستراتيجية الأساسية في الأزمة لكي نرى من ؟ حقق ماذا ؟

كانت بريطانيا تريد القناة وإخضاع مصر - وأرغمت بريطانيا على الانسحاب من بورسعيد .

وكانت فرنسا تريد ضرب قاعدة الثورة الجزائرية - قبل شركة القناة - وأرغمت فرنسا على الانسحاب من بورسعيد بعد ثلاثة شهور من العدوان ومن الجزائر أيضا بعد ثلاث سنوات !

وكانت اسرائيل تريد ضرب مصر - وما تمثله في ذلك الوقت - وأرغمت

اسرائيل على الانسحاب فى إثر انسحاب حلفائها - وقد ازدادت قوة مصر وازدادت أهمية ما تمثله .

وأرادت الولايات المتحدة فى الساعات الأخيرة من الأزمة - واسرائيل معها - نزع سلاح سيناء وتدويل قطاع غزة على الأقل - وعادت القوات المصرية إلى سيناء وإلى قطاع غزة .

كانت هذه أهدافهم الاستراتيجية فى الأزمة ... ولم يتحقق واحد منها .
وأما الهدف الاستراتيجى المصرى - السويس - ليس فقط القناة ولكن الرمز قبل القناة - فقد بقيت جميعا للأمة العربية .

هكذا فنحن أمام مثال نموذجى فى إدارة أزمة :
إدارة تحقق أهدافها .

وتمنع أعداءها من تحقيق أهدافهم .

* * *

وفى النهاية فلقد يثور تساؤل : الآن وبأثر رجعى : نتحدث عن ذلك كله وقد بانَت الصورة كاملة . فهل كان ذلك بتفاصيله ودقائقه - فى حسابات « جمال عبدالناصر » وهو يواجه الأزمة ويمسك فى يده بزمام إدارتها ؟
وهذا سؤال فى مكانه وفى أوانه بالتأكيد .

وردى بأمانة : بالطبع أن لدينا الآن فرصة الحكم بأثر رجعى .

لكننا نستطيع أن نجزم بأن « جمال عبدالناصر » كان فى ذروة الأزمة يملك مقدرة الاستيعاب الكلى لحقائق وعناصر الموقف بصرف النظر عن التفاصيل المتناثرة فى كل زاوية وركن ، وهذا الاستيعاب الكلى - حتى من غير زحام التفاصيل - هو أهم عناصر القيادة التاريخية .

الجلسة الأولى :

القسم الثانى :

تعليقات ومناقشات واستيضاحات حول كالمتى أنتونى ناتنج ومحمد حسنين هيكىل

شارك فيها :

محمود رياض - أحمد صدقى الدجانى - أنور عبد الملك - سعيد كمال -
محمد لطفى الصباحى - سعد زهران - على فهمى - هدى بدران -
مصطفى كامل السيد - د . حسن نافعة .

- هل كسبت إسرائيل فى معركة السويس حق المرور من المضائق ؟
 - رئيس هيئة القناة هل كان من أهل الثقة أم من أهل الخبرة ؟
 - « رأى أن تشرشل كان صهيونى العقيدة وكان يحاول أن يفرض علينا التشاور مع إسرائيل حول اتفاقية الجلاء » ناتنج «
 - « كان تقدير إيدن للشعب المصرى هو أنه لدى سماع الإنذار سينور فى القاهرة ضد حكومته ويسقطها » .
- من كتاب عن سيرة إيدن الشخصية يصلر قريبا

الأزمة .. والمعركة

الاستاذ أحمد حمروش : شكرا للأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل على كلمته القيمة التي أضاءت لنا جوانب مشرقة من شخصية زعيمنا الفذ جمال عبد الناصر وإدارته لمعركة وطنية وقومية غيرت كثيرا من صور الحياة في تلك الفترة تأثيرها حتى تلك اللحظة .

الباب الآن مفتوح للأسئلة والتعليقات ..

الجلسة الأولى/ القسم الثاني :

سؤال من ممثل مجلس السلم والتضامن اليمنى فى جمهورية اليمن العربية يقول : مع الشكر الجزيل .. نسأل الأستاذ هيكل ملتجئين التوضيح عن العدول عن عنوان البرنامج المطبوع :

« إدارة المعركة » إلى إدارة الأزمة .. هل لفظ « أزمة » عند الأستاذ مرادف لكلمة « معركة » لأن المفهوم اللغوى المتبادر للذهن بديهية أن المعنى الحقيقى بينهما مختلف .. كما أن ما حصل كان معركة لا أزمة .. مع الشكر الجزيل .. السؤال من محمد لطفى الصباحى ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : العنوان المقرر لموضوعى هو كيف أدار جمال عبد الناصر الأزمة .. نتكلم عن المعركة مثلا قد يفهم أنها المعركة العسكرية .. لكنه تصور أن الأزمة هى كل المناخ السائد فى وقت معين فى مواجهة حدث معين .. وأن المعركة العسكرية جزء منها .. تصور أنى تكلمت عن إدارة الأزمة كلها بمفهومها الكامل .. ممكن الحقيقة السؤال يعنى .. المفهوم المتبادر للذهن وأهل الثقة وأهل الخبرة هو أن ما حصل كان معركة .. هو المعركة فى جو أزمة ..

الأستاذ أحمد حمروش : إنشاء سؤال من الدكتورة هدى بدران أستاذة في جامعة حلوان .. لقد ذكرت في حديثك أن جمال عبد الناصر ركز على عنصر الإدارة القادرة ودورها عند القرار الخاص بتأميم القناة .. هل كان التركيز هنا على الإدارة المتمتعة بالخبرة الفنية أم المتمتعة بالثقة أم الإثنين معا ؟ فإذا كان التركيز على الأمر الأخير.. لماذا لم يطبق ذلك عند تأميم مرافق أخرى ؟

الأستاذ محمد حسنين هيكل : الأستاذة تسمح لي أرد .. لست أدري ما إذا كنا بصدد العودة لمعركة مفتعلة بين أهل الثقة وأهل الخبرة .. لكننا ننسى أحيانا من وقع عليه اختيار جمال عبد الناصر لدى تأمين قناة السويس .. من ؟ .. يذكر الناس باستمرار اسم محمود يونس باعتباره أنه كان مهندسا وأنه أشرف على عملية التسيير .. نحن ننسى أن أول رئيس للإدارة المصرية لهيئة قناة السويس هو الدكتور حلمي بهجت بدوي .. الذي كان رئيس الهيئة وهو أكبر أساتذة القانون الدولي في مصر لم يكن محمود يونس ما كانش مجرد أنه واحد من أهل الثقة .. يعني مجرد أنه ضابط .. لقد كان يدرس إدارة فيما أعلم .. إدارة عسكرية وعنده فكرة عن التحركات واختير في البترول .

نحن ننسى مرات انقسامنا لامبرر له .. انفصاما بين أهل الثقة وأهل الخبرة كما لو كان من غير الممكن يبقى أحد من أهل الثقة لديه خبرة .. ولا يمكن أن يكون لديه خبرة بينما هو أهل الثقة .. طيب .. ؟ أنا عندما آخذ مثلا .. حلمي بهجت بدوي أكبر أساتذة القانون في مصر وهو رئيس مجلس إدارة الشركة وأخطى المدير العام التنفيذي لها رجلا لديه خبرة ضخمة جلا بالتحركات العسكرية .. لديه خبرة ضخمة جلا بالإدارة لأنه كان يدرسها في كلية أركان حرب ..

من هنا بقي أهل الخبرة وأهل الثقة .. نرجع به لحكاية الشركات لماذا لم يطبق .. أنا أعتقد أنه طبق .. لكن هنا ليس مجاله الآن .. هنا البلد - لكيلا ننسى - حتى هذه اللحظة إذا كان يقال إن القطاع العام هو أهل الخبرة .. ولا

أدرى ماذا عملوا في التجربة فأنا أقول إن هذا البلد .. حتى هذه اللحظة .. يعيش على القطاع العام .. ولو أنه بلا قطاع عام إذن لواجه مشكلة لاحدود لها .. حينما يقول لى أحد إن أكبر مشروع نفذ في أفريقيا كلها وفي العالم العربي : السد العالى .. ماذا تقول عن صدق سليمان أهل خبرة أو أهل ثقة .. لقد دخلنا في معركة مفتعلة .. وأنا أعتقد أنه آن الأوان لكى ننظر للموضوع نظرة فيها تجرد .. وبعيدا عن حملات مقصودة وموجهة ومطلوب مكسب لإسرائيل من ورائها فعلا أن تحدث نوعا من الانفصام في البلد ..

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للأستاذ هيكل .. سؤالين في مضمون واحد من الدكتور على فهمى ومن الأستاذ سعد زهران .. يقولون فيه إنهم يختلفون مع الأستاذ هيكل في جزئية واحدة وهي أن إسرائيل قد كسبت جزئيا من معركة السويس بأن سمح لها بالمرور من مضائق تيران ولم يعلن عن ذلك .. وكذلك أنها استطاعت أن تقيم ميناء إيلات .

الأستاذ محمد حسين هيكل : أولا لا .. هذه الإضافة الأخيرة عن حكاية ميناء إيلات .. مع تقديري الشديد ، ميناء إيلات أقيم والسيد محمود رياض موجود أمامنا ، وكاتب هذا الكلام في كتابه الأخير .. أقيم من قبل معركة ٥٦ .. أقيم من سنة ٥١/٥٠ .

الأستاذ محمود رياض : من ١٩٤٩ .

الأستاذ محمد حسين هيكل : من ٤٩ طيب .. أقيم من ٤٩ وكان موجودا ، وليس صحيحا أن ميناء إيلات أقيم .. أنا هذا هو السؤال الذى أنا كنت متوقعه .. وأن أناسا من أصحابنا سوف يركزون عليه .. وأنا موافق على التركيز عليه .. أريد أن أقول إنه أولا ليس صحيحا أن موضوع مرور إسرائيل من خليج العقبة أخفى عن الناس .. موضوع حدث وعندما جاءت قوات الطوارئ الدولية ودخلت في سيناء .. وكانت موجودة .. لم يقل أحد إطلاقا أن مصر سترجع تمارس ذات قوتها إلى كانت تمارسها مرة أخرى .. ومع ذلك

أنا لا أريد أن أسبق الكتاب .. ولا بأس من اضطرارى لسبق الكتاب .. خيرا أن لا يكون أحد من الأهرام هنا .. ولا أحد من الذين عندهم حق الكتاب .. لكن أنا ناشر في الكتاب مجموعة من الوثائق توضح أو ترد .. بين توضح تماما حقائق هذه النقطة ..

أولا : هناك تركيز شديد جدا على أهمية حكاية خليج العقبة ولي رجاء عند أناس كثيرة جدا ممن يركزون عليها .. أن إسرائيل أحيانا تركز على أمور ، ويبقى الهدف معنويا لا أكثر .. ليس مها جدا إلى هذه الدرجة ، فتح خليج العقبة حيث حدث في السنوات العشر السابقة لـ ٦٧ يعنى منذ وقت فتح الخليج حتى وقعت حرب ٦٧ كان عدد السفن الاسرائيلية التي مرت في خليج العقبة اثنين فقط ، وهذا واضح في برقية يوثان سنة ٦٧ .. مايو ٦٧ ولو هذه قضية ثانية .

خليج العقبة حينما انتهت الحرب وبدأ يحدث الضغط على الجلاء ، وأمريكا تضغط على إسرائيل لأجل الجلاء .. وداخلة بعد هذا بخط آخر .. بمشروع ايزنهاور .. أفرحتهم .. وانسحبوا ... الانجليز رحلوا .. الاسرائيليون خرجوا من سينا .. الإدارة المصرية عادت لغزة .. بقی موضوع خليج العقبة .

وقتها رحبت مصر .. إن المملكة السعودية تحاول أن تدخل معنا بكل الوسائل في موضوع إخراج .. في موضوع خليج العقبة .. وموجودة في الكتاب القادم رسالة من الملك سعود يرجو الرئيس جمال عبد الناصر ألا يؤزم الموقف لأنه .. الأمريكان وصلوا إلى آخر الشوط .. ولأن جزيرة صنابير وتيران جزر سعودية في الأصل .. هذا ما قيل وقتها وكانت حجة معقولة جدا .. أنه والله طيب السعودية .. لقد استفدنا .. أنا أريد أن أفهم حينما يصل أحد إلى .. وقف العدوان الانجليزي الفرنسي ويوقف اسرائيل .. ويرجع فيدخل سينا .. ويرجع بالإدارة المصرية لغزة .. ويلغى معاهدة سنة ١٩٥٤ .. ويلغى أى حجة في قناة السويس إلا إعلان من طرف واحد .. فيكون قد حقق ٩٩٪ من أهدافه .. في هذا الجوا المشحون كله .. وفيه خطط أمريكية مقبلة في المنطقة خليج العقبة ..

طيب إن خليج العقبة ليس بهذه الأهمية إلى هذه الدرجة التي تتناول الحديث عنه .. إننا أحيانا نسير وراء إسرائيل لا أريد أن أقول إنها أحيانا تخطط لنا .. وإلى على سبيل المثال أطرح نموذجا .. إن إسرائيل اليوم تقيم الدينا لكي تعترف بها منظمة التحرير الفلسطينية .. إليكم دولة نووية .. قوة عظمى محلية ، تطلب من فريق من اللاجئين المشردين .. وتقول لهم اعترفوا بي .. ماذا هو المطلوب ؟ .. مطلوب الاعتراف ؟ .. إن إسرائيل تجد تكئات .. أو تجد حاجات لقضايا معنوية .. أما الأهمية الخطيرة الخرافية .. فيه مهمة جدا .. طبعا الفريق فوزى ممكن يصحح لي ويقول الإطلال على البحر الأحمر .. نعم الإطلال على البحر الأحمر .. لكنك وقد حققت ٩٩% مما كنت تريد .. ثم واحد في المايه جاء رجاء من أكبر حلفائك وهم السوريون وغيرهم .. والسعوديون .. وقالوا ألا تؤزم الموقف أكثر من هذا .. لم يعد في المستطاع أن يتحمل الموقف أكثر من هنا .. وبعث إليك الملك سعود رسالة بتوقعيه .. يقول لك وهذه جزر سعودية تيران وصنافير .. دعونا نحاول مع الأمريكان في جو أقل توترا وحدة .. نستعيدهم .. فأنت إزاء كل ما أخذته قبلت هذا .. وعندما نظرت لحركة الملاحه في خليج العقبة .. كما أقول .. نعم كانت هناك سفن أخرى تمر .. والمراكب الاسرائيلية اللي فاتت التي مرت في عشر سنين اثنان ..

هل كان الأمر يستحق أن آخذ موقفا أبدد فيه ٩٩% من المعركة .. وأسير وراء قضية لا لزوم لها .. فضلا عن أن هناك طرفا آخر .. ومن سوء الحظ ، ومع الأسف الشديد .. أن بعض الذين تعهدوا .. والذين كان في مقدورهم .. والذين كان في إمكانهم يكملوا هذا .. لم يكملوه .. وبالعكس بدأوا يهاجمون يقولون أه خافين .. قوات الطوارئ موجودة في خليج العقبة .. ثم إن هذا الموضوع لم يحدث إخفاؤه .. كان موضوعا قائما .. ظاهرا للعيان .. معروفا .. ومع الأسف الشديد لست أدري من أين جاءت أسطورة أن أحلنا أخفى هذا الموضوع .. لم يتم أحد بإخفائه .. هذا موضوع أعلن في الأمم المتحدة ونشر في الجرائد المصرية .. وفي كل الجرايد ..

نعم لم يحدث تركيز عليه .. لن تقول كل يوم ان الاسرائيليين يبرون في خليج العقبة .. لكن سفينتين اثنتين مرتا.. في عشر سنين.. إذا ماذا تعنى هذه القصة ..

الأستاذ أحمد حمروش : أرجو الأستاذ محمود رياض يتفضل ..

الأستاذ محمود رياض : هو الأخ هيكل الحقيقة أدى وصف كامل للجو في ذلك الوقت يعنى أثناء المعركة بتحسب الخسارة والمكسب فالمكسب اللى وصلنا له كان مكسب .. إذا كان ذكر ٩٩٪ .. ممكن الإنسان يقول ٩٩,٩٪ .. كأن أكبر من هذا بكثير جلا .

كان مكسب مصر في ذلك الوقت كنا نواجه أكبر امبراطوريتين كما شرح ومعهم إسرائيل وإضافة قصيرة .. بالنسبة للمعلومات ، أقولها للإخوان الذين توجهوا بالسؤال .. إنه كان من ضمن قرار الأمم المتحدة الخاص بالانسحاب .. ، ما تدخل الأمم المتحدة .. وكما ماشرح السير أنتوني ناتنج دور الولايات المتحدة .. فإن دور الولايات المتحدة كان أساسيا .. والأمم المتحدة في ذلك الوقت كانت تسيطر عليها .. الولايات المتحدة .. كانت نظرية ايزنهاور أن يستخدم الأمم المتحدة وهي الجهاز الدولي لخدمة المصالح الأمريكية .. ومن هنا استطاع أن يضغط على إنجلترا وعلى فرنسا .. صحيح إنجلترا عن طريق الدولار - كما ذكر السير أنتوني ناتنج - ولكن عن طريق جهاز مشروع اللى هو جهاز الأمم المتحدة .. من ضمن الشروط الخاصة بعملية الانسحاب عن طريق الأمم المتحدة .. ترجع تقول إنه قرار من الأمم المتحدة .. إصرار ايزنهاور على أن هذا القرار ينفذ دون قيد أو شرط .. ومن هنا استغل عبد الناصر هذا القرار بأنه أرسل القوات .. والحاكم العام المصرى لقطاع غزة .. أرسله لغزة ، وكانت .. اسرائيل بترفض .. وإذا كانت إنجلترا وفرنسا انسحبوا سنة ٥٦ .. فاسرائيل بقيت موجودة في غزة لغاية مارس ١٩٥٧ .. بقيت تحاول الضغط على ايزنهاور حتى تبقى في غزة .. الخلاصة أن عملية الانسحاب كانت تتم .. بناء على قرار الأمم

المتحدة ونحت إشراف الأمم المتحدة ، ووجود قوات من الأمم المتحدة .. فبالتالى قوات الأمم المتحدة كانت بتمشى وراء القوات الاسرائيلية .. ومن ضمن وجودها طبعا تواجدت فى غزة .. ومن هنا فوجئت قوات الأمم المتحدة بدخول الحاكم فى ذلك الوقت ومعاه الإدارة المصرية .. ولكن قوات الأمم المتحدة بقيت فى شرم الشيخ .. فكان لايمكن فى الواقع لمصر النهارده أن تعيد الوضع إلى ماكان عليه عندما صدر قرار إغلاق شرم الشيخ سنة ١٩٥٠ وقد شارك فى هذا القرار .. أستاذنا الكبير وحيد رأفت .. وقد كان هنا سنة ١٩٥٠ كان لايمكن لمصر فى ذلك الوقت ، الحقيقة أن تعيد الوضع إلى ماكان عليه سنة ١٩٥٠ إلا بأن تستخدم القوة ضد قوات الأمم المتحدة .. وتطردها من شرم الشيخ ، وهذا معناه أننا نتجاوز حدود قوتنا .. ويجب ألا ننسى أن الانتصار كان انتصارا سياسيا ، ولم يكن انتصارا عسكريا .. صحيح وراه مقاومة الشعب التى ساعدت على كسب الوقت .. وتكوين الرأى العام الدولى كما أشار الأستاذ هيكل بجانب العملية المصرية .. ولكن كان هناك استحالة مادية أن تقوم أيضا بطرد قوات الأمم المتحدة التى وقفت بجانبك وسكرتيرها الذى كان فعلا يقف بقوة بجانب الانسحاب الإسرائيلى دون قيد أو شرط ..

وأكنى بهذا ، فقد أطلت .

الملك حسين .. والمعركة .

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للأستاذ محمود رياض على كلمته التوضيحية القيمة وسؤال إلى الأستاذ هيكل من الأستاذ سعيد كمال عضو المجلس الوطنى الفلسطينى يسأل يقول :

حتى الآن أفهم وفى إطار حديثك عن إدارة الأزمة .. لماذا طلب الزعيم جمال عبد الناصر من الملك حسين عدم دخول المعركة .. بعد أن استعد الملك للدخول .. ولماذا استجاب لنفس الطلب فى عدوان ١٩٦٧ .

الأستاذ محمد حسنين هيكل : أستاذن الأخ سعيد .. هذا سؤال واحد يعرف كل

حاجة عارف التفاصيل : فقط أنا لاأسايرك.. لو سمحتلى لن أستطرد معك.. سأتحديث عن الجزء الخاص بـ ٥٦ .. فلنترك ٦٧ وسوف أكمل فيما بعد ١٩٥٦ لو نذكر.. أولا لم يكن هناك تنسيق مع الأردن .. ولم يكن هناك نوع من التنسيق الكافي مع الأردن.. ولو أن القائد العام للجيش المصرى كان موجودا فى الأردن قبلها .. ولو أن كنا بنساعد الأردن قبلها .. ولو أنه كنا نعطى طائرات للأردن .. وقد بعث الملك حسين بخطاب للرئيس جمال عبد الناصر يشكره على هذه الطائرات قبل المعركة بثلاثة أيام .. لكن فعلا لم يكن هناك تنسيق كامل .. كان عندك سلاح سوفيتى لم تستوعبه وكنت تحاول أن تجهز نفسك عليه .. لكن جمال عبد الناصر كان مدركا باستمرار سواء فى ٥٦ وفى ٦٧ .. لن أتكلم فى ٦٧ ، حيث ستجىء ظروفه .. ٥٦ مدركا .. أمر الضفة الغربية .. والقدس لها وضع خاص .. وأن اسرائيل إذ دخلت فلن تخرج .. وبالتالي فإن الملك حسين لما كلمه فى التليفون .. وكلمه وقد بدأ .. يعرف أننا .. الأخ محمود رياض أشار لمسألة مهمة جدا وهى أنها لم تكن حربا عسكرية .. إن الأمر لم يكن انتصارا عسكريا .. أنا قد أختلف مع هذا . لا أقول إنه كان انتصارا عسكريا .. لكن أنا لا أفرق بين ما هو سياسى وما هو عسكرى .. أنا أقول إن الحرب كلها عمل سياسى كامل تدخل فيه القوة المسلحة كأحدى عناصره .. فى مرحلة من المراحل ..

حينما تقول إن الملك حسين اتكلم فى التليفون ١٩٥٦ .. اتكلم امتى .. لقد تكلم بعدما تدخل الاسرائيليون .. الاسرائيليون تدخلوا .. ولا يصح أن تفوتنا نقطة مهمة جدا .. وهى واضحة فى تقرير جنرال لاسكوف .. وهذا التقرير كل واحد يقرأه .. جنرال لاسكوف.. ماذا يقول فى تقريره .. إنه يجرى نقدا للجيش الاسرائيلى فى معركة سيناء .. رغم كل الضجة اللى أثارها ديان فاذا قال .. قال إنه بادئ ذى بدء ، أن قائد الجيش الاسرائيلى كانت لديه معلومات مسبقة بأنه بعد ٤٨ ساعة سوف يتدخل الإنجليز والفرنساويون فى القناة .. وبالتالي لم يكن راغبا فى دفع أية قوات لأى معارك حقيقية قبل أن يتدخل الإنجليز

والفرنساويون .. وبالتالي عندما هجم اللواء السابع بقيادة سمحون على مواقع الكونتيتلا ، ولقت به خسائر في هذه المعركة .. خسائر شديدة جدا .. راح ديان وأوقفه .. وقال لماذا تدخل بجيش تلحق به خسائر ، إذا كنت تعرف أن هناك قوة أخرى ستدخل ورائك .. وأن دورك هو دور المناورة السياسية لكي نخلق .. ذريعة لقوات الغزو التي ستدخل بعد ٤٨ ساعة .. وإلى حين أن يدمروا الطيران .. فلماذا تفسد خططنا .. ولكن يبدو أن القائد المحلي للواء السابع لم يكن يعرف المؤامرة .. الترتيب .. لكن الذي حدث أن اللواء السابع في معارك الكونتيتلا قد عزل قائده ، وكانت عنده خسائر كبيرة جدا .. ذات الشيء .. حيث في كل مرة كان فيها صدام حقيقي .. سواء على الحدود .. على خط الحدود .. أو سواء في معركة ممر متلا .. في كل مرة في هذه المناطق تكبدت القوات الاسرائيلية خسائر لا بأس بها جدا .. إنك تقول إننا في الآخر انسحبنا .. أنت انسحبت وفقا لخطة أنت قررتها ، وإلا كان الجيش يتعزل .. ويتقطع نصفين ..

أرجع لسؤالك مرة أخرى .. وبالتالي أنا .. لأعتبر أن مصر قد هزمت أو أنه لم يكن هناك انتصار عسكري .. الدور العسكري كله .. الدور العالمي والدولي والاستراتيجي في الأزمنة أخذ كل حاجة ولم يترك أى شيء .. الذى حدث في الرملة .. معركة سينا كلها لغاية ما دخل الانجليز والفرنساويون .. كانت كلها عمليات ناس يتعثرون في الرمل وأنا أذكر أنه لما لقيت الرئيس مباشرة بعد الدخول الاسرائيلي .. كان يستغرب .. ماذا يفعل هؤلاء الجماعة في الرمل .. ولماذا لا يتقدمون .. إنهم لا يفعلون شيئا .. لكن واضح أنهم يريدون الإشارة لحلفائهم بأنهم بدأوا .. فأوجدوا العذر .. والثاني سيدخلون .. نعود بعد ذلك للملك حسين .

في هذا المناخ .. حينما تكلم الملك حسين في التليفون .. أولا يتحدث التليفون .. على التليفون المفتوح .. يقول : سيادة الرئيس نحن تحت أمرك

وجاهزون .. وهو عارف ، راي حد عارف أنه لم يكن أحد جاهزا .. فقال له في التليفون - والمكالمة موجودة ومسجلة - يا أخ حسين .. أنا مش هامني .. احنا حنحارب معركة والمعركة طويلة .. وواضح أن فيه وراها قصد .. وأنا أخاف أنك لو أنت تدخلت .. الضفة الغربية والقدس قد تكون معرضة .. وإذا دخلوا فلن يخرجوا وبالتالي ده كان موضوع ٥٦ ..

٦٧ قضية أخرى نرجئ الحديث عنها .. بإذتك .. والغريب أنك تعرف من تفاصيلها زى ما أعرف .. لكن أنت تستدرجني في نزاعك مع الملك حسين .. لن أدخل معك في هذا المضمار ..

الأستاذ أحمد حمروش : سؤال من الدكتور مصطفى كامل السيد : لماذا في تقديرك وافقت الحكومة على فكرة هيئة المتفعين في أواخر أكتوبر ٠٠٥٦ هل كان ذلك علامة على تراجع في الموقف المصري من التأميم الكامل لشركة قناة السويس ..

الأستاذ محمد حسين هيكل : بادئ ذي بدء ، ليس في علمي أن مصر تراجعت وقبلت هيئة المتفعين .. إن الذي أعرفه أمران :

الأول : أنه حتى محادثات نيويورك : الدكتور فوزى - همرشولد - بينو .. وصلت إلى تقريبا طريق مسدود .. ثم تقدم همرشولد بمذكرة رأى فيها أن يلخص مواقف جميع الأطراف ويبحث بها لجمعهم على أساس أنه سوف يقابلهم بعد ذلك في جنيف ، وتبقى هذه المذكرة أساسا للمحادثات .

مصر قبلت .. في بادئ الأمر .. من أول يوم .. بأن المتفعين إذا أرادوا .. أن يبقوا لجنة استشارية تكون منهم لجنة استشارية تبدى رغبات المتفعين لهيئة القناة .. سواء فيما يتعلق بمشروعات التوسيع .. أو خطط المستقبل ..

لكن ليس في علمي أنه رأى في وقت من أوقات الأزمة .. ليس هناك مايدل على هذا إطلاقا .. إني أتحدث عن ورق الأزمة ومستلثاتها وما أعلمه والواقع .. أن مصر لم تقبل بهيئة المتفعين إلا أنه يمكن أن يعملوا منهم لجنة

استشارية تسمع منهم الهيئة المصرية لقناة السويس ماقد يعن لها بشأن التجديد أو التوسيع أو مشروعات المستقبل .

موقف الشعب :

الأستاذ أحمد حمروش : سؤال من الأستاذ الدكتور أنور عبد الملك : هو سؤال مشترك للأستاذ هيكل والسير أتوني ناتج : يقول بصراحة ماذا كان تقدير كل من :

١ - الحكومة البريطانية .

٢ - قيادة الثورة المصرية (وليس فقط الرئيس جمال عبد الناصر) .

أولا : لموقف الشعب المصرى .. وفي حالة حدوث عدوان عسكري إسرائيلي غربي ضد مصر ردا على تأميم قناة السويس .
ثانيا - تأثير هذا الموقف على تطور المعركة .

الأستاذ محمد حسنين هيكل : تقدير قادة الثورة المصرية وليس فقط الرئيس جمال عبد الناصر :

أولا : لموقف الشعب المصرى فى حالة حدوث عدوان عسكري إسرائيلي غربي ضد مصر ردا على تأميم قناة السويس .

موقف الشعب المصرى بالنسبة للرئيس عبد الناصر لم يكن إطلاقا موضع شك .. كل القيادة المصرية فيما أعلم وباستثناءات قليلة لا تكاد تذكر .. كما يحدث فى أى مناقشة موجودة ، بين أطراف متساوين يبحثون موضوعا معينا .. اختلفت اتجاهاتهم .. لكن الرأى الغالب ورأى جمال عبد الناصر على وجه التحديد : أن مصر لم تكن تملك بديلا غير رفض الإنذار والاستعداد للقتال ..

وقد ضربت محطات الاذاعة أول يوم وثانى يوم وحينما نزل فى الشارع وقال حقتاقل .. كل الناس وراءه قالت حقتاقل .. وكان هو الشعار الوحيد ..

كانت هناك مجموعة من السياسيين القدامى مثلا .. وحدث في وقتها ..
اجتمعوا وقالوا لهم يلقون بالبلد في داهية وكذا وكذا ويعملون حكومة استسلام ..
هنا له لا يقاس عليه .. وهذا ليس قيادة الثورة ما أعرفش الأستاذ أنور فين؟

الدكتور أنور عبد الملك : أهوه ..

الأستاذ محمد حسين هيكل : آه ...

لكن الشعب المصرى وجمال عبد الناصر .. والقيادة على ما أعتقد .. أو الجزء
الأكبر من القيادة لم يكن لديه مجال آخر .. وأذكر وقتها أن الرئيس جاء وسأل
كل الذين يشتغلون معه ، عما إذا كانوا مستعدين لأى معركة نظامية ..
ولمعركة غير نظامية .. وسأل أناسا كثيرين .. أنا منهم .. عما إذا كنا مستعدين
نكمل حرب تحرير شعبه حتى بالتزول تحت الأرض .. وأنا أتصور أن هذا كان فى
ذهنه .. احتمال الاستسلام لم يكن واردا على الإطلاق .. وكان تصوره أنها
معركة ممتدة ومستمرة .. نظامية وشعبية لآخر مدى ..

وبالتالى فإن الشعب المصرى لم يكن .. بالنسبة لتقدير جمال عبد الناصر أو
بالنسبة للقيادة المصرية .. موضع شك ..

ومن أوضح الدلائل أنه حدث فى أول يومين أو ثلاثة ، أن وزعت فى
الشارع المصرى مائة وخمسين ألف قطعة سلاح .. هذا كان أول دليل على ثقة
فى الشعب المصرى .. ودليل على الرغبة فى المقاومة والاستمرار فيها لآخر مدى ..

الأستاذ أمين هويدى : بدون كشوفات ..

الأستاذ محمد حسين هيكل : نعم ؟ آه .. بدون كشوفات .. أهو السيد أمين
هويدى حتى يقول كيان بدون كشوفات .

سير أنتونى ناتنج : إني على ثقة أكيدة بأن الحكومة البريطانية لم تكن تتوقع أن
تكون المقاومة المصرية بهذا القدر من القوة الذى ووجهت به وخاصة فى
بور سعيد .. بل إني أعتقد أن الحكومة بل والشعب البريطانى قد استقبلوا بالذعر

الأفلام الإخبارية التي حملت صور الدمار الذي حدث في بورسعيد في سبيل إخضاع تلك المدينة للسيطرة البريطانية .. للسيطرة الانجلوفرنسية .

وأنا أعتقد أنه ربما الخطأ الذي ارتكبناه أننا لم نقدر هذا الموقف بل إن عنف المقاومة المصرية وفعاليتها كان أمرا غير مفهوم لنا بتاتا.. لم نأخذ في اعتبارنا مشاعر الشعب المصرى .. ومشاعر الجيش المصرى ..

لقد كانت الروح المعنوية للجيش المصرى والروح المعنوية للشعب المصرى - بعد ظهور عبد الناصر مختلفة تماما عما كانت عليه في حملات سابقة .. وبالذات الحملة ضد إسرائيل عامى ٤٨/٤٩ .. ومن ثم فقد كانت بمثابة صدمة غير متوقعة للحكومة البريطانية أن تكون المقاومة المصرية من القوة بهذه الدرجة التي واجهناها ..

وبالطبع فقد أخطأنا التقدير أيضا في حساباتنا حيال ما كنا نتصور أننا سنواجه من مقاومة على طول العالم وعرضه .. وربما - من هذه الناحية - كنت أنا إلى حد ما أبعد نظرا عندما رجوت - أنتوني ناتنج - إيدن أن يفكر مليا يفكر قبل أن يورط نفسه في هذه المغامرة .. قلت له « لا أظن أنك تستطيع أن تواجه الأمم المتحدة والولايات المتحدة والعالم العربى والكومنولث البريطانى وحزب العمال .. قد تستطيع أن تواجه واحدا أو اثنين من هذه القوى ولكنك لن تستطيع مواجهة الخمسة كلهم في وقت واحد .. » ولقد ثبت بالطبع أن هذه القوى التي كانت ضدنا .. كانت أقوى بكثير جدا .. ومن ثم فقد كان تقدير إيدن علينا أن ننسحب حتى من قبل أن نبدأ في إتمام العملية .

الأستاذ محمد حسنين هيكل : أنا حاسم لنفسى بتعليق سريع على الكلام ده .. إن من الكتب الهامة جدا .. التي تشر هذا العام عن السويس في اعتقادي .. الكتاب الصادر عن « سيرة إيدن الشخصية » والذي أعطت إيدن إيدن لكتابه جميع الأوراق الخاصة بزوجها .. لأنها كانت راغبة جدا في الدفاع عن سمعته .. إن الأوراق تتضمن أشياء مهمة جدا .. بما فيها محاضر الوزراء البريطانى ..

وبما فيها محاضر اللجنة الخاصة بالسويس التي كانت مشكلة لإدارة الأزمة يوما بيوم .. وفي هذه الأوراق تتضح أن تقدير إيدن للشعب المصري ، هو أنه لدى الإنذار .. لدى سماع الإنذار .. سيثور في القاهرة ضد حكومته ويسقطها .. فإذا فاتت هذه الفرصة .. ففور بدء الضرب الجوي .. فإن الشعب المصري سينهار ويخرج إلى الشوارع يكسر وينهب .. وأنه لن تمضي ساعات إلا وتكون حكومة القاهرة في الخارج .. « برة » ..

ومن ضمن الأمور التي قالها للجنرال كيتلي .. لما بدأ هو يضغط جلا .. وهذا واضح في الورق .. في ورقة الخاص .. لما بدأ جنرال كيتلي يضغط من أجل زيادة الاستعداد .. واحتياجه لمزيد من الوقت يقول مثلا القيادة العسكرية في خطة موسكاتير .. وبعدها في هامل كار .. بدأ القواد العسكريون يطلبون أسبوعا كاملا للضرب الجوي .. وكانوا يقولون إنه .. يستعجلهم باستمرار .. فكان هو يرد عليهم بأنهم يبالبغون كثيرا في الطلبات العسكرية .. وأنهم يريدون قوات أكثر من اللازم .. وبأن العسكريين جميعا عادة قبل ما تبتدى معركة يريدون السماء والأرض تحت تصرفهم .. فضلا عن أنهم قد لا يخوضون هذه المعركة أصلا .. لأنه اللحظة .. ثلاث لحظات مهمة قوى :

لحظة توجيه الإنذار .. لحظة بداية الضرب .. لحظة ظهور الأساطيل أمام بورسعيد ولن تبقى مقاومة مصرية ..

أما الذي حدث فكان العكس تماما .. ولكن هكذا كان تقديرهم للشعب المصري .

وعندى سؤال من الدكتور بلتاجي :

ذكرتم أن جميع عناصر الموقف كانت واضحة تماما وبدقة مذهلة .. لدى جمال عبد الناصر .. عند اتخاذ قرار التأميم .. ما عدا عنصر واحد : التلخل العسكري الاسرائيلي .. هل يعكس ذلك في تقديركم نوعا من الإقلال من أهمية دور اسرائيل بصفة عامة في فكر جمال عبد الناصر ؟ - لأ .. لكن هو .. نحن فيما

قبل لو تذكرون .. الموضوع كان موضوع اسرائيل .. قوات الجيش الرئيسية كلها كانت موجودة في اسرائيل .. أنا قد أختلف مع سيرانتوني في أن ظهور التواطؤ مع اسرائيل بدأ بتأميم قناة السويس .. أنا أرى أمامي شواهد تدل على أن استعمال بريطانيا لاسرائيل كان موجودا وواردا في الفكر الانجليزى باستمرار ..

إلى درجة .. أن فيه هناك تأشيرة أرسلت إليه هو .. سيرانتوني إيدن .. وقت الاشكالات التي حدثت قبل توقيع اتفاقية الجلاء مباشرة .. هناك تأشيرة من .. سير ونستون تشرشل على ورق .. على ورقه هو .. أرسلها جون كولين سكرتيره إلى سكرتير إيدن .. نص .. صورة من التأشيرة .. وجدت .. بالتأكيد السير أنتوني ناتنج لأنه كان موجودا ..

ماذا قال فيها ؟ .. تقريبا معناه : كونوا متشددين مع المصريين ولا تستمعوا لهذا الهراء وأفهموهم أننا في أى لحظة .

هذا كلام موجود .. كاتبه سير ونستون تشرشل في تأشيرة رسمية على ورقه .

في سنة ١٩٥٤ .. وكررها مرة أخرى سنة ١٩٥٥ .. وأمورا من هذا القبيل ..

الدور العسكى الاسرائيلى .. منذ نشأة اسرائيل .. واضح في ذهن كل واضعى السياسة المصرية .. في الواقع يعنى ..

ماذا كان التصور في قناة السويس .. في أزمة قناة السويس ؟ فيما قبل أزمة قناة السويس سحبت قوات الجيش التي كانت في سينا تتمرن تتدرب .

فيه ورقة من مدير المخابرات العسكرية المختص بالشرق الأوسط .. كولونيل راب .. يقول فيها : ياالله .. المواقع المصرية خالية .. لماذا لا نلقت نظر الاسرائيليين لكى يعملوا فيها شيئا .. وقتها كتب خبراء وزارة الخارجية وكتب سير وليم سترانج .. وسيرانتوني من المؤكد أنه متابع هذا .. قال هذه لعبة خطيرة ولا داعى لها الآن .. وبعد ذلك جاءت إشارات ونستون تشرشل ..

في سنة ١٩٥٥ .. كانت سينا خالية .. في الواقع .. لأن كان قوات الجيش الرئيسية كلها كانت قد رجعت .. لتدرب على السلاح السوفيتي .. وفيما بعد بدأت توترات الحدود بغارة غزة .. ثم جاءت صفقة السلاح .. ومضى جزء من فترة التمرين .. كانت القوات ترجع بشكل معين ..

حينما بدأت أزمة قناة السويس .. كان موجودا في سينا مثلا - لا يصح لي الحديث بينا الفريق فوزى موجود - كان موجودا في سينا زهاء ثلاثة ألوية .. هذه الثلاثة الألوية سحبت لأنه لم يكن يخطر ببال أحد أن إسرائيل سوف تلعب هذه اللعبة .. لماذا ؟ .. إن إسرائيل :

١ - كانت تحاول تقدم نفسها لأفريقيا ولأسيا باعتبارها دولة أفريقية أسيوية .. فكان هناك تصور بأنها لن تقبل بهذه البساطة أن تلعب دور « مخب القط » بالنسبة للقوى الاستعمارية .

٢ - أنه بلا أن الانجليز والفرنسيين سوف يترددون مائة مرة في استعمال إسرائيل ..

لأن هذا سوف يؤدي إلى انهيار كامل لمواقعهم بالنسبة لأصدقائهم .. سواء في حلف بغداد .. أو سواء من منتجي البترول ، حتى الذين لم يضمهم حلف بغداد .. وبالتالي الخطر الإسرائيلي كان موجودا ومائلا .. لكن التصور الذي حدث خطأ في هذه المناسبة ، هو أنه لم يخطر ببال أحد .. أو على الأقل جبال عبد الناصر .. أنه لا إسرائيل يستهويها لعب هذا الدور أمام أفريقيا وأسيا .. ولا أن الانجليز والفرنسيين يرضون أن يلعبوا بها في هذا الوقت .. أمام حلف بغداد .. وأمام منتجي البترول العرب من أصدقائهم ..

لكن لم يكن هناك تهاون في هذا الشأن بمعنى .. إغفال للعنصر الإسرائيلي في هذه الأزمة .. لأنه عنصر أساسي وموجود يؤدي مهمة منذ اليوم الأول وحتى اليوم الأخير ..

رياح التغيير

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للأستاذ هيكل ..

فيه سؤالين من الدكتور أحمد صدق الدجاني واحد موجه للسير أنتوني ناتنج
والثاني موجه للأستاذ هيكل .. فإذا سمح لي الأستاذ هيكل فـ..أه ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : أرجوك ..

الأستاذ أحمد حمروش : سؤال إلى السير أنتوني ناتنج : واجهت بريطانيا في
أعقاب الحرب العالمية الثانية عالما جديدا برزت فيه قوى جديدة وتزايد فيه اهتمام
الولايات المتحدة الأمريكية بمنطقة الوطن العربي .. وتدفقت فيه ثورة التحرير في
آسيا وأفريقيا وأقيمت فيه إسرائيل ..

هل أعادت بريطانيا النظر في سياستها تجاه المنطقة ؟

ماهى المعادلة التى حكمت العلاقة بين السياستين البريطانية والأمريكية في
منطقة الوطن العربي قبل السويس ؟

السير أنتوني ناتنج : أعتقد أن الأمريكيين من بعض النواحي كانوا متقدمين على
البريطانيين في السنوات التالية للحرب العالمية في تقبل واقعية ما أسماه هارولد
ماكميلان « رياح التغيير في العالم » وذلك في كتابه الذى أصدره فيما بعد ..

لقد اتخذنا بالطبع - وذلك في ظل حكومة حزب العمال - ماتصورنا وقتها
أنها خطوة واسعة .. فقد منحنا الاستقلال للهند وباكستان .. ولكن عند هذه
النقطة لم يبد لنا وقتها أنه قد يكون أى داع لأن نذهب إلى أبعد من ذلك في
اتجاه تحرير المستعمرات .. مثلا في أفريقيا السوداء أو في بقاع أخرى من آسيا ..

وهكذا تجمدت بعد ذلك في بريطانيا عملية تسريح المستعمرات سواء في
ظل إدارة العمال أو المحافظين ..

وأعتقد - وأكبر اللوم في هذا يقع على كاهل حكومة المحافظين - أننا فشلنا في

أن نفهم إلى أى مدى كانت تعنى الموجة الجديدة للقومية العربية بالنسبة للعالم العربي ككل . وكيف أن وكيف أن عبد الناصر كان ينظر إليه على أنه الزعيم بل نبى هذه الموجة من الوطنية – وقد كان بالفعل كذلك – كنتيجة لنجاحه فى إزاحة القوات البريطانية من مصر وتحرير التراب المصرى من الاحتلال البريطانى .. وأعتقد أننا كنا متخلفين إذ لم نستوعب هذه الحقيقة ، وكان يجب أن نكون متفهمين أكثر مما كنا ، وأستطيع أن أدعى أنه كان لدى بعض التفهم لما يجرى لأنه أتيح لى أن أقضى بعض الوقت هنا فى القاهرة متفاوضا مع عبد الناصر ومع وزرائه وقد كنت آمل أنى عندما أعود إلى لندن فقد أكون قادرا على إقناع بعض الناس هناك .. أقصد فى مجلس الوزراء .. بأننا يجب أن نأخذ هذه الموجة الجديدة للقومية العربية مأخذا أكثر جدية .

وعلى أية حال وكما قلت فى كلمتى الافتتاحية فىنى أعتقدت أن أنتونى إيدن قد تقبل هذا الرأى – كبداية على الأقل – ولكن من المؤكد أن تشرشل لم يقبله .. وبالطبع فقد كان هناك تيار من الرأى قوى فى مجلس الوزراء .. وتيار من الرأى فى حزب المحافظين .. يرفض ببساطة أن يعترف إطلاقا بحقائق الأمور . والآن أعود إلى موضوع هذا الخطاب من ونستون تشرشل .. أنا آسف لم أفهم هل يمكنك يا محمد أن تشرحه لى ..

الأستاذ محمد حسين هيكل : لم يكن خطابا ولكنه كان مذكرة .. أنا أتكلم عن المذكرة الموجودة بين الوثائق البريطانية وأيضا فى ذلك الكتاب الذى يعد عن سيرة أنتونى إيدن الذاتية .. كانت مذكرة وجهها سير ونستون تشرشل إليك وإلى وزير الخارجية التى يقول فيها : أرجو أن تفهموا المصريين .. أن تقفوا بحزم أمامهم فإذا لم يبرعوا .. فإننا يمكن أن نطلق عليهم .. يجب أن يفهموا أننا يمكن أن نطلق عليهم اليهود .

سير أنتونى ناتنج : ضاحكا .. حسنا
الأستاذ محمد حسين هيكل : هل تذكر هذا ..

سير أنتوني ناتنج : لا أتذكر ذلك ..
الأستاذ محمد حسنين هيكل : لا تتذكره ..
سير أنتوني ناتنج : لا . لا ... لا أتذكره إطلاقا ..
الأستاذ محمد حسنين هيكل : سأطلعك عليها ..
سير أنتوني ناتنج : لا أعلم لى بأنها كانت موجهة .. هل أنت متأكد أنها كانت
موجهة لى ؟ لا يمكن أن تكون موجهة لى ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : لا .. لا .. لست متأكدا أنها كانت موجهة
لك . فأنا أعلم أن المذكرات التى كانت موجهة لك كانت متعلقة بالمقابلة التى
أجريتها مع السفير الاسرائيلى عندما ذهب إليك ليطلب منك التشاور معهم قبل
توقيع أى اتفاق مع مصر .. وأنه عليكم قبل أن تتركوا مصر أن تحصلوا على كل
الضمانات التى يجب أن تقدمها مصر لهم ..

ثم كتبت أنت مذكرة بهذا .. وكان أن وجه سير ونستون تشرشل
مذكرتين إحدهما موجهة إليك والثانية كان توزيعها عاما وأتصور أنك اطلعت
عليها ..

فى المذكرة الموجهة إليك قال ونستون تشرشل : يجب أن تكون فى منتهى
الحزم مع المصريين ويجب أن تقول لهم بكل الوضوح إننا لن نحقق تعاطفنا مع
إسرائيل وأنه يجب أن يعلموا بوضوح وبدون أى ظل من الشك أننا سوف
نؤيد إسرائيل .. ثم يطلب إليك ونستون تشرشل أن تحاول أن تكون رقيقا فى
مقابلاتك المقبلة مع السفير الاسرائيلى ويقول لك : ليست بنا حاجة إلى اللف
والدوران هكذا .. قل له إننا نساندهم وإننا سنقول ذلك للمصريين فليس
هناك ما نحجل منه ..

تشرشل وإسرائيل

سير أنتوني ناتنج : نعم .. فأنا أذكر عددا من المجادلات مع ونستون تشرشل حول موضوع إسرائيل .. فقد كان بالطبع صهيوني العقيدة .. ولم يكن لي من سبيل لمحاولة صرفه عن عقيدته .. بل على العكس فقد كان يحاول جاهلا أن يحاصر وزير خارجيته وأن يحاصرني شخصا ليفرض علينا التفاوض مع إسرائيل حول اتفاقية الجلاء مع ناصر.. ورغم ذلك فإنه لم يحقق شيئا من وراء إلحاحه هنا .. رغم أن ذلك قد يبدو مستغربا .. ولكن حقيقة إن ونستون تشرشل أخفق في ضغطه علينا.. ونحن لم نجر أى مشاور مع إسرائيل بخصوص اتفاقية الجلاء .. ولا يبنى ذلك بالطبع أن الإسرائيليين كانوا يحمون حولنا يطالبون بمعلومات .. ويريدون بين الحين والحين أن يعلموا إلى أى مدى تتقدم المباحثات .. ولكننا .. وزير الخارجية وأنا .. لم نر أن هناك أى داع بالمرّة ولا أى مبرر لكى نحيط الإسرائيليين علما مسبقا بمسار المحادثات بأكثر مما نطلع عليه أية دولة أجنبية أخرى عن الموضوع .. وهكذا بقيت إسرائيل على البعد اللازم مما يجرى .. ولكننى لا أذكر هذه المسألة .. مسألة إطلاق قوة إسرائيل .. إطلاق اليهود ضدكم ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : ساريك إياها ..

سير أنتوني ناتنج : ولكننى أذكر أنه فى عديد من المناسبات الأخرى .. عندما كنا نختلف .. ونستون تشرشل وأنا .. حول المدى الذى يجب أن نذهب إليه فى إطلاق السفير الإسرائيلى على محادثتنا مع مصر.. وعما إذا كان يجب على أن أكون رقيقا مع السفير الإسرائيلى أو غير رقيق معه ..

وأذكر مرة أننى كنت سعيدا جدا بأن ونستون تشرشل لم يكن حاضرا معنا عندما قابلت السفير الإسرائيلى فى أعقاب الغارة الإسرائيلية على غزة .. وقلت له إن صفقة الدبابات الستوريون القديمة التى كانت مخصصة لاسرائيل لن

يمكن إرسالها في هذه الظروف .. الباهرة ؟ كان السفير رجلا معتدلا هو ايلافو
رجلا رقيقا .

وعندما سمعنى السفير الإسرائيلى أقول هذا هب وافقا واندفع خارج الغرفة
وهو يصفق الباب وراه .. وعندما تصفق الباب في واحد من هذه المكاتب
العتيقة الواسعة يجيل إليك أن المبنى كله سوف ينهار .. وإبنى لسعيد حقا بأن
ونستون تشرشل لم يكن حاضرا في تلك المناسبة ..

أرجو يا محمد ألا تعتقد أنه بسبب أن تشرشل كانت له نظرة خاصة
للإسرائيليين أو أن كوننا متعاطفين أو غير متعاطفين معهم فتظن أنه - على أى
وجه - كان هناك أرضية للتواطؤ معهم قبل لقاء . جازت وشال في بريطانيا في ١٤
أكتوبر .. لم يكن هناك أدنى معرفة لدينا قبل هذا اللقاء بأن الإسرائيليين سيكون لهم
دور أنهم سيستخدمون ذريعة في العملية على الأقل لأنه لو كان لدى إيدن مجرد
هاجس عن ذلك لما ظل يعاني حالة الإحباط والحيرة التي لازمته حتى تلك اللحظة
التي تلقفت يديه هذا الاقتراح ..

إننى أذكر تلك اللحظة .. وأستطيع أن أقول إننى راقبت وجهه وهو
ينصت إلى شرح الجنرال شال للخطوط العامة للخطة .. أقصد اسقاط مظليين
فوق القنال للفصل بين المتحاربين .. أستطيع أن أقول إننى رأيت وجه إيدن
يشرق بالفرحة وكأنه فجأة قد وجد حلا لكل شيء .. وأصبح كل شيء في
مكانه الصحيح .. وكأنه قد وجد فجأة الفرصة السانحة حتى للتخلص من
ناصر هنا .. هاقد وجد الفرصة للحرب .. وللنصر أيضا كما كان يعتقد ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل :

على أية حال .. أنا لن أحاول أن أضرب الجسد الميت .. ولكننى أعتقد
أن ما بدا على سير أنتونى إيدن عندئذ كان بسبب الخطه .. بسبب أنه في النهاية
جاء الفرنسيون والإسرائيليون يقصدونه .. أو أن الفرنسيين عن أنفسهم ونيابة

عن إسرائيل قد جاءوه بذريعة قابلة للتطبيق .. ومع ذلك فأنا أعتقد أنه كان على علم مسبق بالتنسيق الذي كان يجري بين الفرنسيين والإسرائيليين .

وأنا لست راجحا بالغيب .. قد رأيت ذلك واضحا في الوثائق البريطانية كما رأيت واضحا في أوراق السير أنتوني إيدن .. حيث إن عائلته سلمت أوراقه إلى كاتب يتولى إصدار كتاب عن سيرة أنتوني إيدن .. وكان ذلك واضحا في الوثائق .. فهل اطلعت على ذلك الكتاب .. كتاب سيرة إيدن .

سير أنتوني ناتنج :

لم أطلع عليه بعد ..

الأستاذ هيكل :

يجب أن تراه لأنى أعتقد أن أولئك الذين أعطوا الوثائق لكاتبه كان لديهم الكثير ليقولونه عنك .. لذا من الأفضل أن تقرأه ..

سير أنتوني ناتنج :

وأغلب ظنى أن ماقالوه ليس فى غالبية إطراء لى .

الانسحاب من غزة

الأستاذ أحمد حمروش :

السؤال الموجه للأستاذ هيكل من الدكتور الدجاني يقول ليه تأخر الانسحاب الإسرائيلى من قطاع غزة حتى مارس ١٩٥٧ بعد أكثر من شهرين من الانسحاب الإسرائيلى من سيناء ..

كيف أدار الزعيم الراحل معركة فرض هذا الانسحاب ؟ وتحديد ماذا كان موقف مصر المبدئى من قطاع غزة ؟ وأخيرا ما هو دور شعب فلسطين فى القطاع فى إفشال تدويل القطاع ؟

الأستاذ هيكل :

تأخر الانسحاب هذا صحيح .. لأن إسرائيل كانت تتلصق بشدة في الانسحاب .. كيف أدار الرئيس عبدالناصر معركة فرض هذا الانسحاب ؟ أريد أن أقول إنه تأخر أسابيع بعد خروج الإنجليز هم والفرنسيون من بور سعيد .. أنا أعتقد أن المعركة الحقيقية للسويس كانت موجودة لأن إسرائيل كانت مصممة على أن لا تخرج ، إلا وقد حصلت على ضمانات على الأقل كافية سواء بالنسبة لتزج السلاح سينا ، لتدويل قطاع غزة ، أو بالنسبة للمرور في قناة السويس ، بالإضافة بالطبع إلى خليج العقبة .. وقد كانت هذه أصعب فترة من فترات المحادثات .. وكان هرشولد قد جاء هنا .. في إجازة عيد الميلاد .. ليقضيها هو مع قوات الطوارئ .. وقال للرئيس عبدالناصر إن الجزء المعقول من المعركة انتهى ، لكن الجزء التالي هو أصعب المراحل ، ثم قدم له افتتاحية في الجيروزاليم بوست مكتوب فيها أنه .. إذا لم تمر إسرائيل من قناة السويس فعلى هرشولد أن يستقيل .. لأن الناس انسحبوا .. إنجلترا وفرنسا انسحبوا على أساس أن فيه تسوية كاملة للمنطقة .. وأنا فإكر أن الرئيس جمال عبدالناصر أمسك بالافتتاحية التي بعث هرشولد بمن يحضرها من سيادته حيث كانت في حقبة السيارة خارج مكان الاجتماع .. أما إذا مروا فسوف أستقيل أنا ، والآن فالخالة بين إما أنت تستقيل ، أو أنا أستقيل .. هرشولد بدأ يدرك أنه لا فائدة في أن إسرائيل تمر من قناة السويس ولا في حكاية أن يتزع سلاح سيناء .. ولا في تأخير العودة إلى غزة .. ورغم أنه حاول ، والأمريكان حاولوا .. عايشها أن إيزنهاور أدلى بتصريح علني وأعطى تأكيدات مباشرة لأبا إيبان وجولدا ماثير بأن أمريكا سوف تنزل كل وسعها لمنع عودة المصريين إلى سيناء بقوة مسلحة كافية .. وإلى قطاع غزة على الاطلاق .. وأن الأمم المتحدة ستعقد الأمور .. رغم هذا كله .. فإن عبدالناصر أدار هذه المسألة في اعتقادي بطريقة في منتهى الهدوء وفي نفس منتهى البراعة وفي منتهى الدقة ، أما إن الفلسطينيين في قطاع غزة كان لهم دور فأنا أقول إن دورهم كان حيويًا

لأن موضوع الدخول كان تحديا مباشرا لتعهدات بلها الرئيس الأمريكى أولا للانجليز والفرنسيين كما أبدلها لغيرهم من خلفاء أمريكا وبالتحديد لإسرائيل .. الذى حدث هو أن الشعب .. الفلسطينى فى غزة حينما دخلت قوات الطوارئ ، بدأ هو يتظاهر فى الشوارع ضد قوات الأمم المتحدة ، لأنه بدأ يطالب بعودة القوات المصرية ، وبدأت المظاهرات فى الشوارع .. الحاكم المصرى العام الذى ذهب إلى غزة فجأة دون أن يشعر أحد .. فإذ حدث فى ذلك الصباح .. يومها حدثت مظاهرات فى غزة .. كانت قوات الأمم المتحدة هناك .. وقد عجزت عن صدها .. الشعب الفلسطينى فى غزة كان فى منتهى الروعة حتى الظهر وقد حدث أن أحد جنود قوات الطوارئ أطلق النار .. وبعث جمال عبدالناصر برقية لهرشولد .. قال فيها هل تقوم قوات الأمم المتحدة بحماية السكان أو تقتلهم .. دون أن يشعر أحد دخل الحاكم المصرى العام إلى غزة .. وراح مقر الحاكم العام وإذا بالشعب الفلسطينى كله فى غزة يحيط بقصر الحاكم .. إذ مبنى الحاكم العام المصرى هناك أصبحت قوات الأمم المتحدة فى وضع صعب جدا ، خصوصا أن الكتيبة اليوغوسلافية فيها بعدت .. وبعد اتصالات بين القاهرة وبلجراد أصدرت الكتيبة اليوغوسلافية بيانا عن طريق متحدث رسمى باسمها قال فيه إن الكتيبة اليوغوسلافية لن تشارك فى إطلاق النار .. وبعدت الكتيبة اليوغوسلافية ، وقد وجدت بقية قوات الأمم المتحدة التى كانت قد دخلت نفسها فى موقف حرج لا تستطيع معه إخضاع هذا البحر الهادر من البشر ، وفى هذه اللحظة والناس يحيطون بالمبنى .. دخلت طلائع أولها كان الحرس الوطنى الفلسطينى ، وبعد ذلك دخلت القوات المصرية لكن الشعب الفلسطينى لعب الدور الأساسى الذى مكن من عودة الإدارة المصرية ، ومن عودة الجيش المصرى إلى غزة .

الأخ دجانى الشعب الفلسطينى دوره محفوظ ولا أحد إطلاقا يتصور أنه قصر أو .. نعم يا أستاذ دجانى تفضل نريد أن نعرف ..

الدكتور دجاني :

سلام الله عليكم .. سأخذ دقيقتين فقط .

الأستاذ هيكل : ثلاثة ..

الدكتور الدجاني :

وأخشى أن القصد من السؤال بأن الأستاذ هيكل يعطى الشعب الفلسطيني دائما حقه وتحية له ، ولكنى فعلا أردت أن أستريد واحنا في الصفر على ما تفضل به هو والذي يسجل في تاريخ شعبنا ، إن علم الأمم المتحدة ، رفع في ذلك اليوم ، وإذا بقى شاب من أبناء قطاع غزة يتسلق السارية ويتزل العلم بيده وتكون تلك الإشارة إيلانا لثبة شعبية تستمر حتى يعود الحاكم العام ، ومن ثم يعود الحرس الوطني ومن ثم تعود القوة والإدارة المصرية .. ما أردته حقيقة بالسؤال هو أن أشير إلى ما أبرزه الأستاذ هيكل في حديثه الأول ، في مثل هذه اللحظات للجماهير دور خاص يجب أن يدرس والجماهير حين تتحرك تستطيع بالتلاحم مع القيادة أن تفعل المعجزات ، وهذا ما حدث في ذلك اليوم وشكرا ...

الرئيس : رجاء بالنسبة للزميل الأستاذ الجنيدي خليفة ممثل جبهة التحرير الجزائرية أننا نؤجل التساؤل بتاعه لأن هو نفسه متحدث في إحدى الجلسات الهامة في هذه الندوة وفاضل سؤالين علشان الأستاذ هيكل يطمئن .. سؤالين واحد من الدكتور حسن نافعة الأستاذ بجامعة الأزهر ، يقول ماذا كان الموقف فيما لو انتظر جمال عبد الناصر بضع سنوات بانتهاء عقد قناة السويس وتجنب عناء الأزمة !

الأستاذ هيكل : أول حاجة ورجائي لو أن الدكتور حسن نافعة كان اطلع على الوثائق البريطانية والفرنسية والامريكية أنه ابتداء من عام ١٩٥٠ و ١٩٥١ كانت هناك اتصالات وخطط توضع لكي يقوم نظام إدارة دولية لقناة السويس سنة ١٩٦٨ .. وإذن فالمعركة التي أنت واجهتها سنة ١٩٥٦ ، كنت

سوف نخوضها بالضبط سنة ١٩٦٨ ويضيع عليك ١٢ سنة وليس مضمونا وعلى وجه الاطلاق لو أن تسليم القناة سيتم بدون معركة. موضوع هيئة المتفعين وموضوع إدارة دولية لقناة السويس مطروح منذ الوقت الذي قررت فيه بريطانيا وفرنسا وأمريكا وتركيا قيام حلف الدفاع عن الشرق الأوسط .. مصر تأخذ دورا فيه فإذا لم تأخذ دورا فيه فلتكن هناك قوات دولية بما فيها قوات مصرية على قناة السويس .. إن قناة السويس لم تكن عائدة لمصر لا سنة ١٩٥٦ ولا سنة ١٩٦٨ والمعركة التي خاضتها ٥٦ كانت ستخوضها في ١٩٦٨ ، وفي ظروف أكثر صعوبة ، فضلا عن هذا تعالوا إلى جو الأزمة الذي كنت بصدد الحديث عنها ، وجو التحدي وأنت مطالب بالرد ، وتريد بناء السد العالي .. أنا أعتقد أنه فيما يتعلق بقناة السويس فإن الانتظار غير مطروح ، لأن معركة ٥٦ كانت ستكون معركة ٦٨ وضياح ١٢ سنة ولن يتم تفادي نشوب معركة .. لقد خضت أنت المعركة في أكثر الظروف ملاءمة لك ، والعالم العربي كله معبأ لفترة طويلة جدا على مدى سنوات ست في جو تعبئة عامة قائم في العالم العربي بسبب صفقة السلاح ، بسبب رفض الأحلاف .. إلخ .. وإذن ليس صحيحا أن مصر كانت سوف تتسلم قناة السويس سنة ١٩٦٨ .. إذن .. فالانتظار في اعتقادي انتظار وهم لن يتحقق .

والخطط موجودة وجاهزة بما فيها وصف هيئة المتفعين ..

عبد الناصر وأمريكا

الرئيس : السؤال الأخير .. أرجو من الأستاذ هيكل أن يوضح لنا بالتفصيل تقدير الرئيس عبد الناصر للموقف الأمريكي قبل الأزمة وأثناءها .. الدكتور حسن نافعة .

الأستاذ هيكل : الدكتور حسن نافعة باستمرار عنده أسئلة صعبة جدا .. يا دكتور حسن إن هذا موضوع تستغرق في الحديث عنه إلى صباح الغد .. فلتحدث باختصار عن الظروف التي قامت .. إنه لا يفوتك أن أزمة قناة

السويس سبقتها أزمات كثيرة جدا ، رفض مصر أن تنضم إلى أحلاف ، وهذا بطبيعة الحال خلق مشكلة كبيرة جدا .. ثم كانت أزمة التسليح السوفيتي وهذه طبعا كانت مشكلة كبيرة جدا ، وبعدئذ كان واضحا لجمال عبد الناصر وضوحا كاملا بالنسبة له - وأنا هنا لا أريد أن أبين بوضوح كامل برضه أسبق الكتاب لكنك سوف ترى فيه لأول مرة فيما أعتقد وأنا لست بصدد الدعاية لكي تشتري الكتاب فسوف أعطيه لك ، وسوف تطلع فيه على ما يمكن من وثائق هامة .. إن اندرسون إذ سحب قرض السد العالي فإن ذلك في الواقع جاء ردا على رفض جمال عبد الناصر أن يوقع مشروع معاهدة صلح مع إسرائيل قدمت له باسم الرئيس ايزنهاور . وإذن فالوثيقة ستجدها في الكتاب وستجد فيه الجواب الذي كان مفروضا أن يرسله جمال عبد الناصر إن هذا الأسلوب جرى اتباعه كثيرا للأسف فيما بعد .. يرسلون إلينا جوابات ونمضيها يعني .. لكن وقتها بعثوا إلينا بخطاب واحد ، هو مشروع معاهدة مع إسرائيل .. ثانيا : مشروع خطاب يبعث به جمال عبد الناصر إلى ايزنهاور ، يقول له فيه إننا جاهزون وكلنا وكلنا إلى آخره . وإذن فجمال عبد الناصر كان مدركا خلال أزمة السويس فيما قبلها وفيما بعدها أن الخلاف الأمريكي البريطاني إنما هو خلاف على الأساليب وليس خلافا على الأهداف وكان هذا شأنه طوال معركته .. ومن الممكن أن أضيف شيئا فأقوله إنه لو أن أحدا سيحضر محاضر مجلس الوزراء ولست أدري هل كل الحاضرين هنا وزراء لاحقين فيهم أنا يعني ولكن الوزراء السابقين الذين كانوا موجودين في الأيام الأولى للثورة يذكرون أنه حدث في جلسة من مجالس الوزراء ، بعد أن جاء دالاس ومضى في ١٩٥٣ ، أن جمال عبد الناصر دخل المجلس فنادى قال بالحرف تقريبا قال من الظاهر إننا سوف نخلص من «الرايحين وبعدين نتعامل مع الجايين» تعبير الراجحين والجايين كان باستمرار يستعمل عن الانجليز والأمريكان مع اختلاف الأهداف والأساليب واعتماده باتفاق الأهداف ، ولو أن أحدا يطلع على أوراق ايزنهاور .. إن مجموعة أوراق ايزنهاور؟ موجودة كاملة في مكتبة ايبيلن ولست أدري لماذا لا يحضرها إخواننا المهتمون بالدراسات لماذا لا يذهبون لإحضارها فهذا واجب ..

سوف تقول لهم الأوراق إلى أي مدى كان ايزنهاور متورطاً أو كان داخلاً في خطط قلب جمال عبد الناصر ولكن بوسائل أخرى » يعني كان عايز يأخذه من وسط العالم العربي لقد أخذه أولاً بإحداث الواقعة بينه وبين السعودية ، وبعدئذ أخذ سوريا منه .. ثم عزله وحده وبعدئذ ضربه وحده وهذا لم يكن خافياً على أحد . وكانت خطابات اندرسون التي رفض توقيعها كافية جداً في هذا الشأن ولم يكن هناك خلاف ذلك وفي ظني أننا فرغنا من حديثنا ..

الرئيس : لا لسه الأستاذ هيكل خلص إجابة فعلاً ولكن إن شاء الله بكرة الصبح حايلتقى معكم رئيساً لجلسة الصباح في العاشرة صباح الغد جلسة اليوم لو إذ نتولى ويمكن ده برضه بيرضى الأستاذ هيكل شوية حانخليها الساعة الخامسة بدلا من الساعة الرابعة وهي عن موقف الاتحاد السوفيتي من أزمة السويس يقدمها الكاتب الكبير ديميتشكو عضو رئاسة تحرير البرافد والكاتب الأمريكي الشهير ستيفين جرين وتبدأ في الخامسة مساءً وجلسة الغد يرأسها الأستاذ هيكل غدا في العاشرة صباحاً . شكراً جزيلاً على إصغائكم ، ، ،

الجلسة الثانية :

رئيس الجلسة : الدكتور حلمى الحديدى

القسم الأول : كلمة ديمتشنكو وكلمة ستيفن جرين

موقف الاتحاد السوفيتى من تأميم القناة ومعركة السويس ب. ديمتشنكو

ليس من قبيل الصدفة أن عام ٥٦ الذى اندلعت فيه هذه الأزمة يشغل مكانا
خاصا ، سواء فى التاريخ المصرى أو التاريخ العالمى . ويعتبر هذا العام فى الكتب
والمقالات الصحفية حتى الآن ، مرحلة تاريخية مهمة ، ويمكن أن نرى عند وصف
هذه الأحداث تعابير مثل هذا قبل السويس وبعد السويس

– دألاس يسأل من المستشفى سلوين لويد : لماذا توقفت ولم تواصلوا الحرب وتفضوا على جمال عبد الناصر؟
– ماهو الدور الذى لعبه الإنذار السوفيتى فى وقف العمليات الحربية ؟

عقدت الجلسة بعد ظهر يوم ٣٠ أكتوبر وكانت برئاسة الدكتور حلمى
الحديدى .

الدكتور حلمى الحديدى :

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرنا أن نبداً الجلسة الثانية اليوم فى هذه الندوة القيمة التى تعالج مشكلة
تاريخية أصيلة .. بمناسبة الاحتفال بمرور ثلاثين عاماً على حرب السويس ..
ويسرنى فى هذه الجلسة أن أقدم لكم المتحدثين :

السيد / ديميتشكو : وهو قد عمل فى مصر من قبل مرتين .. فى فترة حكم
الرئيس الراحل عبد الناصر .. مرة كان مراسلاً لجريدة البرافدا .. وفى المرة الثانية
كان مراسلاً لجريدة أزفستيا .. وهو الآن عضو مجلس التحرير لجريدة برافدا ..
وسيتكلم فى هذا اللقاء عن وجهة النظر السوفيتية فى هذا الموضوع .

ثم المستر ستيفن جرين : وهو كاتب أمريكى كتب عدة كتب فى موضوعات
تخص الشرق الأوسط أهمها كتاب يتناول العلاقات الأمريكية الإسرائيلية من
(وجهة نظره) .. كذلك كانت له مقالات عديدة متعلقة بالمنطقة .

نسيت أن أذكر أن المستر ديميتشكو له كتب عدة تتعلق بقضية الشرق
الأوسط والعالم العربى وحرب الأيام الستة والوضع فى العراق وفى اليمن ..
وسيدأ المستر ديميتشكو حديثه إلينا ...

السيد ديميتشكو : مساء الخير أولاً .. من الصعب عند بحث هذه المشكلة

اللاقتصار على قطر زمانية ضيقة لأن أزمة السويس لم تكن ظاهرة منفصلة عن الحياة الدولية ولم تكن سببا بل نتيجة لعملية تاريخية معينة أثرت في الوقت نفسه تأثيرا كبيرا في تطور هذه العملية لاحقا وأصبحت عاملا مساعدا خاصا للعديد والعديد من الأحداث في الشرق الأوسط وبعيدا منه ولهذا ليس من قبيل الصدفة أن عام ١٩٥٦ الذى اندلعت فيه هذه الأزمة يشغل مكانا خاصا سواء في التاريخ المصرى أو التاريخ العالمى ويعتبر هذا العام في الكتب والمقالات الصحفية حتى الآن مرحلة تاريخية مهمة ويمكن أن نرى عند وصف الأحداث التعابير التالية .. حدث هذا قبل حرب السويس وبعدها ولكن أزمة السويس ليست مجرد حرب استمرت عدة أيام إنها أحداث عديدة سبقها وتلتها وسوف أحاول أن أعيد إلى الأذهان موقف الاتحاد السوفيتى في ذلك العام المأساوى ابتداء ولو من يوليو أى منذ أن أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم الشركة العامة لقناة السويس وللتأكد من ذلك تصفحت أعداد جريدة برافدا السوفيتية خلال ذلك العام التى أولت اهتماما كبيرا آنذاك لكل مايجرى في مصر ..

هاهو أول رد فعل على كلمة الرئيس جمال عبدالناصر فى الإسكندرية: يرحب وزير الخارجية السوفيتى شيبيلوف بقرار الحكومة المصرية ويعلن أن سيادة الدولة المصرية على القناة لا يمكن أن تثير أية شكوك . وفى التاسع من أغسطس أعلنت الحكومة السوفيتية بيانا خاصا حول قضية قناة السويس وجاء فيه أن قرار مصر حول التأميم هو عمل شرعى ينبع من الحقوق الشرعية لدولة مستقلة وأن محاولة تغيير هذا القرار بهذا الشكل أو ذلك ستكون تدخلا سافرا فى شئون مصر الداخلية . ومن المعروف أن صراعا حادا كان يجرى فى تلك الفترة حول قناة السويس وسعت مصر إلى عدم التراجع عن القرار الذى اتخذته وتنظيم عمل القناة بصورة طبيعية. ووضع حملة الأسهم الغربيين للشركة المؤتممة وحكومات إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة نصب أعينهم مهمة الاحتفاظ بالإشراف على القناة ولو بشكل متغير والبرهنة لمصر وللبلدان العربية الأخرى معها على أن سيادتها تحمل طابعا محدودا وليس بإمكان هذه البلدان أن تتصرف كما تتطلب

ذلك مصالحها الوطنية أى أن الغرب حاول فى تلك الفترة العمل وفقا للصيغ التقليدية لأزمة الاستعمار ونظام الاستسلام .

سنواتها الأخيرة

إن الدبلوماسية السوفيتية عملت فى اتجاه معاكس تماما فى كافة الصيغ التى جرت آنذاك ودافعت فى مؤتمر لندن وفى مجلس الأمن وغيرها من المحافل الدولية عن واقع أن التأميم أولا هو حق مصر الشرعى وثانيا أن بإمكان مصر نفسها أن تضمن حرية الملاحة فى القناة كما تتطلب ذلك مصلحة التجارة الدولية وبهذه الصورة دافع الاتحاد السوفيتى عن حق مصر فى الاستقلال الحقيقى والسيادة رافضا الشكوك فى عدم مقدرته على تنفيذ تعهدها الدولية. لقد دافع الاتحاد السوفيتى عن مبدأ المساواة بين الأطراف ، وتجدر الإشارة إلى أن التراعات السابقة لوجهة النظر البائدة حول بلدان العالم الثالث تظهر الآن أيضا ومحاولون أن يفرضوا عليها بين فترة وأخرى كيف يجب عليها أن تتصرف فى هذه الحالة أو تلك وكان الاستعمار آنذاك مازال حيا وبلا أنه قوى وإن كان فى بداية انهياره وكانت الشخصيات المحافظة فى إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وبلجيكا والبرتغال تعتقد بشكل جاد أن الامبراطورية الاستعمارية ستظل إلى الأبد ولم يكن بإمكانهم أن يتصوروا أن هذه الامبراطوريات محكوم عليها بالزوال من قبل التاريخ وتعيش سنواتها الأخيرة وكان المحافظون يأملون حتى أن يروا فى البلدان المستقلة المنضمة إلى الأمم المتحدة وحكومات مطيعة لها فقط ، وفجأة تحلّت الحكومة المصرية برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر بشكل صريح منطق التفكير الاستعمارى وبدا هذا على نطاق واضح الصدام للاستعمار المحتضر مع التيار التقدمى للتححر الوطنى الذى يزداد قوة ، ومن الطبيعى جدا أن الاتحاد السوفيتى كان مع الجانب الأخير وبدأ الغرب الضغط العسكرى والأعمال التعسفية استدعاء مرشدى السفن ورفض دفع الرسوم للمرور بالقناة وغير ذلك واقترح الاتحاد السوفيتى على مصر تقديم الدعم لها وتوجهت إلى قناة السويس بمجموعة من القباطنة السوفيت محنكين فى أعلى

البحار للعمل كمرشدين للسفن واستمر توريد الأسلحة وأسرع في إرسال شحنات كبيرة من الحبوب إلى ميناء الإسكندرية .

إنذار بولجانين

إن الاتحاد السوفيتي الذي قدم الدعم الحقيقي لمصر في ذلك الوقت عمل على الصعيد الدولي من أجل تفادي اندلاع الحرب وفضح الاستعداد للقيام بعدوان على مصر ، فثلا بذل وزير الخارجية السوفيتي شيبيلوف جهودا كبيرة من أجل حل النزاع القائم في إطار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وأعلن أن أسلوب المباحثات هو الطريق الصحيح الوحيد لتسوية قضية قناة السويس ولقي هذا الموقف أكبر استحسان في القاهرة . هذه مقتطفات من الصحف المصرية خلال يوم واحد من أيام أكتوبر عام ١٩٥٦ كتبت جريدة الجمهورية تقول : إننا لا نرفض المباحثات ولكننا نرفض التحكم والتمسك السوفيتي في الأمم المتحدة متضامن مع هذا الموقف وقالت اجيشيان جازيت : إننا سعداء لأن المقترحات المصرية تلقت دعما من الاتحاد السوفيتي . لقد أوردت هذه الحقائق لكي أعيد إلى الأذهان ظرفا مهما جدا وهو أن البيانات السياسية للحكومة السوفيتية والصراع الدبلوماسي كانت مصحوبة بأعمال معينة في العلاقات الثنائية ولهذا عندما اتخذت الأحداث طابع أكثر مأساوية اكتسبت كل كلمة في البيانات السوفيتية وزنا خاصا وفي الحادي والثلاثين من أكتوبر صدر بيان الحكومة السوفيتية الذي وصفت فيه أعمال إسرائيل وانجلترا وفرنسا بأنها عدوان وجاء في البيان أن الحكومة السوفيتية ترى أن على مجلس الأمن للأمم المتحدة من أجل الحفاظ والهدوء في منطقة الشرق الأوسط أن يتخذ تدابير فورية لوقف الأعمال العدوانية لانجلترا وفرنسا وإسرائيل تجاه مصر والانسحاب الفوري للقوات المحتلة من أراضي مصر ولكن عطل مجلس الأمن لأسباب معروفة واستمر العدوان ودعت آنذاك الدورة الطارئة للجمعية العامة للأمم المتحدة للانعقاد ولم تتمكن قراراتها أيضا من وقف المعتدين وفي الخامس من نوفمبر اتخذت الحكومة السوفيتية

قراراً حاسماً فقد بعثت برسائل إلى الرئيس أيزنهاور ورؤساء الوزراء إيدن وجي موليه وبن جوريون ووصفت الصحافة العالمية هذه الوثيقة بإنذار بولجانين النهائي إليكم مما جاء مثلاً في الرسالة إلى إيدن : إننا نرى بسبب قلقنا البالغ من تطور الأحداث في الشرق الأوسط وانطلاقاً من مصالح الحفاظ على السلام العام أن على حكومة إنجلترا أن تستمع إلى صوت العقل وتوقف الحرب في مصر وجاء فيها أيضاً : إننا عازمون كل العزم على استخدام القوة لسحق المعتدين وإحلال السلام في الشرق الأوسط .

بعد الانتصار

لقد قرأت مؤخرًا كتاب وزير الخارجية البريطاني الأسبق لويد « السويس عام ١٩٥٦ » ويذكر المؤلف من بين الأسباب التي أدت بالعدوان إلى نهايته الحزينة عدداً من العوامل بما فيها تردد أيزنهاور عشية انتخابات الرئاسة ولكن لعل أفضل ما يدل على موقف واشنطن ما قاله جون فوستر دالاس الذي زاره الوزير البريطاني في المستشفى وسأل دالاس لماذا توقفت لماذا لم تواصلوا الحرب وتقصوا على جمال عبد الناصر . إذن هنا ما كانت تريده واشنطن . لويد سكت عملياً عن التحذير السوفيتي علماً بأنه لعب دوره فبعد ٢٥ ساعة من تسليم سفيرا الاتحاد السوفيتي رسالتى الحكومة السوفيتية في لندن وباريس توقفت العمليات الحربية وانتهت مغامرة السويس بالفشل ليس بالنسبة لانجلترا وفرنسا وإسرائيل فحسب بل للامبريالية بشكل عام وحدث هنا لأن توازن القوى قد تغير على الصعيد العالمى وتحولت حركة التحرر الوطنية والبلدان المتحررة إلى عنصر مهم للسياسة العالمية وأظهرت هذه القوة الجديدة بالذات أن بإمكانها وهى تعتمد على دعم البلدان الاشتراكية أن تلحق الهزائم بالامبريالية وأنه لا عودة بعد الآن للاستعمار القديم ومن لا يرغب فى أخذ ذلك بعين الاعتبار يتظره فشل ذريع وبعد أن انتزعت الهند استقلالها كان انتصار مصر فى سنة ١٩٥٦ حدثاً عظيماً فى العالم الثالث وأثر تأثيراً كبيراً على مجرى الأحداث فى الشرق الأوسط بشكل خاص وبدأت

الامبريالية على أثر ذلك تفقد مواقعها في المنطقة وحصلت البلدان العربية الكثيرة على استقلالها وتمت تصفية القواعد العسكرية الأجنبية على أراضيها . وانتشرت هذه الموجة في القارة الأفريقية وبدأت عملية إزالة المستعمرات بدرجة كبيرة على أثر فشل مغامرة السويس وطبعاً لا نشير إلى دور الاتحاد السوفيتي الذي ساند بنشاط هذه المستعمرات على انتزاع استقلالها السياسي وبدء تطوير اقتصادها القومي ويوجد مثلاً بين أزمة قناة السويس والسد العالي ارتباط مباشر وإذا نظرنا إلى وضعنا اليوم يمكن القول أن سياسة الاتحاد السوفيتي لم تتغير ويساند الاتحاد السوفيتي شعوب الشرق الأوسط وأمريكا الوسطى وآسيا وجنوب أفريقيا في صد الهجمات العدوانية التي تشنها الامبريالية ونضالها من أجل الاستقلال والمثال لذلك أحداث نيكاراغوا وأنجولا وسوريا والدول الأخرى وتأييد بلادنا لبرنامج لنظام اقتصادي جديد يعتبر أيضاً مساهمة في قضية العالم الثالث ، وأخيراً لا يمكن في عصرنا المعقد أن نضع خطاً فاصلاً بين الأحداث في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية والنضال من أجل منع الحرب النووية العالمية . لا تعرف الأسلحة النووية حدود الانهزام وتهدد وجود البشرية نفسها وهذا هو سبب الاهتمام الكبير الذي ناله النشاط الفعال الذي يقوم به زعيمنا جورباتشوف والذي أعلن عن برنامج تصفية كافة أنواع الأسلحة النووية حتى عام ألفين وأوشك لقاء ريكيافيك على الاتفاق ولكن إصرار ريجان على تنفيذ برنامجه الخاص بحرب النجوم حال دون ذلك ومع ذلك تستمر جهود بلادنا السلمية انطلاقاً من أن البشرية ستكسب إذا تمت تصفية وسائل التدمير الشامل وخفض الميزانيات العسكرية خير في حد ذاته ، مثلاً يكفي ٥٪ من الميزانيات العسكرية للدول الخمس النووية لإطعام كافة الجياع في أفريقيا ومن المعروف أن الفترة السلمية التي تلت سنة ١٩٥٦ سمحت لمصر بإنشاء السد العالي والمصانع في حلوان ونجع حمادى وأمكنتها من حل المسائل الاجتماعية ولذلك إذا انتصرت البشرية في نضالها من أجل السلام فستحل الكثير من مشاكلها وهذا هو أساس موقف الاتحاد السوفيتي . وشكراً لحسن الانتباه .

الرئيس : شكرا للسيد ديمتشنكو وأتصور وأقترح عليكم أن نستكمل
المتحدث الثاني ونترك الفرصة بعد ذلك للحوار والأسئلة ولهذا إذا أذنتم يتفضل
مستر جرين ليلقى حديثه .

حكومة الرئيس أيزنهاور والعدوان على مصر ستيغن جرين

من الأسباب الرئيسية للتخبط الذي سيطر على مواقف أيزنهاور ودالاس حيال الشرق الأوسط . كان الجهل بحقيقة الواقع السائد في ذلك الوقت ، لم يستطع الاثنان أن يتفهما المنطقة ومشاكلها وعلى الأخص لم يستطيعا تفهم مصر ومشاكلها وتفهم ناصر ومشاكله

- ماذا قال عبد الناصر للسفير الأمريكي بايروت عن العلاقة بين قوة مصر العسكرية والسلام مع إسرائيل .
- نجاح المصريين في تسير حركة الملاحه بنجاح بعد التأميم كان صدمة لأيزنهاور .
- ماذا فعل الطابور الخامس لإسرائيل في المخابرات المركزية أثناء عنوان ١٩٥٦ .

مستر ستيفن جرين : أشكر الدكتور الحديدي والأستاذ حمروش .. وأنا سعيد لكوني هنا .. وأعتقد أن حديثي سيبدو غريبا إلى حد ما إذ يجيء عقب الكلمة التي سمعتموها للتو.. وليس لي حيلة في ذلك فأنا - كما لا بد أن كثيرا منكم يعرف عنى - ناقد لتورط بلادى في الشرق الأوسط.. وسأستمر على موقفى من انتقادها حتى ولو بعد أن أسمع أن شخصا آخر عليه أن يقف مؤيلا الأحمر والأبيض والأزرق في هذه الليلة .

لقد كانت هناك مناسبات عديدة في الماضى .. مناسبات كثيرة تحدثت فيها إلى مجموعات من الناس بإحساس عميق في أعماقى بعدم كفاقتى . ذلك أنى - كما يعرف البعض منكم - لست خبيرا بشئون الشرق الأوسط ولكنى اليوم أحس بالرهبة تجاه المهامة المطلوبة منى . وأتلفت حولى في هذه القاعة فأرى أناسا كانوا هناك في المواقع أثناء ذلك الحدث .. ولعبوا أدوارا هامة لبلادهم في الأحداث التى نجمع اليوم بصدد الاحتفال بذكرها ..

لقد قرأت أعمالكم ودرست خلال الأعوام الراهنة بل وكتبت عن بعض مهامكم ولكن الأمانة تقتضىنى أن أقول لكم منذ البداية إن اهتمامى الأول في البلدية في صيف عام ١٩٥٦ ونهايتها عندما كان العالم يتحرك حثيثا نحو حرب لادمعاة لها بالمرّة في الشرق الأوسط .. كان اهتمامى الملح وقتها منصبا على تكوين الفريق الرياضى في المدرسة الثانوية ..

واليوم ومع غيرى من الصحفيين والمؤرخين في أمريكا قد أصبح لدينا مزيد من أدوات البحث والاستقصاء القوية لتساعدنا على أن نلقى من جديد النظرة

على دور الولايات المتحدة في أزمة السويس .

إن حرية انسياب المعلومات وأحقية الكل في الحصول عليها الأمر الذى أفخر به .. إلى جانب التنظيمات للأرشيفات الوطنية ومكاتب الرئاسة قد يسرت لنا حديثا الحصول على مصادر ممتازة للمواد التى يمكن معها دراسة أحداث أزمة السويس وفترة رئاسة ايزنهاور فضلا عن إمكانية الوصول إلى أدق التفاصيل .. وكيف تشابكت الحيوط وتلاقت لصنع قرار الحكومة الأمريكية حيال الأحداث الدولية الهامة لتلك الفترة .. يحرك هذا كله الإفراج عن الوثائق التى كانت محتفظا بها فى سرية بعد مرور ثلاثين عاما عليها .. لدرجة أنه فى الأعوام الثلاثة أو الأربعة الفائتة مكنتنا من الحصول على كيان ضخم ومذهل من المعلومات عن فترة رئاسة الرئيس ايزنهاور .

والتعليقات التى سادى الآن بها مستمدة فى أكثرها من تلك المواد . إنه من السهل الآن أن نرى على ضوء تلك المستندات أنه فى عام ١٩٥٦ أن الحكومات الأوربية وحكومات الشرق الأوسط كانت حائرة فقد كان من الصعب عليها أن تحدد هوية السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط .

وكما كتب هنرى كابود لودج - المندوب الأمريكى لدى الأمم المتحدة - كما كتب إلى جون فوستر دالاس فى مارس ١٩٥٦ من ذلك العام قائلا إن أمريكا ينقصها وجود سياسة «متفهمة» و«واقعية» حيال القضية الفلسطينية وبالتالى نتيجة لهذا النقص فإنه ينقصها هذه السياسة المتفهمة الواقعية للصراع فى الشرق الأوسط ككل ..

تخطيط ايزنهاور ودالاس :

وفى الشهر التالى (إبريل ١٩٥٦) اعترف جون فوستر دالاس نفسه إلى أحد معاونيه الرئيسيين أن الإدارة قد أرسلت «إشارات» متعارضة ومتناقضة إلى جمال عبد الناصر حول عديد من المواضيع بما فيها صفقة الأسلحة المصرية التشيكية وقضية السلام مع إسرائيل .

وعلى أية صورة فقد كان تقدير دالاس للحالة أقل بكثير من حقيقتها ..
وخلال أشهر طويلة مريرة .. كانت الإدارة الأمريكية مزعزعة متأرجحة حيال
مسألة تمويل السد العالى .. وحيال صفقة الأسلحة .

كانت الحكومة الأمريكية تقف بشدة ضد تطور ونمو العلاقة بين مصر
والاتحاد السوفيتى .. ولكنها لم تعلم أى بديل بناء يصرف مصر عن الاتجاه
لتسمية هذه العلاقة فى وقت تدافعت فيه التصرفات العدوانية الإسرائيلية .. مع
فقدان مصر لأى أمل فى الحصول على السلاح من أمريكا ..

وكان ناصر يعرف بالطبع أن إدارة ايزنهاور كانت تيسر إمداد إسرائيل
بالسلاح من أوروبا .. وأيضا كان يعرف أن هذه الإدارة - من تحت لتحت -
كانت تسمح بل وتشجع تمويل هذه الصفقات من مصادر خاصة أهلية فى
أمريكا ..

واليوم وبعد أن انقضت سنوات .. يتضح لنا أن من الأسباب الرئيسية لهذا
التخطيط والتناقض الذى سيطر على مواقف ايزنهاور ودالاس حيال الشرق
الأوسط .. كان ببساطة هو الجهل بحقيقة الواقع السائد فى ذلك الوقت .. لم
يستطع الاثنان أن يفهما المنطقة ومشاكلها .. بل وعلى الأخص أنهما لم يستطيعا
تفهم مصر ومشاكلها وتفهم ناصر ومشاكله .

مثلا بعد أن انقضى عام كامل على قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ .. كان جون فوستر
دالاس ما يزال يكتب لسفيره فى القاهرة - جيفرسون كافرى - ليسأله عما إذا كان
ناصر أم نجيب أى منها بيده الأمور فى مصر ..

مثل آخر .. إننى لم أعثر فى الأوراق والوثائق على أى دليل أو إشارة تدلنى
على أن واحدا من وزارة الخارجية أو البيت الأبيض قد علم بأى شىء عن
المباحثات السرية التى جرت خلال السنة التالية بين الممثلين الشخصيين لناصر
وموسى شاريت .. ولم تكشف الوثائق عن أية إشارة تدل على تقدير واشنطن

لتصميم كل من الرجلين على القيام بمواجهة بناء للمشاكل التي خلفتها بغير حل
اتفاقية الهدنة عام ٤٨ / ١٩٤٩ .

شيء آخر .. أنه لا ايزنهاور ولا دالاس كان متفهما للاختلافات الأساسية بين
موسى شاريت وبين بن جوريون حول مسألة السلام في الشرق الأوسط .. وكان
هذا الجهل مأساة بالنسبة للفرص الضائعة .. وكان الثمن الذي كلفه هذا الجهل
هو ذلك الفشل الذي منيت به مهمة اندرسون الساذجة في أواخر عام ١٩٥٤
وأوائل عام ١٩٥٥ .. كان الوقت قد فات لأي جهد من هذا القبيل .. فقد
كانت الأبواب قد أوصدت ..

أمريكا والغارة على غزة

فعندما وقعت الغارة على غزة في فبراير ١٩٥٥ .. لم تنبيه الإدارة الأمريكية
إطلاقاً لأهمية هذه الغارة .. وهذا واضح تماماً وإلا لما كان ايزنهاور ودالاس قد
فوجئا وصدما عندما علما في مايو ذلك العام بأمر الاتصالات المصرية السوفيتية
التي أدت إلى صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية المشهورة ..

وفي المناسبات التي كانت الإدارة تتلقى فيها معلومات قيمة وتحليلات صادقة
عن الأزمة التي لاحت في الأفق .. فإن هذه المعلومات كان يساء تقديرها أو
يجرى تجاهلها في البيت الأبيض وفي مجلس الأمن القومي .

وكان هنا هو ما حدث بالضبط في أغسطس ١٩٥٦ ، ففي اجتماع المجموعة
المشتركة بين البتاجون والمحابرات المركزية جرى التنبؤ بأن إسرائيل سوف تشن
حرباً قصيرة خاطفة ذات طابع مفاجئ وكاسح قبل نوفمبر ١٩٥٦ بأيام .. ولقد
بنى هذا التنبؤ على أساس تقدير إسرائيل للمدة اللازمة للجيش المصري لكي
يستوعب أنظمة الأسلحة السوفيتية التي تسلمها .

وكان تنبؤ البتاجون صادقا بالطبع .. ففي عام ١٩٥٦ أكلت إسرائيل سمعتها

وجدارتها في الابتكار في مجال الحرب بأن أعطت تعبير «الحرب الوقائية» معنى جديدا .

كان توقيت الغزو الإسرائيلي عام ١٩٥٦ يدل على أن هذه الحرب لم تكن للحيلولة دون صراعات مستقبلية .. ولكنها كانت حربا شنتها إسرائيل - من وجهة نظرها - بقصد منع مصر من تطوير وسائل دفاعها عن نفسها .

عامل آخر من العوامل التي شوهدت نظرة الإدارة الأمريكية في عهد ايزنهاور تجاه أزمة الشرق الأوسط والمنطقة عموما .. هذا العامل هو تواجد أفراد وعناصر في المراكز العليا للمخابرات المركزية والمجموعات الديبلوماسية .. عملت عن قصد إساءة عرض المعلومات المتوافرة على رؤسائهم .

طابور خامس لإسرائيل :

والمثل البارز على هذا الطابور الخامس في واشنطن كان جيمس جيسوس انجلتون .. خبير الشئون الإسرائيلية في المخابرات المركزية الأمريكية - الذي أكد بإصرار في ٢٦ أكتوبر ١٩٥٦ - أي ثلاثة أيام قبل الغزو - أن التعبئة العامة في إسرائيل ما هي إلا مناورة لتهديد الأردنيين .. أكد هذا الزعم وبين يديه الصور التي التقطتها طائرة التجسس التابعة للمخابرات المركزية الأمريكية .. وعنده أيضا كم هائل من الدلائل أولا بأول عن الاستعدادات البريطانية والفرنسية فوق جزيرة قبرص ومن حولها . ولا يمكن لأحد أن يفسر ذلك إلا بأن انجلتون قد كذب عامدا بقصد إعطاء إسرائيل الوقت لكي تستطيع أن تشن هجومها ..

والشيء المثير للدهشة أنه على الرغم من وقوع الهجوم على السويس فقد سمح لانجلتون هذا بأن يظل في موقعه يسمم سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط زهاء ١٩ عاما .

ولقد كان تخطيط إدارة ايزنهاور وسلاحتها في مواجهة مسائل الشرق الأوسط هو السبب الأساسي لحساباتها الخاطئة حيال عبد الناصر وحيال مصر .

ولقد سبق أن أشرت إلى فشل الحكومة الأمريكية في تفهم أهمية الإغارة على غزة .. كما أشرت إلى المفاجأة التي واجهتها واشنطن عندما كشف النقاب عن صفقة الأسلحة التشيكية .

ولم تكن هذه المفاجأة أمرا غير عادي فقد تعود ايزنهاور ودالاس على تلقي المفاجآت بصفة مستمرة من عبد الناصر .. لقد أصابهما الذهول لرفضه العنيف لنظام الدفاع عن الشرق الأوسط الذي عرض عليه .. كما كان تأميم شركة قناة السويس وتوقيعها صدمة أخرى لها .. ثم صدمة من جديد عندما تمكنت السلطة الجديدة لهيئة القناة من تسيير حركة الملاحة في القناة بيسر ونجاح ..

ولست أظن أنني آت بجديد لكم عندما أقول إن سوء التقدير والخلط في الحسابات في واشنطن حيال بعض الأحداث كانت جذوره الأساسية في سوء فهم ما كان يجري في مصر في ذلك الوقت .. كان ايزنهاور ودالاس يعيشان في وهم الاعتقاد بأن الحكومة المصرية ليست مستقرة .. وأن شعبية عبد الناصر بين الجماهير كانت محدودة وقابلة للانهار .. ولم يكن ايزنهاور وحده هو الذي استسلم نهائيا لهذا الاعتقاد الخاطئ .. فقد كان الرؤساء الأمريكيون لا يقدرّون حق التقدير حجم ناصر السياسي حتى ذلك اليوم الذي اندفع فيه الملايين من المصريين إلى الشوارع يوم جنازته ..

وكذلك فإنه لا ايزنهاور ولا دالاس قدر حق التقدير عمق ارتباط ناصر بعدم الانحياز .. ولم يتورع كلاهما من أن يتخذ من عدم رضائهما على علاقة عبد الناصر بالكتلة الشرقية العذر لتغطية تصرفات سياسية .. كان من الصعب الدفاع عنها بدون ذلك المبرر .. وعلى سبيل المثال ففي مايو ١٩٥٦ عندما أقامت مصر علاقات دبلوماسية مع الصين الشعبية استدعى دالاس بفضافة سفير مصر في واشنطن أحمد حسين وهدده بسحب مساندة الولايات المتحدة لبناء السد العالي ..

وتتكشف الحقيقة عن أن سحب تمويل السد العالي لم يكن وليد تلك

اللحظة وإنما كان القرار بسحب تمويل السد العالى قد اتخذ قبل ذلك بأشهر عديدة .. اتفق عليه ايزنهاور ودالاس استجابة منها للضغوط الهائلة التي مارسها عليها أصدقاء إسرائيل في الكونجرس ..

المجلترا وفرنسا وإخفاء المعلومات :

كذلك كان هناك كثير من المعتقدات الخاطئة تبنتها الإدارة الأمريكية تجاه حقيقة ما يهدد مصر .. فلم يكف الرئيس الأمريكى ولا وزير خارجيته حتى وأثناء اللقاء الوحيد التي تم مواجهة بين ناصر وايزنهاور .. في سبتمبر ١٩٦٠ في نيويورك ، لم يكف الرئيس ولا وزير خارجيته عن محاولة حمل ناصر على الاقتناع بالأهمية العسكرية لما أسماه التهديد السوفيتي .. ومن العجيب أن دالاس بالذات لم يكن قادرا على أن يستوعب في مفهومه الأمر البسيط جلا وهو أن التهديد الذى يعنى ناصر ويعنى مصر في الوقت الراهن يتمثل في وجود تلك القوات البريطانية المعسكرة في القنال وتلك الطائرات الإسرائيلية الرابضة على أرض النقب .. هذا الوجود الذى يشكل تهديدا حقيقيا وواقعا ويشغل اهتمام ناصر والشعب المصرى ..

ويدون جلال فإن الحيرة والتخبط الذى اعترى الدول الأوربية والمفهومه أسبابها .. وقد استعصى عليها فهم أبعاد السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط .. هذه الحيرة وهذا التخبط قد ساهما في تجرؤ فرنسا وبريطانيا على الانضمام إلى إسرائيل للقيام بمجهود مشترك لخداع أمريكا وتضليلها في الأسابيع والأيام السابقة على الغزو ..

في ٢٢ سبتمبر ١٩٥٦ أسدلت بريطانيا ستارا من الصمت وأوقفت حركة تبادل المعلومات حتى الروتينية منها والتي كانت تتم عادة بين الأجهزة الدبلوماسية وكذلك تلك التي كانت تتبادل بين أجهزة المخابرات المختلفة .. بينما حرصت فرنسا على إخفاء سرية كاملة على شحنات الأسلحة والطائرات خلال

شهر أكتوبر ثم في النهاية على الاستعدادات المتزايدة للغزو نفسه دون أى مشاور مع واشنطن .

هذه التعمية على واشنطن يمكن إرجاعها إلى سياق التخبط والقلقلة الذى ساد سياسة واشنطن أشهرها قبل تأميم القنال وبعدها .

وعندما أقول هذا لا أقصد أن أنحاز إلى جانب فى الجدل السائد حول ما إذا كانت إدارة ايزنهاور على علم بأمر الغزو قبل وقوعه أو لم تكن تعلم .. وكذلك حول مقابلة دالاس لايدن فى أغسطس والتى قيل إن لايدن عرض فى هذه المقابلة خطط الهجوم أو أنه أبدى .. استعداده لعرضها .. واضح جدا أن ايزنهاور علم أن هجوما كان على وشك الوقوع وأن خيبة أمله كانت فى إخفاء أمر هذا الهجوم عنه وتزايد إحباطه عندما وقع الهجوم بالفعل .

ولكن لا بد أن ينظر المرء بسخرية إلى مشهد زيارة السفير الإسرائيلى - أبا ايان وقتها - لجون فوستر دالاس يوم الأحد ٢٨ أكتوبر .. وكانت إسرائيل قد أعلنت التعبئة العامة منذ أيام .. واحتشد ٤٥ ألفا من القوات الاسرائيلية على مشارف سيناء .. وبدأت مائة وثلاثين قطعة بحرية إسرائيلية تبحر تجاه المياه المصرية .. وطائرات مقاتلة وضعت على أهبة الاستعداد للقتال فى عدد يبلغ ستة أو سبعة أضعاف طائرات العملية الحربية المصرية بشتى أنواعها مجتمعة .. بينما فى تلك اللحظة كان أبا ايان قد تلقى تعليمات من بن جوريون بأن يجلس مع جون فوستر دالاس وأن يؤكد له فى ثقة ورزانة أن إسرائيل لديها دلائل لا تقبل المجادلة .. بأن مصر على وشك أن تهاجمها .

عندئذ .. يصبح هذا المنظر مادة لعمل مسرحى حقيقى .. ولا أتصور أن جيلبرت وسوليفان قد استطاعا أن يجيكا كوميديا أكثر طرافة من هذا .. أبا ايان بعظمته وخيالاته ورسميته المبالغ فيها وبلكنته الانجليزية المتقنة .. وجديته العميقة .. وأمامه دالاس لا يقل عنه مهابة وجلالة .. على مكتبه الذى اكتظت

أدرجه بالصور الملتقطة من الجو عن أدوات الغزو الإسرائيلي الذي 'يوشك أن يتطلق على مصر.

إنه مشهد ما من أحد يستطيع أن يوفيه حقه سوى مونتى بايثون فهو أكثر مناغاة للعقل والطبيعة من أن يتولاه أندرو لويد ويبر.

كذلك لست أقصد أن أظهر أن ايزنهاور ودالاس كانا مجرد متفرجين أو ضحايا سيئى الحظ فى الأيام الأخيرة السابقة على العدوان .. فقد كان لديهما معلومات وثيقة ومخابرات متدققة عن كمية ونوعية المساعدات من المصادر الأمريكية الخاصة لتسليح إسرائيل .. وعن متى وكيف نقلت إليها .. وأنا أقصد هنا الأسلحة التى أرسلت إلى إسرائيل خصيصا من أجل هذا الغزو.

كذلك كانا يعلمان بالتأكد أن الأسلحة الأمريكية - وأنا أقصد أسلحة حكومية - فى فرنسا قد سمح لها أن تستخدم فى هذا الهجوم . وأن البريطانيين والإسرائيليين قد تلقوا من المخابرات المركزية الأمريكية صوراً للمواقع الدفاعية فى مصر .. لاستخدامها فى الهجوم .

تفسير لموقف ايزنهاور

ولسنا فى حاجة لأن نخمن أو نتساءل إلى أى جانب كان دالاس فى هذا الصراع .. وكما أشار أنتونى ناتنج فى كتابه الرائع عن الرئيس ناصر فقد أسر دالاس فيما بعد لسلوين لويد أن المرض الذى أصيب به وأقعده أثناء الأزمة كان هو السبب الوحيد الذى منعه من أن يهدئ من موقف ايزنهاور وغلوائه فى الإصرار على انسحاب القوات الأجنبية من مصر فور توقف القتال .

وكان الموقف الحازم الذى اتخذته ايزنهاور فى هذه القضية أمام الأمم المتحدة متسقاً مع موقف الاتحاد السوفيتى وتقريباً مع موقف كل الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة فيما عدا استراليا ونيوزيلندا والأطراف المشتركة فى العدوان .. ولقد اكتسب ايزنهاور من موقفه هذا رصيلاً من الإعجاب فى العالم العربى أكثر بكثير مما يتصور .

ولقد حدث أنه عندما تواجد ايزنهاور وعبد الناصر في نيويورك عام ١٩٦٠ فإن عبد الناصر خرج عن برنامجه ليعبر عن امتنانه لاييزنهاور للمساندة التي أبدتها في انسحاب بريطانيا وفرنسا ومن بعدهما إسرائيل .

ولقد اعتبر البعض - واعترف بأننى فعلت هذا في كتابي الراهن - بأن وقفة ايزنهاور كانت تعكس اهتماما رئيسيا بسلامة الأراضي ووحدتها داخل الحدود كما نص على ذلك في الإعلان الثلاثي الصادر عام ١٩٥٠ .

وجلي أن الغزو كان خرقا صارخا لهذا الاتفاق .. ومن ثم فقد تناول ايزنهاور المسألة بأقصى قدر من الجدية .

كذلك يمكن أن يقال بأن الإدارة الأمريكية - سواء اعترفت بهذا أم أنكرته - قد أخذت بجدية متناهية التهديدات التي وردت في رسائل رئيس الوزراء السوفيتي نيكولاى بولجانين في نوفمبر إلى بريطانيا وفرنسا وإسرائيل .. وربما أخيرا أن ايزنهاور قد أغضبه أن حلفاءه تجاهلوا التشاور معه حول خطط الغزو .

وعلى أية حال فإن هذه الأسباب التي ذكرتها ليست بالضرورة أن تكون كلها أو بعضها سببا لموقف ايزنهاور فهي كلها موضع نظر ومطروحة للدراسة .. ولكن يبقى في النهاية أن ايزنهاور - من وجهة نظرى - قد تصرف التصرف السليم . ولكن النقطة التي يجب أن نصل إليها هي أنه أيا كانت الأسباب التي جرت بأيزنهاور لاتخاذ هذا الموقف الحازم من ضرورة الانسحاب .. فإنه من الخطأ أن ينسب الفضل إلى إدارة ايزنهاور - بسبب هذا الموقف - بأنها اتخذت موقفا سويا من جمال عبد الناصر أو من الصراع العربي الإسرائيلي .

ذلك لم يحدث والوثائق تثبت عكس ذلك .. تثبت أن نظرة ايزنهاور ودالاس إلى عبد الناصر يمكن أن تكون أى شىء إلا أن تكون نظرة سوية .. وعلى سبيل المثال فإنه بعد تأميم القنال بفترة قصيرة فإن ايزنهاور في لقاء له في

البيت الأبيض مع مجموعة من رجال الكونجرس قال إن خطب عبد الناصر تذكره بخطب هتلر.. وقال دالاس في نفس اللقاء قارن بين كتاب عبد الناصر: «فلسفة الثورة» بكتاب «كفاحي» الذي كتبه هتلر.

وكثير من المذكرات الداخلية للبيت الأبيض ومذكرات وزارة الخارجية الأمريكية أثناء أزمة السويس كانت تعكس هذا النوع من اللغة المهتورة الطائشة.

وفي أواخر عام ١٩٥٧ وأوائل ١٩٥٨ أصبح ايزنهاور مقتنعا بأن ناصر والذي كان كثيرا ما يشير إليه بلقب «الدكتاتور» كان يتآمر على العالم العربي بأن يستولى بطريقة ما على موارد البترول في الشرق الأوسط.

وأقل ما أستطيع أن أقوله إن هذه خيالات رجل أبطى ما يمكن أن يوصف به هو أنه فقد القدرة على التحليل الموضوعي للأحداث والاتجاهات في مصر وباقي الدول العربية.

عبد الناصر وصورتان

واسمحوا لي أن أبدي لكم بعض الأفكار التي عنت لي أثناء قراءاتي للاستعداد لهذه الندوة.. لقد كنت باستمرار مشدوها للتناقض الغريب بين صورة عبد الناصر كما وردت ووصفت في المكاتبات والاتصالات الداخلية للأجهزة الأمريكية وبين عبد الناصر الذي جازف بالمخاطرة أكثر من مرة ليتحسس الطريق إلى السلام مع إسرائيل.. عبد الناصر هذا الذي انشغل بكليته في مشروع السد العالي وكل ما يعنيه هذا المشروع لشعبه.. عبد الناصر الذي تحمل الكثير من الإهانات الشخصية من البيت الأبيض وتقبلها على مضض لأنه كان حقيقة يعتقد.. على الأقل في مرحلة ما.. أن الولايات المتحدة كانت القوة الأمثل لكي يصبح حلم إقامة السد حقيقة.

قد يكون دوايت دافيد ايزنهاور وجون فوستر دالاس من أعظم رجال

الدولة في قضايا أخرى وممارسات أخرى .. فلست هنا لأجادل في ذلك - ولكنها كانا على درجة من الغيباء وضيق الأفق والعجرفة والتظاهر في كل معاملاتهما مع جمال عبد الناصر.

ولم يكن موقف الولايات المتحدة من أزمة السويس صادرا عن كيان مركزي متناسق الرأي موحد الهدف .. ولكنه كان موقفا يعكس التناقضات العديدة بين الجماعات والوكالات والأشخاص والولاءات والتحاملات التي شكلت في النهاية حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على اتساعها .. هذه هي الصورة التي كانت سائدة وقتها ومازالت سائدة حتى الآن .

ولكنني أود أن أركز على حقيقة واضحة : وهي أنه لو كان النزاع العربي الإسرائيلي أو أن القضية الفلسطينية أو أن رخاء الشعب المصري لو أن شيئا من هذا كان مهما وله اعتبار في الهيكل العام لأغراض السياسة الخارجية الأمريكية .. إذن لما كان رد فعل الولايات المتحدة مترددا ومشوشا حيال الغارة الإسرائيلية على غزة وحيال صفقة الأسلحة التشيكية وحيال مشروع السد العالي وحيال تأميم القتال وأخيرا حيال الغزو .

لو أن الولايات المتحدة الأمريكية مهتمة بتفهم مصالح هذه المنطقة وسلوكياتها لما كانت الإدارة الأمريكية قد أرسلت «إشارات متناقضة» كما أسماها دالاس بنفسه وأعترف بها بل كانت أعطت أذنا صاغية وكرست وقتا معقولا ومصادر أمينة لتستطيع أن تستخلص في النهاية مواقف واضحة ومحددة حيال كل من هذه القضايا بمجرد بروزها .. بل ولربما استطاعت بالتصرف السريع المحكم أن تسبق هذه الأحداث قبل وقوعها وأن تمتصها أو تحول دون وقوعها .

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث .. ربما لأنه كان لدى الإدارة الأمريكية ترتيب آخر للأولويات وكان اهتمامها منصبا على مواقع أخرى مثل الثورة في المجر أو التصاعد النووي أو حملة جوزيف ماكارثي وقضايا أخرى داخلية في البلاد ..

وبعد أيزنهاور

ولم يقتصر هذا الحال على إدارة ايزنهاور وحدها .. استمرت الإدارات التالية للرؤساء الذين جاءوا بعده في إرسال «الإشارات المتناقضة» عن مسائل الشرق الأوسط وقضاياها .

وبعد ايزنهاور .. تنامت قوة «اللوبي الإسرائيلي» في أمريكا الأمر الذي أكد بالقطع أن أزمة الشرق الأوسط سوف ينظر إليها في أمريكا من خلال مدرسة مزيفة مشوشة .

وها نحن اليوم مازلنا على هذا الحال .. لم نتطور إلى حال أحسن ويكفى أن نستقرئ الحوادث في مصر .

- أظهرت الوثائق الأمريكية التي أفرج عنها أخيراً أن إدارة جونسون كانت متأكدة من سقوط عبد الناصر في أعقاب حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ .

- إن إدارة نيكسون كانت واثقة من أن السوفييت في مطلع عام ١٩٧٠ قد تغلغلوا في مصر إلى درجة لن يتمكن معها أنور السادات من أن يتخلص منهم .

ثم مؤخراً كانت إدارة نيكسون متأكدة من أن القوات المصرية لن تستطيع عبور قناة السويس أو اختراق خط بارليف .

- في إدارة كارتر فوجئت تماماً عندما أخذ زعيم مصرى على عاتقه أن يذهب إلى القدس عام ١٩٧٧ .

وفي الحقيقة فإن اتجاهات السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط منذ ا سويس حتى الآن لا تبشر بأهليتها للقيام بدور بناء وفعال في الأزمات المتوقعة القادمة .

وهذا يقودني في النهاية - إذا ما كان لي الحق في الإستقراء والتنبؤ - إلى ما أعتقد أنه الدرس الأكثر أهمية الذي يمكن أن نستوعبه من أحداث السويس

للاستفادة به في الحاضر.. وعلى أية حال فهذه وجهة نظري الشخصية .
في مساء ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦ .. اجتمع في سيفرجى موليه رئيس وزراء فرنسا
ودافيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل ومع كل منهما مساعديه - مع سلوين
لويد وزير الخارجية البريطاني .. كان من الواضح أن الاستعدادات من أجل
الغزو قد وصلت في ذلك الوقت إلى مرحلة متقدمة وقبل أن ينتهي المساء كان بن
جوريون قد وضعها بجلاء أمام المجتمعين إنه يخشى أن يجند كل عناصر القوات
الجوية الإسرائيلية في العمليات الجوية لمساندة الغزو الإسرائيلي لسيناء في الوقت
الذي تكون فيه طائرات الأليوشن المصرية قادرة على ضرب العمق الإسرائيلي .

وظلت هذه العقبة قائمة خلال الجدل الذي طال خلال الأيام التالية حتى
أمكن في النهاية الوصول إلى اتفاق بأن تقدم القوات الجوية الفرنسية غطاء جويًا
للمدن الإسرائيلية .. وبعدها فقط أصبحت حرب السويس على وشك الوقوع .

كانت حجة بن جوريون التي صمم عليها أنه لن يكون رئيس الوزراء
الإسرائيلي الذي يجلب الدمار للمدن الإسرائيلية وللتجمعات السكانية المدنية ..
ووصل إصراره إلى الحد الذي كان مستعدًا فيه أن ينسحب من خطط العدوان
على مصر حتى لا يتعرض لهذه المجازفة .. حتى وإن كانت هذه الخطط قد بلغت
مرحلة متقدمة من الإعداد .

هذه الواقعة يمكن أن نستدل منها على حقيقة هامة .. أن تصرف
بن جوريون وتردده في القيام بالهجوم لوجود رادع مصري هو الأليوشن .. هذا
الموقف الذي جرى ولو لساعات محدودة وفي محيط ضيق .. يمكن أن يكون
نموذجًا ممتازًا لمفهوم «الردع» في عالم صغير .

في مجال الشرق الأوسط .. وفي هذه الأيام بالذات .. فقد يكون في وجود
نوع من «الردع» دعامة طبيعية ومفيدة لسياسة مصر طويلة المدى .. أن توفر قوة
ذاتية قادرة يرهب جانبها هو السند القوي لمصر في تفاوضها حول القضايا الهامة
التي مازالت باقية من صراع الشرق الأوسط .

وليس هذا الرأي باختراع جديد .. لقد أدركه عبد الناصر في مطلع عام ١٩٥٥ .. ففي فبراير من ذلك العام - بعد الإغارة على غزة بفترة قصيرة - قدم إلى مصر سفير أمريكي جديد هو هنري بايرود .. وبعد أن قدم أوراق اعتماده إلى الرئيس ناصر .. دار بين الرجلين حديث صريح طال في ذلك المساء ..

كانت الإغارة على غزة مازالت تثقل بالقلق بال الرئيس المصري .. وردا على بايرود .. تكلم طويلا عن العلاقة بين قوة مصر العسكرية وبين قدرتها على تحقيق السلام مع إسرائيل .. وقال إنه لكي تجازف مصر بالجلوس مع إسرائيل للكلام عن السلام فإن ذلك لن يكون إلا إذا كانت مصر قوية ..

واعتقد أن كلمات عبد الناصر كانت صادقة وواقعية في ذلك الحين مثلما ما هي صادقة وواقعية ومطابقة للحال الآن .. حتى من بعد كامب ديفيد .

،،،، وشكرا

الجلسة الثانية

القسم الثانى :

مناقشات حول الموقف السوفيتى والامريكى من أزمة السويس

شارك فى المناقشة :

محمد حسين هيكل - أنتونى ناتنج - ستيفن جريرن - د . إبراهيم صقر - ديمتشنكو

هيكل :

لا أعتقد أن مصر أجرت فى ذلك الوقت - ١٩٥٤ - أى نوع من المفاوضات السرية أو العلنية مع إسرائيل .

جريرن :

أعرف جيدا أن هناك اتصالات مباشرة اشترك فيها واحد من موظفى إدارة الرئيس عبد الناصر وجدعون روفائيل نائب الخارجية الإسرائيلية .

د . إبراهيم صقر :

ليس المهم الاتصال بالعدد ولكن المهم ما هو هدف الاتصال ولماذا ولأية غاية .

- ماذا جرى فى الكرملين قبل الإنذار السوفيتى بثلاثة أيام ؟

- عندما كتبت النيويورك تايمز بعد سحب تمويل السد العالى :

على الشعب المصرى أن يختار بين عبد الناصر وبين الخبز

الدكتور الحديدى : شكرا والآن نبدأ الحوار .. فإذا كانت هناك أسئلة نرجو تقديمها . وإذا لم تكن هناك أسئلة فإني أقترح على الأستاذ هيكل أن يعلق على الرأيين اللذين سمعناهما الآن ، تعبيرا عن وجهة النظر الروسية ووجهة النظر الأمريكية .

الأستاذ هيكل : سيادة الرئيس .. لم أكن أفهم أن هناك توريطا على هذا النحو .. وأنا أريد فقط أن أسجل احتجاجى أولا ، على هذا التوريط ، لكن بعد هذا .

الدكتور الحديدى : الاحتجاج مرفوض .

الخطة الأمريكية

الأستاذ هيكل : بعد هذا .. ليس عندى حقيقة الكثير من التعليقات .. بمعنى فيما يتعلق بما قاله ستيفن جرين فى اعتقادى أنى قد أختلف معه فى بعض الأمور .. إنه يظن أن السياسة الأمريكية فوجئت بأمر كثيرة ، ولكن مع الأسف الشديد .. أنا ممن يعتقدون - وما أراه فى الوثائق يدعونى إلى هذا الاعتقاد وهو - أن فكرة الخلاص من مصر . كانت موجودة وملحة وثابتة فى التفكير الأمريكى ، وعلى وجه الدقة .. قد يكون ذلك من أول ١٩٥٥ ، ومصر ترفض سياسة الأحلاف .. بطريقة قاطعة .. ويتفضل بينها وبين موضوع الجلاء .. فى ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة الأمريكية . مصممة بشكل

أو بآخر على أن تتخلص من نظام الحكم في مصر.. ولكنني لا أعتقد أنهم فوجئوا بشيء..

وإذا كانت قراءتي للوثائق صحيحة.. بما فيها على وجه التحديد مذكرات ايزنهاور التي كان يكتبها يوميا.. فإن هذه المذكرات كانت تعرض رئيسا ممسكا تماما بمقاليده السياسة الأمريكية.. جميعها في إيدته.. وليس صحيحا كما كنا نتصور أحيانا كثيرة جدا أن دالاس هو الذي يوجهه.. بالعكس واضح جدا من قراءة الوثائق وأولها مذكراته ويوميته التي كان يكتبها كل يوم.. واضح جدا أنه كان لديه هدف واحد ومحدد.. أهداف واضحة ومحددة.. هدفه الأول أن يسهل خروج الانجليز.. وليس عنده مانع ولو مؤقتا من ممارسة ضغوط على السياسة البريطانية.. ولكن لديه خطة واضحة.

وثمة جوانب محددة على سبيل المثال تؤيد ما أعتقد.. فإذا لم تكن الذاكرة قد خانتني.. أعتقد يقول في حوالى إبريل: أنا لا أقر اندفاعكم بهذه الطريقة ضد مصر وأن هذا الجو من الهستيريا لا يؤدي إلى شيء.. وفي تصوري أن هناك الوسيلة الوحيدة لمواجهة عبد الناصر وفي الجو المشحون تتمثل في البدء أولا بفصله عن السعودية.. لأنه هي الممول للعمليات الدعائية والعمليات التخريبية - حيثما كانوا يصفون جنود لجمال عبد الناصر أن الحل الوحيد والسياسة المنطقية والمعقولة أن نبدأ بعزل السعودية عنه، ثم نبدأ بأحداث في سوريا والاعداد لهذا الانقلاب في سوريا بدأ من سنة ١٩٥٥.. وإذا ما ضاعت منه سوريا..

ونحن لو نتذكر هو أن مصر وسوريا والسعودية كانوا يمثلون محورا.. كله لأسبابه الخاصة لأن السعودية كانت.. واقفة في هذا الوقت ضد الهاشميين في بغداد وعمان.. وسوريا كانت واقفة بطريقة طبيعية مع مصر، فكان الرأي في خطة ايزنهاور التي لم يترشح عنها أن ينتزع السعودية أولا من مصر ثم يحدث انقلابا في سوريا أقرب للهاشميين وبعد هذا يبقى جمال عبد الناصر في عزلة.. وهو حسب حديث ايزنهاور سوف يتحول إلى شبح تدفعه فيقع.. وبالتالي فأنا

لا أتصور أنني قد أختلف مع ستيفن جرين .. وأنا أعرف مواقفه .. وأعرف حجم ما قرأ .. وإلى أي حد دقق لكني قد أختلف معه في هذه النقطة ولا أعتقد أنه كان مفاجأة .. لأحد .. وعلى سبيل المثال .. نجد أن فيه اجتماع مخبرات . والغريبة أنه هو اجتماع المخبرات الوحيد الذي يمكن إثباته بوثيقة .. لأن الوثيقة تسربت .. وحدث فيه كلام الإنجليز والأمريكان .. كان في الاجتماع ايكل برجر من الجانب الأمريكي وجورج يونج من الجانب الإنجليزي وحضر المناقشات بيرارشبلد سينكلير الذي كان مكلفا بالمخبرات في الشرق الأوسط وأنهم اتفقوا على :

أولا : خطة عزل الملك سعود مها اقتضى الأمر .
ثانيا : أنهم اتفقوا على خطة الانقلاب في سوريا ، فيها اختيار الشخصية السياسية التي تتولى الحكم والضابط الذي يقوم بالانقلاب .

وهكذا اتفقوا على الهدف الواضح من هذا وهو عزل جمال عبد الناصر وبالتالي فأنا واحد من الناس الذين يعتقدون أن السياسة الأمريكية لم تكن بمثل هذه البراءة .. ولا هذه المفاجأة .. لم يكن فيها الكثير من المفاجآت .. ولكن الولايات المتحدة « كانت تسعى في وقت واحد إلى هدفين طريقهما خطان متوازيان :

بهما تبعد المساحة بينها وبين الاستعمار القديم بشكل أو بآخر ، لكي تمهد لدور أمريكي قادم في المنطقة على هواها وطبقا لشروطها .

لا اتصالات مع إسرائيل

النقطة الثانية التي قد أختلف فيها مع صديقنا ستيفن جرين هو الحديث الذي يروى عن محادثات مصرية إسرائيلية في هذا الوقت ..

هناك كلام كثير يقال بصدد هذا الموضوع وأنا أستطيع ولدى المقدرة على القول ، حيث أنا أدري الصورة إلى حد كبير... أقول إنني لا أعتقد أن مصر

أجرت في ذلك الوقت المفاوضات .. لا سرية ولا علنية مع إسرائيل . وأقول إن قصارى ما حدث في ذلك الوقت ، هو أنه وجد بعض المتطوعين بالخير كما تصوروا .. وكان أولهم ريتشارد كروسمان الذى حضر إلى مصر حيث قابله جمال عبد الناصر بصفته عضواً في مجلس العموم البريطانى .. قابله كزعيم عمالى بارز.. قابله كوزير سابق جاء.. في محاولة لاستطلاع أفكار ونوايا الثورة المصرية ..

وسافر ريتشارد كروسمان - وأنا أحد الذين رأوه في ذلك الوقت وحضرت اجتماعه بالرئيس جمال عبد الناصر .

وقد عاد بعد أسبوعين حاملاً مفاجأة تتمثل في أنه حين عاد إلى لندن .. دعى إلى تل أبيب وهناك قابله بن جوريون وقال هل قابلت جمال عبد الناصر .. إننى أريد أن أعقد سلاماً معه .. إليك رسالة منى له مؤداها كذا .. إن إسرائيل مستعدة للسلام وأنا لو جلسنا إلى مائدة المفاوضات سوف نجد ما يقال .. وسنجد أموراً أخرى نتناولها .. وجاء ريتشارد كروسمان .. وجمال عبد الناصر قال له إن موضوع إسرائيل في هذا الوقت لا يشغله إطلاقاً ، إنه يعتقد أن موضوع إسرائيل قضية داخلية مصرية . وهى متعلقة بتنمية وتطور مصر بالدرجة الأولى .. وأنه لا يمكن في ظنه ولا تصوره أن بلداً تعداده مليونان أو أقل يبقى خطراً على من حوله .. فإذا كان خطراً فإن العيب يكون من الآخرين وليس العيب منهم . ثم قال له إن اهتمامى في الوقت الراهن هو تنمية مصر .

والغريب أن ريتشارد كروسمان كان قد سمع هذا الحديث من جمال عبد الناصر ، لأن كروسمان نفسه كان قد طرح هذا الموضوع .. موضوع العلاقات مع إسرائيل .. وحين رجع المرة الثانية قال لجمال عبد الناصر إنه نقل للفايد بن جوريون الكلام الذى سمعه منه عن التنمية وعن مصر مستقلة ، ووحدة عالم عربى ، وإذا بن جوريون يقول له هذا أسوأ ما سمعت .. والمسألة تبدو لى أخطر مما كانت تبدو على السطح .

موضوع المفاوضات مع شاريت .. أنا أعرف شاريت .. وأى واحد يتابع الوثائق حتى الوثائق الإسرائيلية نفسها .. يحس أن شاريت فى وقت من الأوقات راودته وبشدة فكرة مفادها أن السلام مع مصر ممكن وبالتأكيد كان مختلفا مع بن جوريون وبمجموعة بن جوريون ، ولكن بالرغم من كل محاولات شاريت .. فأنى لا أعتقد أن مصر فى ذلك الحين كانت بتفكر فى هذا الموضوع صحيح أنا عارف أن الرئيس قال لبايرود الذى كان يتحدث عن الصلح .. إنه حينما نصبح مستقلين ويرحل الإنجليز .. وحينما نصبح أقوياء .. ويكون جيشنا قادرا وقتها تكون لك مسألة أخرى .

هذه فيما يتعلق بستيفن جرين ..

قبل الإنذار السوفيتى

إذ صح لى أن أعلق .. أما فيما يتعلق بالكلام الذى قاله صديقنا العزيز ديمتشينكو فالحقيقة أننى لست أدرى ما أقول .. حيث أنه لم يذكر لنا وقائع يمكن أن نناقشه فيها ، وإنما تكلم عن سياسة عامة .. وتحدث عن سياسة الاتحاد السوفيتى بالطريقة الطبيعية اللى نعرفها جميعا .. وتحدث عن المواقف .. لكنه لم يتح لنا الفرصة .. أن تكون هذه هى براءة إخواننا السوفيت لكى نناقشهم فى تفاصيل ما يقولونه .. حيث هم فى مرات كثيرة جدا يختارون أن يدلوا بآرائهم ويقولوا ما حدث ويعرضوا فى إطار السياسة العامة للاتحاد السوفيتى بوجه عام دون أن يتيحوا لأحد فرصة مناقشتهم .. وبالتالى فإنه فيما يتعلق بالأخ ديمتشينكو لست أدى فى الحقيقة أن أعلق على إيه .. فيما يتعلق بالمبادئ فإن هذا موضوع نعرفه .. وكذلك الحال فيما يتعلق بالمواقف .. وبالمثل ما يتعلق بالشخصيات .. لكنى كنت أتمنى فى الحقيقة أنه يقول شيئا .. ينفذ من السطح الظاهر لشكل الحوادث إلى ماجرى فى الاتحاد السوفيتى ، وكما روى فى الاتحاد السوفيتى .. مع تفاصيل أكثر عن الإدارة السوفيتية لأزمة قناة السويس .

وعلى سبيل المثال أنا كنت أتمنى أنه يجلل لنا أمورا متناقضة وهذا مهم

جلبا .. فعلى سبيل المثال كان شكرى القوتلى فى موسكو يوم ٣٠ أكتوبر. كان قد عقد الرئيس السورى اجتماعا مع القيادة السوفيتية وطلب منهم معرفة ماذا سيفعلون بالنسبة لمصر؟ وكان الرد الذى تلقاه الرئيس السورى شكرى القوتلى إنه يصعب عليهم التفكير فى أى حاجة. وليس لديهم شىء فى الوقت الحالى.. وبعد ذلك راح السفير المصرى محمد القونى يسأل عن نوايا الاتحاد السوفيتى ماهى على وجه الدقة.. فى الموضوع.. طبقا لتقرير القونى أن الرئيس خروشوف فى ذلك الوقت قال «نحن نؤيدكم ونناصركم.. وكذا وكذا.. ولكن عليكم أن تعتمدوا على أنفسكم؟؟»

بعد ثلاثة أيام.. جاء الإنذار السوفيتى.. وأنا من الذين يعتقدون أنه كان بالغ الأثر.. لكن ماذا حدث فى هذه الأيام الثلاثة؟؟..

كنت أتمنى بشدة لو أن صديقنا ديميتشكو كان قد ألقى عليها بعض الضوء.. فقد كان يقال لنا فى يوم، أن نعتد على أنفسنا اعتمادوا على أنفسكم.. وبعد ذلك بثلاثة أيام كان هناك إنذار سوفيتى لاشك فى أثره..

فأنا واحد من الناس الذين يعتقدون هنا فعلا.. وحين أطلع على محاضر مجلس الوزراء الإسرائيلى خلال هذه الفترة.. ولما أرى الاستطلاع الذى قام به رجل مثل البروفيسور مايكل بريشر.. فى دراسته لصنع القرار فى إسرائيل فأجده قد سأل حوالى عشرة من صناع القرار فى إسرائيل من بينهم بيريز وأبا ايان وبن جوريون وجولدا مائير إلى آخره عن مدى تأثير إنذار الاتحاد السوفيتى، وأخذ بالنسبة لكل ثمانى نقط على الأقل.. ثم أرى أن أبا ايان يبعث برقية من واشنطن لكى يقول إنه تلقى معلومات.. تسربت إليه معلومات مفادها أنه إذا لم تدعن إسرائيل.. وتقبل وقف القتال فى اليوم التالى:

فإنها سوف تتحطم فى اليوم الذى بعده.

إنى أنظر إلى الإنذار السوفيتى نظرة جدية.. ولكن كنت شديد التمنى ونحن فى هذه الندوة نتناقش ونتكلم بصراحة.. أن يتوافر بعض الضوء على مجرى

الثلاثة أيام التي مضت .. ما بين المقابلة التي أجراها السفير القونى .. وما بين صدور الإنذار .

إن أول من أصيب بالدهشة كان السفير القونى نفسه .. حين قصد إلى وزارة الخارجية السوفيتية وهو شبه يائس .. قابله السفير زائيسيف على الباب .. على باب وزير الخارجية شيلوف .. وقال له سوف تسمع أخبارا طيبة جدا .. قد كان السفير القونى يبعث رسائل كلها يأس ولما دخل لشيلوف .. قرأ له نص الإنذار وقال له : مارأيك .. وكان القونى لا يكاد يصدق ما سمع .. فإذا جرى فى تلك الأيام الثلاثة ؟ ..

كنت أتمنى لو سمعنا ما يلقى ضوءا أكثر على تلك الأيام .

على أى حال أنا إذا قد قلت حاجة خارج الحدود .. أو خارج الخطوط أو تنقصها اللياقة الدبلوماسية .. يبقى اللوم كله يقع على الرئيس - رئيس الجلسة - الذى ورطنى .. وثمة رجاء لى هو ألا يتورط الصحفيون ، حيث يحدث أحيانا أنهم يندفعون إلى حديث لا لزوم له ..
وشكرا ، ، ،

الدكتور الحديدى : واضح أن النقاط الموجهة لمسترجرين من الأستاذ هيكل هي وجهة نظر يقول إنه لم تكن هناك مفاجآت .. أى لم يكن هناك من ناحية الإدارة الأمريكية بالواقع .. وعندها هدف وأمل لكى تحققه . وبالنسبة لى فقد فهمت من حديث مسترجرين ، أن الإدارة الأمريكية لم تكن مفاجأة وربما يكون الأمر ، هو فى تقييم المعلومات التى تصل ، وإنى أترك مسترجرين يعلق على هذه النقطة .

هناك اتصالات مصرية إسرائيلية

مستر جرین :

أشكر السيد الرئيس .. وفي الحقيقة لا أظن أننا مختلفون وربما كنت قد ثرثرت قليلا في كلامي عن إدارة ايزنهاور على أساس ما كان لديهم من معلومات عن الهجوم المرتقب . ولا أتصور أن نكون مختلفين حول مسألة الاتصالات التي جرت بين الجانبين لتحقيق السلام .

لقد أصدرت كتابي « كلام بين الجانبين » وأعتقد أن البعض منكم قد قرأه في الأجزاء التي نشرتها الأهرام منه وكل ما أعرفه أنها نشرتها في عام ١٩٨٣ .

ولكنني أعرف جيدا أنه كانت هناك اتصالات مباشرة .. وأنا لم أكن أتكلم عن ريتشارد كروسمان أو غيره من الوسطاء الذين تطوعوا من تلقاء أنفسهم بما فيهم كثير من الأمريكيين بينهم الأب نلسون وآخرين من الذين ألفوا كتبنا عن هذه الفترة .. وأنا أعتقد أنه كانت هناك أهمية خاصة لهذه الاتصالات المباشرة والتي جرت في باريس في صيف عام ١٩٥٤ واشترك فيها واحد من موظفي إدارة الرئيس جمال عبد الناصر وجدعون رفائيل نائب وزير الخارجية الإسرائيلية ..

وهذا المصري الذي اشترك في هذه المفاوضات حاليا في القاهرة وقد تحدثت معه شخصيا ولكنني لم ألتق به إلا بعد أن أصدرت كتابي .. ولقد أكد لي بنفسه كل ما أوردته عن هذا الموضوع وأدلى لي بتفاصيل اللقاءات والكيفية التي تلتق بها تفويض الرئيس عبد الناصر له للقيام بهذه المهمة وهو على أية حال يريد أن يؤلف كتابا عن هذا الموضوع فطلب مني ألا أقول المزيد عنه .. وما أستطيع أن أقوله عنه هو أن له علاقات معينة بالجلس النيابي المصري منذ ذلك الوقت وأنا متأكد تماما بأن معلوماتي تقوم على أسس متينة ..

الدكتور الحديدى : شكرا مستر ستيفن جرین .. فيه سؤال يبوجه مش عارف مين اللي كاتب الاسم لكن القضية : هل كان ايزنهاور ودالاس يريدان

القضاء على ايدن وعبد الناصر معا .. واستغلال أزمة السويس في ذلك .
مستر جرزين : لا علم لى بأى دليل عن أنها أرادا التخلص من ايدن ..
وعلى أية حال كان هناك أكنداس من الوثائق .. هو أن مكتبة ايزنهاور يجرى
تنظيمها .. وأنا أعتقد أنهم في كانساس كما يعرف البعض منكم فإنهم يوما
بيوم .. يعيدون تبويب مافاتها ويضيفون إليها الجديد .. وأعتقد أن ملفات
هويتان بالذات هي الملفات الرئيسية والمصدر الرئيسى الذى استقيننا منه -
الأستاذ هيكل وأنا - المعلومات التى تحدثنا عنها هذه الليلة .. وهم في كل يوم
يفرجون عن الجديد من هذه المعلومات .

لذلك فإني أعتقد أن هناك دلائل بيينة وهامة بأن دالاس وايزنهاور كانا
يحاولان بشكل ما أن يجدا طريقة لعزل عبد الناصر عن شعبيته السياسية هنا في
مصر .

وأنا أعتقد أن ما تقوله عن محاولة التخلص من عبد الناصر كان صحيحا ..
كان هناك اتفاق عام على التخلص منه وأنا اتفق مع قولك بأن الاختلاف كان
على وسيلة تحقيق هذا الهدف وليس على الهدف نفسه .. وهناك كثير من
المكاتبات بهذا الخصوص فقط في الكتابات المتبادلة مع بريطانيا وإنما أيضا في
الكتابات بين مختلف الجهات داخل الحكومة الأمريكية نفسها .
وأنا أتفق معك إلى أبعد مدى .

قبل الإنذار السوفيتي

الدكتور الحديدى : شكرا .

نتقل الآن إلى التعليق الذى ذكره الأستاذ هيكل على ماجرى داخل
الحكومة السوفيتية خلال الأيام الثلاثة التى سبقت الإنذار الروسى ..

ديمتشينكو : خلال السنوات الماضية صرفت كثيرا من الوقت لكى أدرس
باهتمام بالغ المشكلة التى تطرق إليها الصديق محمد حسنين هيكل لما كنت أنا

أحضر نفسى لكى أكتب كتابا حول حرب الستة أيام المعروفة . أنا فى ذلك الوقت رجعت إلى المذكرات والوثائق وكنت أحاول أن أعرف ما حصل خلال الثلاثة أيام وما أدى إلى هذه النتيجة .

من فترة .. وليس ثلاثة أيام .. من ٣٠ أكتوبر وحتى ٥ نوفمبر ..

والكتاب مترجم إلى العربية وتسميته « الشرق العربى فى أيام الامتحان » .. وقد ترجم الكتاب فى سوريا والسودان ومصر وهو يحمل اسمان « الشرق العربى فى أيام الامتحان » .. « والشرق العربى فى أيام المحنة .. » فى السودان ومصر الاسم الأول وفى سوريا الاسم الثانى .

وأنا كتبت بالذات عن هذا الموضوع فى هذا الكتاب .. وفعلا شكرى القوتلى كان فى ذلك الوقت يقوم بزيارة موسكو .. ولقد أعاد السيد هيكل ذاكرتنا إلى هذا الموضوع .. تصور السيد محمد حسنين أن الموقف السوفيتى جرى فيه تحول حاسم مفاجئ وفى التصريح قرأته من قليل خلال كلمتى ، معناها أن كلمتنا كنا تؤيدها بالخطوات العملية .

وأنا عايز أقول إن علاقاتنا الطيبة والمتينة والوثيقة والكويسة .. الاتحاد السوفيتى مع الدول العربية آنذاك ولاسيما مع مصر وسوريا .. كان عمرها ستين فقط .. مكانش فيه تجربة من الطرفين لمثل هذه الصداقات .. إحنا كنا فى بداية علاقاتنا تقريبا .

أنتم تذكرون طبعاً أول زيارة لوزير خارجيتنا شيلوف إلى مصر .. ولم يكن وقتها وزير الخارجية .. كان رئيس مجلس إدارة جريدة البرافدا .. رئيس التحرير .. ونحن نذكر جيدا هذه الزيارة إلى وادى النيل .. لقد كنا فى بداية طريقنا .. فى بداية علاقتنا مع مصر .. ولهذا لكى نتخذ القرار لمواجهة العدوان الثلاثى كان علينا أن ندرس هذا الموضوع من جميع جوانبه وبكل دقة .

أقول بصراحة أن إمكانيات الاتحاد السوفيتى وقتها لم تكن كبيرة فى هذا كنا نبني علاقاتنا . كنا فى بداية علاقاتنا مع هذه المنطقة .. بالنسبة للسلاح كنا نرسل

السلاح يعنى من سنة واحدة كنا نتعامل فى موضوع السلاح .. وأنتم تعرفون أن موضوع السلاح مر بمراحل .. مرحلة أولى كان عن طريق تشيكوسلوفاكيا .. بس بعد كده الاليوشن ذكر الزميل الأمريكى اللى وصل مصر .

وفعلا كان فيه حاجة إلى ثلاثة أيام لندرس هذه المشكلة من جميع الجوانب وجميع الاحتمالات : سياسيا .. يعنى الرد السياسى، والرد الاقتصادى والرد العسكرى .. وظهر أن هذه الإمكانيات كلها موجودة .. والإعلان الذى صدر فى ٥ نوفمبر كان يعبر عن هذه الحقيقة .. وهذه الجملة المشهورة من إعلان بولجانين الجميلة مغزاها أننا سوف نستخدم القوة لكى نعيد السلام إلى منطقة الشرق الأوسط كان لها أساس .. ولكن لكى نتخذ مثل هذا القرار كنا محتاجين لهذا الوقت فعلا .. هنا هو تفسيرى للموقف .

وبالمناسبة قابلت شكرى القوتلى أول ما سلم هذا الرد وتكلمت معه فى هذا الموضوع .. وأريد أن أقول إنه بعد هذه المقابلة تم لقاء شكرى القوتلى مع القيادة السوفيتية خروشوف قابله وباراشيلوف وبولجانين ومريشال جوكوف وشيلوف .

يعنى القيادة السوفيتية بكاملها كانت فى مقابلة شكرى القوتلى وبعد كده هو سافر سوريا ومزاجه كان مرتفع يعنى كان كويس جدا ..

أنا كنت فى دمشق وقتها .. هو هبط فى حلب بدل دمشق لأنه كان خايف من الطائرات الإسرائيلية .. بعد كده ركب السيارة وجاء إلى دمشق وكان مبسوط قوى .

وده ردى على هذا التساؤل .

الدكتور حلمى الحديدى : عفوا متأسف معلىش .. المستر جريرن حيقول تعليق صغير قبل ما حاطب من مستر مايكل فوت بعنيك .. يعنى اتفضل .

عصبة الكابال

مستر جرين :

لست أريد أن أبدو كمن يضرب في حصان ميت يستحنه على النهوض
ولكننى أرد لغرض واحد وهو أن أعبر عن تقديرى لزمالتكم ولماكنتم من هذه
القضية .

ولقد كان عندى دافع آخر ضاعف من ثقى فى حقيقة الاتصالات المباشرة
التي جرت فى ١٩٥٤ ولكننى فى كتابى لم أدخل فى كثير من تفاصيل ذلك
الدافع .

عندما كنت أنحى عن « قضية لافون » وهى المتعلقة بتفجير المركز الثقافى
الأمريكى فى القاهرة وكلها المسرح البريطانى عام ١٩٥٤ .. وبعد كثير من الجهد
استطعت أن أقتنى أثر قائد جماعة المحربين الذين كانوا فى مصر فى ذلك الوقت ..
وكان هذا القائد أهم واحد فيهم وقد استطاع الخروج من مصر واسمه « عبرى العاد »
وهو الآن رجل أعمال متقاعد يعيش فى كاليفورنيا .

كانت « الكابال » (تلك العصبة أو الحلقة العتيقة من كبار الإسرائيليين
المتضامنين مثل دايان وبيروز وبن جوريون - الذى كان متقاعدا فى ذلك
الوقت -) كانت هذه العصبة تعقد اجتماعات أسبوعية فى « سديوكير » - المقر
الريفى لبن جوريون - لتدارس التطورات العسكرية والأمنية والسياسية وكانوا على
قناعة كافية بأهمية الاتصالات المباشرة التي جرت فى صيف ١٩٥٤ والمفترض أن
أبناءها كانت تصلهم عن طريق جدعون رافائيل .

ويبدو أن اقتناع هذه المجموعة بأهمية الاتصالات الجارية قد نقله موداين
ضابط المخابرات العسكرية إلى « عبرى العاد » وهو يلخص له مهمته معتبرا أن
هذا الموقف يعتبر دافعا أساسيا بتنفيذ العملية .. عملية لافون .

وكما قلت فى كتابى .. فإننى لا أعتقد أن هدف العملية كان تخريب العلاقات

المصرية الأمريكية .. المصرية البريطانية .. ذلك أننى أعتقد أن هدفها الأساسى كان التقليل من شأن المباحثات الدائرة بين الأطراف المصرية والإسرائيلية وإثارة حق الرئيس ناصر .. لإيقاف المحادثات فى لحظة حساسة وحرجة ..

الدكتور حلمى الحديدى : سؤال آخر للمسترجرين قبل حديث المستر مايكل فوت .. السؤال يقول ماهى الدلائل التى لاحظتها على الشعب المصرى أو الظواهر التى أعطتكم فى الولايات المتحدة فكرة إمكانية أن يتخلى الشعب عن عبد الناصر فى تلك الفترة .

مسترسيفن جرين : لا أظن - كما سبق أن أوضحت بصفة عامة - بصراحة لا أعتقد أنه كانت الولايات المتحدة بمخابرات متقدمة فى مصر تستطيع أن تنقل إليها معلومات صحيحة عن السياسات الداخلية فى مصر فى ذلك الوقت .. لا أعتقد أنه كان هناك أية استخبارات صحيحة حول السياسات الداخلية فى مصر تصل إلى الولايات المتحدة من سفارتها هنا .. وأظن أن كل ما كنا نعرفه كان يصل إلينا من البريطانيين .. وأعتقد أنه كان هناك ميل للاعتماد على تخمينات البريطانيين الشهيرة والتي كانت تؤكد إمكانية إسقاط الحكومة المصرية فى ذلك الوقت .

وفى وسط الأزمة .. كما هو معلوم .. تم استبدال سفيرنا فى القاهرة بسفير جديد .. ولقد تحدثت إلى كليهما السفير القديم والسفير الجديد .. وفى الحقيقة لم يكن لدى أى منهما أية تقارير أو معلومات يمكن أن تشجع دالاس على أن يتحرك إدراكه للتخلى عن حملته على مصر .. ولست واثقا من أننى أستطيع أن أوافق على أنه كانت هناك حملة على مصر .. ولكننى أعتقد أن الأمريكان مجرد موقف خاطئ ثابت كانت تفسر على أساسه تقريبا كل وقائع العلاقات المصرية الأمريكية .

كذلك لا أعتقد أنهم اتخذوا هذا الموقف على أساس التقارير التى كانت تخرج من سفارتنا بالقاهرة .. وإنى أعتقد أن موقفهم هذا كان مستمدا من البريطانيين .

شكرا ،،،

عبد الناصر .. رمزا

الدكتور حلمي الحديدى : شكرا للمستر ستيفن .. وقد لاحظت أثناء حديثه أن المستر فوت كان يتسم ضاحكا .. وأنا أود أن أسأله عن مبعث ابتسامه .
المستر مايكل فوت : غدا سأخبرك .

الدكتور حلمي الحديدى : ولكننا مشوقون للمعرفة ولا نستطيع الانتظار للغد .. إذن فأنت تريد الانتظار للغد .. أفلا تريد التعليق على وجهة النظر الأمريكية أو على وجهة النظر السوفيتية وكيف واجهوا الأزمة في حينها ..
المستر مايكل فوت : سابقيك على تشوقك حتى يحين موعد كلمتي في الغد ..
الدكتور حلمي الحديدى : إن إصرارك لشديد .. في الحقيقة .

تعليق الدكتور إبراهيم صقر : لدى بعض التعليقات منذ جلسة الصباح ، ولن آخذ وقتا كثيرا ، إنى بأفضل تعبير تأميم شركة قناة السويس وليس تأميم قناة السويس وهذا له حكمة ..

أما مسألة أن يكون كلامنا عن شعب مصر عند الحديث عن الأزمة ، ولانلجأ للأشخاص القول بأن عبد الناصر وعبد الناصر .. وإنى في الحقيقة أحب التركيز على دور الشعب أيضا لأنه مهم قوى دور الشعب المصرى .. وجاهيرنة عبد الناصر .. من صفقة الأسلحة إلى التأميم حتى أزمة السويس .. وقد كانت هذه الشعبية في إحدى ذراها الرهيبية .. وكان الشعب مستعلا لعمل أى شىء .. وطبعا الشعب العربى كان جاهزا من وقت ، من اقتلع القيادات العربية المضادة .. وعمل أثناء كثيرة جدا لم يكن سهلا القيام بها وأنا أنظر أيضا لعبد الناصر كرمز بلاشك وأنه تعبير رمز لأنه تعبير عن مصالح الشعب المصرى والشعب العربى في كل مكان في هذه المرحلة . ، ولأنه كان تعبيرا فقد نجح في تعبئة هذا الشعب العربى وراءه وشكل مشكلة كبرى للقوى صاحبة المصلحة سواء كانت قوى فى الداخل وبلا أساس قوى فى الخارج ، وهذه هى النقطة الأساسية ، والحركة كانت حلقة فى سلسلة متصلة من الحلقات من الصراع بين

الاستعمار وبين حركة من حركات تحرير أصيلة ، تؤثر على المنطقة من حولها ،
وتؤثر على ماوراءها حتى في أفريقيا ، وكانت في حرب السويس نقطة تحول في
هذه الناحية ، أنا لا أريد اللخول في كثير من التفاصيل ، وإنما يكفي أن أشير
إلى كلام سلوين لويد في أيام أزمة السويس قال :

« إن أصدقاءنا في الشرق الأوسط ينظرون إلينا ليروا ماذا نحن فاعلون فإذا
تركناه ينفذ. بجلده في هذه العملية فإلى ماذا يكون مصير الشرق الأوسط .

فإما أن نخرجه أو نخرج منه الشعب » .

فبعد الناصر ليس رمزا فقط ، ولكن رمزا له معنى كبير ، وليس لشخصية ،
ولابد أن تكون جادين في هذه المسألة ،

وبعدين قال :

وأحب أن أركز على ماوراء عبد الناصر من معاني فهذا هو ما يهم حركة
الشعوب ، حركة التحرر من الاستعمار ومواجهة التحديات التي تواجهها في مثل
هذه الحالات ، هذه مسألة أساسية لأن الاستعمار ييلعب أحيانا لعبة خطيرة
جلدا ، حيث يستعمل اسم شخص ، ويقول هذا هو أس البلاء

« خلصونا منه وبعدين كل حاجة حاتبقى عال » النيويورك تايمز كتبت في
هذه المرحلة بعد سحب معونة السد العالي أن يختار بين عبد الناصر وبين الحزب
« وكأن عبد الناصر هو اللي حرمتنا من الحزب » مع أن حركته وحركة القوى التي
تؤيده كانت معبرة عن الشعب المصري ، غطاه حزبا أكثر مما كان عنده « واللي
ماكانش عنده خبز لقي شوية خبز » .. لأريد أنه وجد كل شيء ، ولكن وجد
الكثير من المكاسب ، التي تدعوه إلى المحافظة عليها ويصر عليها إصرارا شديدا في
مقاومة صلبة لاتلين .. المستر جرين عرض عرضا وأنا أحياه على روحه
الموضوعي ، ولكن اتفق مع الأستاذ هيكل اتفاقا شديدا في أن المسألة ليست
مسألة عدم إدراك مضبوط للواقع ، لا .. المسألة أكبر من .. حقيقى كان هناك
خطأ في معرفتهم للأمر .. وكان هناك خطأ في الحسابات وتقدير الموقف .. من

ناحية السياسة الأمريكية ومن جانب القيادة الأمريكية وصناع القرار الأمريكي .. هذا جزء من المسألة لكن المسألة أكبر من هذا بكثير .. هناك نقطة تعارض في المصالح .. بين الخط الذي ينشد مصلحة الشعب المصرى ومصالحه الشعب العربى على وجه العموم .. وبين الخط الذى يريد المحافظة على مصالحه الاستعمارية فى المنطقة .. وحتى الذى يريد الحلول محل المصالح الاستعمارية التقليدية زى الاستعمار الأمريكى الجديد .. نكون واضحين كده وبصراحة .

وهنا طبعا باتفق تماما معك أنهم كانوا يحسبون ويتكئون ، وقادوا المعركة بعد تأميم القناة ، قادوا الحركة فى مؤتمرات لندن .. ودالاس كان الرأس الكبيرة فى لجنة الخمسة ، لجنة متريس ، قال بشكل واضح وفى مؤتمر صحفى بعد سحب المرشدين وتكوين جمعية المنتفعين : ستجمع الرسوم .. ولو اتعرض أحد للسفن المارة والتي ترفض دفع الرسوم للهيئة ، فسيستعملون القوة .

- يعنى ده تصورى أما فى إداركى أنا للموقف الشخصى جازى تختلف فيه أو قد ترى أنك توافقنى .. أو أن تصورى أن أمريكا التى قادت المعركة بين إيران وبين القوى صاحبة المصلحة فى معركة التأميم من ٥١ إلى ٥٣ .. ولم يكن لها أى كسب قبل هنا .. أو أى دور فى إيران من ناحية البترول .. قد خرجت بأربعين فى المائة من الامتياز .

والذى يدرس قرارات مؤتمر لندن سبرى - أن العملية كانت محاولة من الولايات المتحدة ، أن تنتهز هذه الفرصة وتقود الدول الغربية فى معركة ضد كل من يرفع رأسه فى هذه المنطقة ويقول حقوق الشعب .. وتضرب باختيارها وبقيادتها وفى الوقت الذى يناسبها وبالطريقة اللى تحقق لها المكسب .

وفى مؤتمر لندن كانت أمريكا هناك ، ودورها واضح .. وقد حلت أنا هنا فى تقرير سبرى أيامها .. وبينت كيف أنها تفوز بنصيب . الغنائم التى ستنتج فى حركة التأميم ونجاحها .

وهنا يمكن أشير إلى نقطة الاتصالات .. أنا الحقيقة لست حساسا لحكاية الاتصالات دفاعنا أحيانا عن مواقف عبد الناصر الفذة والبطولية .. يجعلنا حساسين في هذه الاتصالات .

ليس المهم الاتصال بالعدد ، ولكن المهم ماغرض هذا الاتصال ، لماذا؟ ولأى غاية؟ المهم أن تكون هناك الرؤية الواضحة والاستراتيجية الواعية والتكتيك السليم .. وعبد الناصر.. من هذه الناحية لايعتبرشكلاآخر وبالنسبة حاجة الأخ الذى قال يمكن الانتظار حتى ينتهى عقد قناة السويس ، وإنى أتفق مع الأستاذ هيكل أن هم ورانا ورانا .. وماحدث كان حلقة من سلسلة متصلة الحلقات .. هو يواجهنى وأنا باضطرأرد .. يتحدثانى ويهدنى وأنا باضطرأعالج مشاكلى وألف حوالين العقبات التى يضعها فى طريق .

الأخ الذى أبدى هذه الملاحظة صباحا لابد أن يعرف أن الصراع كان مستمرا وأنه ظل حتى وفاة عبد الناصر.. وأن وفاة عبد الناصر كانت جزءا من هذا الصراع .. ليكن هذا واضحا.. لأن الصراع استمر ومرة سقطه ومرة قومه .. ومرة غلبه ومرة انتصار .. لكن هو صراع مستمر لأنه إما انتصار وإما تحرر ولم يكن أمام عبد الناصر بديل لمعالجة موقفه .

لما النيويورك تايمز تقول : على الشعب المصرى أن يختار بين عبد الناصر وبين الخبز .. يعنى حندهسكوا .. لما ييمنع تصدير الغداء .. لما يحمد الأرصد .. لما ييمنع إرسال الأدوية .. لما .. لما .. بنشوف أنه كان ورانا عشان يقتلنا .. ولم يكن أمامنا من بديل إلا المواجهة الحقيقية .

وهنا مهارة عبد الناصر فى الحقيقة .. وأنا بأقول تأميم قناة السويس كان ضربة معلم .. إنه عمل ٣ عناصر أساسية ..

إنه أولا درس الموقف ، بتؤدة أنا شخصيا أنا أذكرأنى ساهمت وكنت شابا صغيرا ، .. كان هناك أساتذة وخبرات كثيرة .. كان فيه حلمى بهجت بدوى وغيره من الناس .

ساهمت في هذه العملية من أول سنة ١٩٥٥ ولاتدرى .. فهناك دراسة جادة .. فيه توقيت عظيم جدا .. فيه تكتيك .. يعني بارع غاية البراعة .. التكتيك في عملية التأميم .. تركهم يملأون أن يدفعوا الرسوم .. مقابلته لمتريس في هدوء .. مواجهته لمؤتمر لندن بحكمة .. وبعد ذلك حتى في خطوات الدفاع عن النفس بعد ٢٩ أكتوبر يعالج المسألة بلباقة وحكمة غير عادية وكانت تدل على قيادة عبقرية لامثيل لها نجحت مش في تعبئة الشعب من قبلها ولكن زادت في تعبئة الشعب بعد حركة التأميم ثم بعد قيام حرب السويس .

فهنا هو ويمكن الأستاذ فايق أشار لبعض البلاد الأفريقية بقي بعضهم عايز يؤم زي ما حصل عندنا . وهو يقول لهم لأستنى شوية خد وقتك وادرس .. وياما حاجات اندرست وياما حاجات ووجهت وياما حاجات أعد لها اعدادا دقيقا . قد يخطئ القائد وقد يصيب وأنا لا أقول إن عبد الناصر كان نبيا ولكني أقول إن عبد الناصر كان قائدا فلما .. أخطأ مرات ولكنه أصاب كثيرا .. وفي هذه المعركة بالذات كان قيادة عبقرية فذة سواء كان في عملية التأميم أو في إدارته لحرب السويس على وجه العموم وشكرا .

أيزنهاور غير دالاس

الدكتور حلمي الحديدي : شكرا للدكتور إبراهيم .. أرجو أن .. أعتقد أن السير أنتوني ناتنج ليس لديه الآن أية مشكلة للتعليق على هذا حيث أنه أدلى بكلمته في الصباح .. ومن ثم فهو لا يتعرض لمشكلة المستر مايكل فوت .. أنتوني ناتنج : السيد الرئيس .. لدى أمرين أريد التحدث عنها .. بيان المستر سفين جرين .. ثم المناظرة التي دارت بينه وبين صديق محمد هيكل ..

وفي البداية أود أن أقول دعونا نحدد بوضوح مسلك دالاس من عبد الناصر .. وأعتقد أن هذه القضية وضحت لي أكثر من أي شخص آخر .. فقد حدث أني عندما كنت أعد كتابي عن السيرة الذاتية لعبد الناصر أن اتصلت

بيوجين بلاك - مدير البنك الدولي - لأستفسر منه عن علاقته الشخصية بدالاس وبالطبع سألته أيضا عن اتصالاته التي أجراها في مصر فأجابني يوجين بلاك بوضوح لا يقبل أى شك .. إن جون فوستر دالاس كان يريد ويتوق إلى التخلص من عبد الناصر بنفس الدرجة من الحدة التي كانت لدى انتونى إيدن .. وكان الاختلاف بين الاثنين : أن جون فوستر دالاس كان يريد الخلاص من عبد الناصر عن طريق الضغط الاقصادى .. بينما كان إيدن - ولأسباب تخصه - كان يريد الخلاص منه عن طريق نصر عسكري ..

ومن ثم فليس هناك أدنى شك عن موقف دالاس في هذه القضية .. أما ايزنهاور فقد كان - في اعتقادي - له موقف يختلف كل الاختلاف .. فايزنهاور كان إلى أبعد الحدود مجرد رجل بسيط .. بل يمكن أن نقول جندي بسيط .. كان يؤمن بأشياء محددة .. مثلا كان يؤمن بالأمم المتحدة .. ولا أعتقد أن الآخرين كانوا يؤمنون بها ..

وفي اعتقادي أن ايزنهاور حقيقة قد غضب بعنف لهذا الذي حدث في السويس .. غضب قبل كل شيء للهجوم الإسرائيلي .. ثم ازداد غضبه أكثر للهجوم الانجلوفرنسي الذي أعقب ذلك .. وبالطبع أقصد غضبه للتعقيم الكامل للمعلومات عن هذه النية .. وللخديعة التي جوبت بها الولايات المتحدة والتي وصلت ملهاها عندما أرسل سفيره في اليوم السابق مباشرة على توجيه الانذار البريطاني إلى مصر فكان ردنا عليه أن كل مايعنينا هو ألا تهاجم اسرائيل الأردن .. وكانت الاهانة بالغة للسفير الأمريكى في لندن عندما علم لأول مرة بالانذار البريطاني عن طريق نبا عاجل في الأجهزة الاعلامية .. انهم حتى لم يخطروه قبل إذاعة النبا .. بما كنا ننوى أن نقوله لطرفي النزاع .. مصر وإسرائيل ..

ومن ثم كانت ثورة الغضب عند ايزنهاور بسبب هذا التجاهل ثم أيضا بسبب أن حلفاءه قد أهدروا ميثاق الأمم المتحدة .. اثنين من حلفائه فعلوا به هذا .. وبسبب هذا كان موقفه القوى الحازم في الأمم المتحدة .. كان مصمما على

إدانتنا .. وعندما استخدمنا الفيتو ل إيقاف فعالية مجلس الأمن .. أصر على عقد جلسة طارئة للجمعية العامة لكي يضع بريطانيا وفرنسا واسرائيل في قفص الاتهام ..

عد إلينا يا أيزنهاور

وعلينا ألا ننسى أن الرئيس ايزنهاور .. مع كل أخطائه .. وعلى الرغم من كل العجز والفشل الذى أبداه فى فهم كل ما كان يدور فى ذهن الرئيس عبد الناصر .. علينا ألا ننسى أن الرئيس ايزنهاور هو الذى أخرج الإسرائيليين من الأراضى المصرية وأجبرهم على الذهاب .

والله وحده يعلم ماذا كان يمكننا أن نفعل لو أن ايزنهاور كان موجودا معنا فى أحداث عام ١٩٦٧ ..

وأحيانا .. يساورنى الحاطر بأن أقول « عد إلينا يا دوايت دافيد ايزنهاور .. فقد غفرنا لك كل شيء .. » ليتنى أستطيع أن أقول لك لأنه من المحزن جدا أن الرؤساء الذين تعاقبوا علينا من بعده كانوا ضالعين مع إسرائيل .. وعلى قمتهم الرئيس الحالى الذى يبدو أنه أكثرهم ارتداء فى أحضانها .. وأكثر وأكثر تقبلا ورضا على أى شيء تفعله إسرائيل .. دونما أى اعتبار لأى حقوق أو قيم .. إن السياسة السابقة لأيزنهاور فى محاولة الضغط من أجل اتخاذ موقف متوازن بين إسرائيل والدول العربية يبدو أنها ذهبت إلى الأبد .. وبغير رجعة ..

والآن فإن النقطة الثانية التى أريد التعليق عليها .. هى قضية لافون .. ففى اعتقادى أنه كان هناك اتصالات بين الرئيس ناصر وموسى شاريت .. ولكن هذه الاتصالات كانت فى مرحلة مبكرة جدا .. أعتقد أن هذا حدث عام ١٩٥٣ .. وقضية لافون لا أعتقد أن لها أى شأن بهذه الاتصالات .

فإن مؤامرة لافون - كما أفهم - كان القصد منها .. إثارة الشقاق بين بريطانيا ومصر إلى أقصى حد .. وقطع المفاوضات بينهما نهائيا .. إذا كان ممكنا ..

وكان من بين تخطيطاتها تفجير واغتيال الجانب البريطاني في المفاوضات فيهم
أنا شخصيا ومن ثم فإنه لا يبدو مستغربا مني أن أنظر إلى هذه المسألة نظرة
سوداء .

إن هدف مؤامرة لافون كان وضع حد درامى للمفاوضات المصرية
البريطانية والتي كنت أتولاها عندئذ .. وذلك بقصد إحداث صدع في العلاقات
بين بريطانيا ومصر حتى لا تواصل التفاوض حول الإدارة المستقبلية لقاعدة قناة
السويس على أساس جلاء القوات البريطانية عنها فقد كانت إسرائيل تريد بقاءنا
وكانوا مستعدين في سبيل تحقيق هذا الهدف أن يتخذوا أبشع الوسائل وحشية
وان يسلكوا أى سبيل معقول أو غير معقول .. لإنجاز هذه المهمة ..
الدكتور حلمى الحديدى : مستر جرین حيعلق تعليق صغير على السير أنتونى
ناتنج .

شاريت والعسكريون

مسترسيفن جرین : لو لم أكن لحوحا لما وصلت إلى شىء .. ولدى القليل من
الادلة ولكنى أعتقد أنها ستنفذ لو أن البعض هنا أدلى بشىء مخالف عما قلته ..
« عن اتصالات السلام » ..

أما فيما يتعلق بقضية لافون .. فإن ما أعرفه عنها لم أراه رأى العين .. كما
أنى لا أعرف العبرية ولكن تصورى عنها استمددته من البروفيسور آى شليم وهو
معروف في الولايات المتحدة الأمريكية ومشهور عنه هناك أنه مؤرخ عسكرى
معتدل وهو يعمل الآن في جامعة ريدنج في بريطانيا .

كانت عائلة موسى شاريت قد طلبت منه ترجمة مذكرات موسى شاريت .
وهو لم يقرر بعد إذا ما كان سيقوم بهذا العمل لأنه مع ثقته بأهمية المذكرات من
الناحية التاريخية إلا أنه غير واثق من نجاحها كمشروع للنشر .

ولقد فهمت منه بعد مراجعته لهذه المذكرات أن موسى شاريت على الأقل
كان مقتنعا بأن عملية لافون كانت تستهدفه شخصيا .. وكلنا يذكر أنها كانت

عملية غير قانونية لأنها لم تحصل على موافقة اللجنة العسكرية لرئيس الوزراء كما أنها نفذت دون علمه شخصيا بصفته رئيسا للوزراء ..

وكان موسى شاريت مقتنعا بأن ما كان يحاول أن يحققه لم يتحقق بسبب اختلافه مع من أسماهم العسكريين .. وكان في خلاف حاد معهم بسبب الاغارات التي شنت عبر عديد من الحدود .. ومدى فعالية هذه الاغارات وتناسها مع الظروف .. ولقد سببت هذه الخلافات توترا شديدا في العلاقات بينه وبين العسكريين .. ولعلها هي المرة الوحيدة في تاريخ إسرائيل - على حد علمي - التي كانت فيها العلاقات متوترة إلى حد بعيد بين قوات الدفاع الإسرائيلية من جانب وهيئة رئاسة الوزراء من جانب آخر .. وكانت أيضا بالطبع المرة الوحيدة إلى وقت قريب التي لا يجمع فيها رئيس الوزراء بين منصبه ومنصب وزير الدفاع ..

والآن سأتوقف عن هذا ..

الدكتور حلمي الحديدي : شكرا .. أمامي إعلان يقول إن هناك فيه حفل استقبال الساعة الثامنة في نادي الجزيرة .

غدا الجلسة تبتدئ في العاشرة ..

ورغم استعدادي للاستمرار في الجلسة إلا أن هناك موعدا يجب مراعاته .. أشكر السادة الذين تحدثوا من كلا الجانبين المستر جرين والمستر ديمتشيونكو على العرض اللى قدموه .. وباشكر المعلقين الأستاذ هيكل .. سير أنتوني ناتنج .. مستر فوت .. والدكتور إبراهيم صقر وكل من تقدم بأسئلة وأعتقد أن هذه فرصة نادرة فقد يعز اللقاء في وقت قريب لتجمع كل هذا القدر من المعلومات عن فترة من أغنى فترات مصر والتي لم ينته كتابة تاريخها بعد ..

أشكركم والسلام عليكم ورحمة الله ..

الجلسة الثالثة

رئيس الجلسة : محمد حسنين هيكل
القسم الأول : حديث مايكل فوت

حزب العمال البريطانى والعدوان على مصر كلمة مستر مايكل فوت

« لست أسعى إلى القول ، بأن معارضة حزب العمال ، كانت السبب الوحيد لوقف العدوان ، لأنه لو لم يكن هناك تهديد أمريكى بسحب دعمها للاسترلينى ، ولم يكن مسدس أمريكا قد صوب إلى صدىغ إيدن ، فإنى أظن أنه كان يمكن أن تستمر الكارثة ، إلى درجة ، وإلى فترة قصيرة. ولكنى أعتقد جازما أنه ما كان ممكنا أن تستمر لفترة طويلة. وليس هناك أدنى شك بالمره ، أن مقاومة الشعب المصرى لما حدث ، كانت على درجة ساطعة من القوة والعزم ، تحت قيادة رجل أثبت صلابته معدنه لأبناء وطنه ، ولا أشك لحظة أنه مع هذه القيادة ومع هذه المقاومة ، لو أن الحملة استمرت ، لكانت ستتهى بأسوأ مهانة ومذلة واجهتها بريطانيا فى هذا القرن .

- كلمة « تواطؤ » تعنى أن هناك اتفاقا شريرا ومجرما بين بلدنا والبلاد الأخرى المشتركة فى هذا التواطؤ .
- من أول نطق بكلمة « التواطؤ » ، فى مجلس الوزراء البريطانى قبل العدوان بثلاثة أيام .
- دائما كانت لدينا معارضة بريطانية للمسلك الاستعمارى ..

الجلسة الثالثة

رأس الجلسة الأستاذ محمد حسنين هيكل ..

الأستاذ هيكل : يا ذنكم نبدأ الآن الجلسة الثالثة من جلسات هذه الندوة ..

من دواعى اعترازى أن أشرف اليوم بأن أقدم لكم شخصية - فى اعتقادى - من أبرز الشخصيات البريطانية .. هو رجل لم أقابله إلا فى هذه الندوة ولو أنه كان لى الشرف أن أقابل وأن أعرف عن قرب اثنين ممن سبقوه فى رئاسة حزب العمال .. وهما هارولد ويلسون وجيمى كالاهان .. وعرفت مجموعة كبيرة جدا من أصدقائه والمحيطين به ، ومن أقطاب حزب العمال .. لكن هو بالذات لم تسنح لى الفرصة أن أقابله قبل الندوة .. وحقيقة كان من دواعى سعادتى أن أقابله .. فقد كنت أتابع باستمرار تاريخه .. ولفقت نظرى ظاهرة بالغة الأهمية فيه ..

كل واحد منا كما تعرفون له عدة أوجه فى شخصيته .. وحينما يكتب عنه أو حينما يؤرخ عنه أو حينما يعرف عنه .. يعرف بعدد من الوجوه . يعرف بالوجه الظاهر وهو أنه ولد سنة ١٩١٤ .. ودخل كلية كندا .. وتولى مناصب كندا .. ويعرف بتاريخه الشخصى ..

الجزء الخاص بتاريخه العام والظاهر قاله الأخ عبد المجيد فريد .. الجزء الخاص بتاريخه الشخصى لن أخوض فيه ماذا عمل ومن تزوج .. ومن أحب ..

الجزء الثالث وهو الجزء الأهم وأعتبره الجزء الإنساني الجزء التاريخي في الإنسان وهو فكره وموقفه وبمقدار ما يؤثر ويحرك ..

مايكل فوت واحد من الناس الذين أحدثوا تأثير ضخما جدا في الحياة السياسية في إنجلترا ليس فقط في حزب العمال ولكن أيضا فيما هو خارج حزب العمال .. لأنه كانت لديه دائما قناعة مبادئه .. وعنده دائما شجاعة إبداء رأيه وفقا لمبادئه .. وكان عنده باستمرار الإيمان بأن الكلمة لها القدرة على الفعل ، وأن الحوار هو أكثر محرك .. الحوار الديمقراطي هو أكثر محرك للحوادث وللناس وللقضايا وللتاريخ .

وبالتالى فأنا أعتبر وجوده معنا شرف كبير جدا ..

لقد حاولنا أمس أن نستدرجه ليتكلم فكان باستمرار يقول : غدا .. غدا .. غدا .. أخيرا نحن أصبحنا غدا ..

مستر مايكل فوت : السيد الرئيس .. أيها الأصدقاء ..

اسمحوا لى قبل كل شىء أن انضم إلى السير أنتونى ناتنج فى شكرنا للجنة المصرية للتضامن وللأصدقاء من أعضاء اللجنة فى لندن الذين تكفلوا بدعوتنا .. كذلك أود أن أعبر عن امتنانى لهذه الضيافة الكريمة التى أحطنا بها .. والتى آمل أنها ستحيط بنا أكثر وأكثر بعد انتهائى من إلقاء كلمتى ..

حقيقة .. أشكركم من أعماق على هذه الدعوة .. وعلى إتاحتكم لى الفرصة لأن أتكلم عن هذا الموضوع وفى هذه المناسبة ..

لقد ألفت كتابا عن السويس - مثلما فعل سير أنتونى - ولست أحاول الدعاية لكتابى لأنه نفذ فعلا من الأسواق .. وهذا أمر يجعلنى مدينا بالاحترام والتقدير لقرائى .. ولحسن تقديرهم .. ولكننى واثق أن كتابى لا يمكن أن يرتفع إلى مستوى المقارنة بكتاب السير أنتونى ناتنج ..

ولكننى على أية حال متأكد من أنه لا السير ناتنج ولا أنا قد استطعنا أن

نبلغ شأو رئيس جلستنا هذه .. عندما رتب الأمور بحيث يكون صدور كتابه متزامنا مع انعقاد هذه الندوة .. وبالطبع فهذا أقصى ما يصبو إليه أى مؤلف .. وأنا أرجو أن ينال كتابه أقصى حد من النجاح وأثق أن سير أنتوني يشاركني هذه التمنيات ..

كذلك أرجو أن تسمحوا لى بتعليق شخصى آخر .. قبل أن أغادر لندن اتصلت تليفونيا بأخى « هيوفوت » والذي قد يعرفه البعض منكم باسم لورد كارادون .. كان بالمستشفى - على وشك الخروج منها - وقلت له إننى ذاهب إلى القاهرة لكى ألقى كلمة عن دورنا فى السويس .. فتمنى لى التوفيق وقال لعلها تكون ندوة موفقة ..

أحكى لكم هذا لأننى وأنا هنا الآن أشعر على نحو ما بأننى أنوب عنه .. ذلك أن أول لقاء لى بهذا الجزء من العالم كان عام ١٩٣٣ عندما ذهبت إلى « نابلس » فى فلسطين - كما كانت تسمى آنذاك - حيث كان أخى يتولى أول مهامه فى الإدارة القديمة للانتداب على فلسطين .. وتعرفت لأول مرة على هذا الجزء من العالم عندما أخذونى إلى مدينة نابلس العربية .. ثم بعد ذلك بقليل إلى مدينة القدس العربية .. وبالطبع كان تعرفى على مشاكل المنطقة متأثرا بانطباعاتى فى تلك الفترة وبالتالى مختلفا عن مفهوم الآخرين عنها ..

وأستأذنكم فى أن أنقل إليكم مع تمنياتى تمنيات التوفيق فى مهمتكم من أخى الذى أثق فى أنه قد فعل منذ ذلك الحين كل ما بوسعه لمحاولة المساهمة فى إيجاد سلام مشرف وعادل فى الشرق الأوسط ..

والآن .. وقبل أن أبدأ المحاضرة المفروض أن ألقيا أمامكم أود أن أشير إلى دور حزب العمال ..

لقد كانت هناك فى بريطانيا خلال أعوام طويلة مضت تقاليد توارثتها الأجيال المتعاقبة .. وتمسك بها أناس وأحزاب رأوا عن عقيدة أنهم ملتزمون بالوقوف فى وجه المسلك الاستعمارى .. وهذه العقيدة عقيدة قديمة فى الحقيقة

وإن كان قد برز دورها في عام ١٩٥٦ .. ولكنها تمتد إلى ما قبل ذلك بسنين طويلة .. وسأعود إلى الكلام عنها بعد لحظة .. لأشير إلى مايجرى اليوم في عصرنا الراهن .. وأذكركم بأنه في لندن هذه الأيام أو في الأيام القليلة الأخيرة هناك أيضا بعض الاحتفال بذكرى عام ١٩٥٦ .. أو على الأقل محاولة استذكار ما حدث في ذلك العام ..

ومن بين هذا أوردت صحيفة الصنداي تلجراف في الأسبوع الماضي مقالا للسير جوليان إمري .. ولا أنوى أن أضيع وقتي الثمين هنا في الدخول في مجادلات وخلافات قديمة وطويلة مع السير جوليان إمري .. إذ لا أظن أن هذه محاولة مجدبة .. ولكنني أظن أن الأمر يستحق أن أشد انتباهكم إلى الذي مازال البعض يردده حتى يومنا هذا حول مثل هذه القضايا .. وإن كانوا قلة قليلة ..

مقال الصنداي تلجراف كان بعنوان « السويس : ووترلو أوربا » وحيث أن هناك إشارة جزئية في المقال إلى الفرنسيين .. فإني أعتقد أنه ربما كان من الحماقة أن يشير السير جوليان إمري إلى « ووترلو » .. لأن لمعركة ووترلو خصائص مختلفة عند الفرنسيين عن تلك التي لها عند الانجليز .. إلا إذا كان السير جوليان إمري قد اكتشف لتوه .. وبمفرده .. أمرا لم يكتشفه أحد من قبل .. وهو أنه كان هناك تواطؤ بين فرنسا وانجلترا المتحاربين في ذلك الوقت .. وكلمة تواطؤ هي أقصى كلمة أستطيع أن اختارها لتكون في حدود اللياقة والأدب !

وعلى أية حال فإنه اختتم مقاله بتتيجة لا أجد أشد منها غرابة وإثارة للدهشة .. فهو يصف أزمة السويس ١٩٥٦ برمتها .. وما قادت إليه .. والنتائج التي ترتبت عليها من وجهة نظره .. فينسب كل المصائب والأحداث التي وقعت بعدها .. لا في أفريقيا وحدها ولكن في أوروبا والعالم كله على اتساعه .. ينسب كل هذا إلى فشل الحملة العسكرية التي شنت عام ١٩٥٦ .. والتي كان السير جوليان إمري من غلاة مؤيديها والمتحمسين لها ..

وأصدقكم القول أن ما أقوله عن مقال الصندلى تلجراف .. وخاتمته ..
ليس من ضرب الخيال أو التشهير .. فالمقال معى الآن .. وأقرأ لكم منه خاتمته
التي وصل إليها كنتيجة !

« إن حربين عالميتين قد أضعفا بالفعل تأثير الدور الأوربي في العالم بصورة
محزنة .. ثم جاءت هزيمة بريطانيا وفرنسا في السويس أمام الولايات المتحدة
لتضع أخيرا خاتمة لدور أوربا كحكم وكوسيط في المسائل الدولية ..
إنها بالفعل ووترلو أوربا !! .. »

« ووترلو أوربا ! ؟ » جملة عجيبة بالفعل .. وليس هناك أية إشارة على
الإطلاق لوجود أى شىء آخر حتى إلى مصر نفسها على الرغم من أنى أعتقد
أن المؤامرة قد جرت على أرضكم .. وما من إشارة إلى أى وجود لأى تدخل
آخر ..

وصحيح أننا ناقشنا بالأمس وأشرنا إلى دور الولايات المتحدة الأمريكية
وأهميته .. ولكن إغفال الأمر كله وتحجيم أمر الحملة الانجلو فرنسية إلى مجرد
صراع بين بريطانيا وفرنسا في جانب والولايات المتحدة في الجانب الآخر ..
والخروج من ذلك بأن هذا الفعل كان بقصد تحريب النفوذ الأوربي عبر أفريقيا
وعبر العالم كله .. أعتقد أن هذا بالفعل نوع من العجرفة الغبية .. ولكنه يبين
بوضوح أن هذه النوعية من الأفكار يمكن أن تبقى في بعض الأذهان حتى من بعد
النتائج المأساوية الحقيقية لواقعة ١٩٥٦ .

والآن أعود إلى تلك النوعية الأخرى .. تلك التقاليد المغايرة في السياسة
البريطانية وفي التاريخ البريطانى .. لأنه كان هناك بالفعل ومنذ زمن مبكر
تقاليد أصيلة .. عندما كانت تقوم حكومات بريطانية من نوعيات مختلفة أو
شخصيات أو شعارات - بالتورط في إجراءات استعمارية - كما هي موصوفة أو
كما يصفها البعض منا - فإن هذه الاجراءات لا يقف في مواجهتها فقط
الشعوب التي تتعرض لها سواء في أفريقيا وآسيا أو أى مكان آخر - وإنما كان

هناك على الدوام معارضة لها .. قد لا تكون دائما بنفس القوة .. ولكنها كانت دائما هناك .. معارضة بريطانية تقف في وجه المسلك الاستعماري ..

وأعتقد أن هذا التقليد كانت له أهمية كبيرة على مدى تاريخ العالم كله ولم يكن فقط قاصرا على الشعب البريطاني نفسه .. ذلك أنه كان هناك بالطبع في كثير من الأحيان المعارضة البريطانية للمسلك الاستعماري التي أدت في النهاية إلى تسويات في المناطق المتأثرة .. والتي حافظت أيضا في النهاية بدرجة عالية على سمعة بلادى في هذا العالم .. وأعتقد أن الفضل في هذه السمعة يعود بدرجة غير صغيرة إلى مواقف شجاعة وقفها في أغلب الأحيان أقليات ضئيلة في لحظات سيطرت فيها الهستيرية المطلقة .. ولكن المواقف الشجاعة لهذه الأقليات قد أحرزت مكاسب حاسمة .

وحاليا - فإن بعض الناس يرجع هذه التقاليد إلى زمن حرب الاستقلال الأمريكية عندما فشل جورج الثالث في تفهم مايجرى في العالم الثوري الجديد وسعى إلى استمرار فرض السيطرة البريطانية أو السيطرة الإنجليزية كما كانت عندئذ - على الولايات الأمريكية حديثة الثورة .. في تلك الأيام نبتت تلك التقاليد التي أحكى عنها .. فأرست أسسها وملاحمها في تلك الخطب المشهورة التي ألقاها آدموند بيرك وتشارلز جيمس موكس وبرنسيلى شاريدون في مجلس العموم البريطانى في ذلك الوقت ووضعوا الأطر الأساسية لمعارضة المسلك الاستعماري .. ومن بعد ذلك على الدوام .. كانت هناك دائما مجموعات متعاقبة في مجلس العموم تحاول الاستمسك بهذه التقاليد عندما ينفلت عيار المتطرفين .. وأعتقد أن سير أنتوني ناتنج يعرف الأسماء أكثر من أى شخص آخر من الحاضرين .. كيف كان الامتحان عسيرا في مجلس العموم الإنجليزي في ذلك الوقت .. كل منهم كان ينظر وراءه إلى تلك التقاليد .. ينظر وراءه ليستمد الإلهام الرائع لكى يعمق هذه التقاليد ويضيف وبالفعل حدث ..

وأعتقد أن أول سجل كامل للمعارضة الإنجليزية للاستعمار لم يرد في اللغة

الإنجليزية بمثل الروعة التي قدمها جوناثان سويفت في كتاباته عن « رحلات جاليفر » .

كتب جوناثان سويفت كتابه « جليفر » من خلال رحلاته في إيرلندا في دبلن عندما شاهد ما كان يفرض قسرا على الشعب هناك .. وجزء كبير من هذا الكتاب كان مكرسا لتعرية ما يمكن للاستعمار أن يفعله بشكل أو بشكل آخر ..

ولست أقول إن كل صبي قرأ « رحلات جاليفر » قد استطاع لأول وهلة أن يصل إلى عمق ما يقرأه .. ولكنني أعتقد أنه من الضروري ومن المجدى أن يقدم إلى كل وزير بريطاني .. بمجرد أن يتولى منصب في بريطانيا .. نسخة من رحلات « جاليفر » وأن يكلف رسميا بقراءتها قراءة متعمقة قبل أن يباشر أى شيء من مهام منصبه .. ذلك أنني أعتقد أنه كان يمكننا أن نتجنب كثيرا من الأحداث المؤسفة في تاريخنا بما فيها أزمة ١٩٥٦ ..

ومع ذلك فإن التقاليد التي تحدثت عنها استمرت .. بل ودعمت .. وقد دعمت إبان غزو مصر عام ١٨٨٢ .. لقد قرأت قصة الغزو البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ .. عندما كنت أعد كتابي الذي أعلنت عنه اليوم .. وتستطيعون أن تروا أنني تناولت فيه أمر ذلك الغزو .. وعندما بدأت رحلتي للقاهرة منذ أربعة أيام أعدت قراءة قصة هذا العدوان .. وكرجل إنجليزي .. فأنا لا أستطيع أن أقرأه دون أن أتميز غيظا وغضبا .. فإن قراءته لا بد وأن يصاحبها شعور متزايد بالغضب مما حدث .. ولكن قد يكون من العزاء لي كإنجليزي .. أنه قامت في إنجلترا في ذلك الوقت أقوى وأعنف معارضة لما حدث .. وما حدث بالطبع هو أن الانسحاب التدريجي للقوى الأوروبية والانسحاب النهائي لفرنسا ترك بريطانيا وحدها لمواجهة الفوضى المتزايدة في مصر .. مزيج جنوني من الصراعات والدوافع والأحداث : التزامات أخلاقية .. مصالح مادية .. قناة السويس .. سنلوات الدين المصري .. حركة عرابي الوطنية .. ثم مذابح ١١ يونيو ١٨٨٢ .. كل هذه التفاعلات التي بلغت ذروتها بضرب الأسطول

البريطاني المدينة الإسكندرية بالقنابل .. ثم استقالة الراحل مستر برايت من الوزارة احتجاجا .. ومع ذلك تأخذ النشوة مجلس العموم البريطاني فيندفع في حماس مهللا للأنباء .. فقط ثمانية من أعضائه .. راديكاليون متطرفون .. التزموا بمبادئهم ومن ورائهم قلة صغيرة أيديهم في البداية .. ولكن الثمانية ظلوا على معارضتهم للنهائية .. واحد بينهم كان اللورد راندولف تشرشل .. اللورد راندولف تشرشل عارض عملية ١٨٨٢ ضد مصر .. عارضها برمتها .. وندد بالعدوان وأدانته .. وكانت هذه الحرب في نظره حربا دنيئة .. شريرة وغير عادلة .. وأسماها حرب حملة السنات .

وكما شعر تكلم بكل ما يحس به .. ورغم أن المدافع ظلت تهدر نيرانها .. فإن الحقيقة تبقى .. إن مثل هذا الاحتجاج الذي ارتفع وسجل في مجلس العموم .. أدى في بعض الأحيان إلى تطورات مختلفة في تاريخنا .. تاريخ مصر وتاريخ بريطانيا .

إن مثل هذه المواقف هي التي عبثت الطريق أمام أصحاب المبادئ ليسيروا على نفس النهج .. هذه النخبة الشجاعة التي استمدت دورها من أولئك الذين وقفوا هذا الموقف في مجلس العموم عام ١٨٨٢ .. لعبوا نفس الدور الذي لعبه أنتوني ناتنج عام ١٩٥٦ .

وفي يونيو ١٨٨٢ .. والغزو البريطاني مستمر على مصر .. ارتفع هنا صوت آخر .. هذا الرجل الانجليزي الذي عرف القاهرة .. عرف مصر أكثر من أي شخص آخر .. وكتب كلمته الرائعة عقب افتتاح القنال بأشهر قليلة .. وكانت البداية الكاملة لكل عمليات السويس .. وإني لفخور بأن هذه الكلمات كتبها رجل انجليزي .. بل إنه كان من أوائل الناس الذين كانت لديهم الحمية والأمانة ليؤمنوا بمثل ما قاله .. قال « إن قناة السويس لا يمكن أن تكون في أمان محمية ومكفولة لخدمة بريطانيا ولخدمة باقي دول العالم إلا إذا اعترف بالشعب المصري عضوا في المجتمع الدولي .. »

جاء هذا القول عام ١٨٨٢ .. ولو أن هذه السياسة كانت قد اتبعت ..
لتغير وجه التاريخ كلية .. ولكم كان يصبح تاريخنا سعيدا مشرفا .
ولكن كما قلت .. فإنه يشرف أى رجل إنجليزي أن مثل هذه الأقوال قد
كُتبت وقيلت فى الوقت الذى كانت تقذف فيه مدينة الإسكندرية بالقنابل ..
وهكذا سارت الأمور حتى وصلت إلى عام ١٩٥٦ .. كانت هناك هذه
التقاليد فى مواجهة التصرفات العدوانية .. كانت هذه التقاليد هناك بالطبع ..
وخاصة فى الجانب العمالى .. ولست أقول إن هذه التقاليد قد وضعت موضع
التنفيذ كاملة وعلى الفور .. وأنا أذكر المناقشات الحيوية الحادة .. كان الجدل
قد احتدم بين سائر الأجنحة فى حزبنا .. الأمر الذى كان كثيرا ما يحدث ..
وربما كان مثله يحدث أيضا فى بعض الأحزاب الأخرى .. ولذلك كان من
الضرورى أن يحترم حق التعبير عن الرأى بجرية داخل الأحزاب والتجارب
علمتنا أنه فى داخل الحزب ربما تحولت الأقلية اليوم إلى أغلبية غدا إذا ما
استطاعت أن تقنع الآخرين برأىها .. وذلك قد حدث حتى فى البرلمان
البريطانى نفسه .

ولكن لم يحدث فى تاريخنا كله .. أو على الأقل فى تاريخنا الحديث أن كنا
فى حاجة لتوكيد حرية الرأى والتعبير والمحافظة عليها سواء داخل البرلمان أو
داخل حزب العمال بقدر ما كانت عليه عام ١٩٥٦ .. لأنه فى نهاية الأمر
- كنتيجة لهذا الجدل الحار المحتدم فى برلماننا وفى وطننا وفى صحافتنا - وقفت
معظم الصحف فى صف هذا الهجوم .. ولكن فى نفس الوقت اتخذت بعض
الصحف بشرف وشجاعة جانب المؤازرة للهدف الرسمى وللتقاليد التى تحدثت
عنها .

ولا أتصور أن هناك أى اعتراض إذا ما قلت إن تلك المناقشات التى جرت
فى البرلمان فى ذلك الوقت تعتبر أصرح وأوضح المواقف على الإطلاق فى البرلمان
البريطانى منذ عام ١٩٤٥ بل منذ عام ١٩٤٠ .

في عام ١٩٤٠ استمد البرلمان البريطاني الحق في إسقاط الحكومة .. لأننا عملنا على طرد حكومة كادت تقودنا إلى الخراب .. ووضعنا بدلا منها حكومة ونستون تشرشل التي قادتنا في النهاية إلى النصر .. فإذا لم تكن هذه القدرة قد توفرت للبرلمان ما كنا أبدا قد استطعنا أن نحدث ذلك التغيير في مثل تلك الآونة الحرجة .. عام ١٩٥٦ .

ورغم أن التغيير لم يحدث بالحسم والعمق الذي كان يريده حزب العمال .. ولكن على الأقل المعارضة التي قادها حزب العمال داخل البرلمان وخارجه قد أثمرت .. ذلك أننا قررنا أن المسألة كانت من الخطورة بحيث كان يجب ألا تترك بالطبع محصورة في يد البرلمان وإنما كان واجبا أن تطرح على الرأي العام على اتساعه ..

وبعد أيام .. في يوم الأحد التالي للغزو .. خرجت مظاهرات عارمة وهائلة في ميدان الطرف الأغر .. خطب فيها أنورين ييفان بين خطباء آخرين .. كانت مظاهرات ضخمة هائلة كشفت عن مدى عمق المعارضة للغزو .. وأعتقد أنه كان لها بعض الأثر .. ولست أدعي أنها كانت العامل الوحيد في وقف العدوان .. بالطبع لم تكن كذلك .. ولكنها كانت واحدا من العوامل .

هذه المظاهرات التي عبرت بعنف عن المعارضة في بريطانيا لكل ما حدث .. كانت واحدة من العوامل التي في خلال فترة قصيرة من الوقت استطاعت أن تضع حدا للحملة المشثومة .. وتنتهيها .

ولست أسعى للقول بأن المعارضة كانت السبب الوحيد لوقف العدوان .. لأنه لو لم يكن تهديد أمريكا بسحب دعمها للاسترليني .. ولو لم يكن مسدس ايزنهاور قد صوب إلى صدىغ إيدن .. وعلى صدىغ ماكميلان .. فإني أظن أن الكارثة كان ممكنا أن تستمر الكارثة إلى درجة ما ولفترة قصيرة .. ولكنني لا أعتقد جازما أنها ما كان ممكنا لها أن تستمر لفترة أطول بأي حال من الأحوال .. لأنه ليس هناك أدنى شك بالمرّة في أن مقاومة الشعب المصري لما

حدث كانت درجة ساحقة من القوة ومن العزم .. تحت قيادة رجل أثبت
صلابة معدنه لأبناء وطنه .. ولا أشك لحظة أنه هذه القيادة وهذه المقاومة ..
أنه لو أن الحملة قد استمرت لكنت ستنتهي بأسوأ مهانة ومذلة واجهتها
بريطانيا في هذا القرن .

وأستطيع أن أقول إن الاجراءات التي اتخذت لإجبار بريطانيا على وقف
العدوان كانت حصيلتها في النهاية إنقاذ سمعنا وإنقاذ موقفنا .. هذه الإجراءات
التي اتخذت في اللحظات الأخيرة .. فاستطاعت أن توقف الكارثة من أن
تتطور من سيئ إلى أسوأ .. وأن تحول دون وقوع ما كان على وشك أن يقع .
وإني لسعيد بأن أقول .. إن التسويات التي جرت بين بلدنا على النحو
الذي جرت به - ما كان ممكنا أن تتم على أية صورة من الصور وفي مواجهة
التعقيدات المتصاعدة .. لو أن المغامرة استمرت .. وتواصل العدوان حتى
وصل إلى مرحلة الاحتلال .

وأعلم أن هناك مناقشات جرت بالأمس .. وقد وعدت بأن أعلق اليوم
حول بعض مآدار فيها وخاصة مسألة الضغوط التي تداخلت في الموقف
وكشف الستار عنها مؤخرا .

وبالطبع .. كلنا نعلم أن الاتحاد السوفيتي قد وجه تهديدات إلى الحكومة
البريطانية في ذلك الوقت .. كذلك أشار البعض أمس إلى بعض العوامل التي
أعتقد أنها كانت سببا لانهايار الغزو .. ولكنني أعتقد أن مقاومة الشعب
البريطاني .. عفوا .. بل مقاومة الشعب المصري بالدرجة الأولى .. ثم مقاومة
الشعب البريطاني .. بالإضافة إلى حزم الإدارة الأمريكية .. كانت العوامل
الرئيسية لوقف العدوان ..

ولكنني لا أنكر بالطبع أهمية الإجراءات التي اتخذتها الحكومة السوفيتية
وبخاصة على ضوء ما كان يجري في نفس الوقت في مكان آخر .. في أوروبا ..
وأيا كانت طبيعة الدور الذي لعبه الاتحاد السوفيتي .. فإن أهمية هذا الدور

هي أنه أكد إلى أي مدى تسبب التصرف البريطاني في السويس في ضياع فرصة أوروبا وسائر بلدان العالم في التركيز على الأحداث التي جرت في وسط أوروبا .. ومواجهة التهديد الذي أصبح قائما بعد أحداث بولندا والمجر .. لأنني أعتقد أنه لو لم تدمر الحكومة البريطانية نفسها بعملية الغزو .. وأنه لو لم يتمكن ذلك الغرور الطائش من أن يستحوذ على قادة الحكومة البريطانية في الأسابيع الأخيرة السابقة على الغزو .. لو لم يكن هنا قد حدث .. إذن لكان المأمول عندئذ أن تتجه الحكومة البريطانية بفكرها واهتمامها إلى مشاكل أوروبا الوسطى .. لو أن هنا قد حدث .. إذن لأمكن لأوروبا أن تعيش لحظات من الانفراج السياسي .. وكم هي عزيزة ونادرة لحظات الانفراج السياسي في أوروبا .. بحيث كان يجب أن نتشبت بها كلما أتتحت .

وفي سنة ١٩٥٦ كانت هناك بوادر ورغبة في تحقيق انفراج سياسي في أوروبا .. وإن كانت قد عرقلتها جزئيا بعض الأحداث مثل التي جرت في بولندا .. وتلك التي كانت على وشك أن تحدث في المجر .. وكلنا يعلم أن الزعيم السوفيتي سكرتير عام الحزب هناك قد أظهر في مناسبات عديدة استعداده لتحقيق ذلك الانفراج .. وتكرر منه ذلك مرات عدة الأمر الذي كان يجب معه عدم إهمال هذه المبادرة على الرغم من إدانتنا لتصرف الاتحاد السوفيتي في المجر .

ولكنني أحيانا أتصور أن التدخل الروسي .. أو الإجراءات الروسية .. أو المذكرات الروسية قد أسىء فهمها ولم تقدر حق قدرها .. وخاصة أن هذه المذكرات لم تسلم للحكومة البريطانية بطريقة علنية .. لم يسع السوفيت إلى اتخاذها مادة للاستعراض الدعائي والبروباغاندا .. في سبتمبر .. قبل غزو مصر شهر أو أكثر .. سلمت الرسائل السوفيتية بالطرق الرسمية في سرية لم يعلن عنها .. ولم يكن من عادة السوفيت في الأمور التي يبغون من وراءها الدعاية أن يتبادلوها مع الآخرين بهذه السرية .. وهذا يؤكد أن رسائلهم للحكومة البريطانية

كانت على درجة عالية من الجدية ولم تكن ضربا من الدعاية .. وتتابع المذكرات من جانبهم وأستطيع أن أؤكد أن المذكرة الأخيرة كانت تحمل تحذيرا صريحا .. تحذيرا من العواقب الوخيمة التي قد تنتج إذا منافذت بريطانيا عزمها .. وأعتقد أن هذا يضيف إدانة جديدة للحكومة البريطانية ويسجل عليها أنها قامت بالعدوان وهي تعلم تمام العلم أن هناك تحذيرا بل إنذارا صادرا إليها من واحدة من القوتين الأعظم .. بأنهم إذا مامضوا قدما في تنفيذ خطتهم فإن النتائج ستكون خطيرة .

إن كل شعب من الشعوب له الحق في أن يعتز بكرامته وأن يكون حساسا في كل ما يتعلق بهذه الكرامة .. والشعب البريطاني كغيره له كرامته ولديه الحساسية في كل ما يتعلق بها بدرجة شديدة .. وماكنت في حاجة لأن أقول ذلك ولكني فقط أردت أن أؤكد طبيعة هذا الشعب ثم أصور الحالة التي كنا فيها .. فمن خلال كارثة السويس .. أحس الشعب البريطاني بأنها كانت لحظة نخزي وإذلال .. وعم هذا الشعور الأمة البريطانية بأكملها .. وشمل البرلمان الذي وافق من قبل على شن هذه الحملة .. وكذلك الحكومة البريطانية التي أوقعت البلاد في هذه الورطة .. كلنا بأكملنا شعرنا بالأسى والإحباط .. ولكن في نفس الوقت كانت هناك العزة الوطنية أيضا .. والحساسية لكرامة هذا البلد .. فإذا جاء البعض وحاول أن يبحث عن مسببات ونتائج هذه الكارثة بالنسبة لبريطانيا .. بل بالنسبة لأوروبا والعالم كله .. فإن عليه أن يدخل في حساباته كافة العوامل المتزامنة معها .

ولقد كان بيان أنورين بيفان أمام مجلس العموم البريطاني بمثابة تصوره الخاص لهذه المأساة برمتها من الأسباب إلى النتائج .. ولقد فعل ذلك بجدارة رجل الدولة المحنك المتمرس الذي يشعر بمسئولية ووطأة اللحظة التاريخية التي تمر بها البلاد .. وأذكركم بأنه كان يواجه في تلك اللحظة مجلسا للعموم مفعم بالمرارة والألم .. يتأجج بين أغلبيته الساحقة مشاعر الغيظ والغضب ضد حزب العمال وضد الأسلوب الذي سلكه المتحدثون باسمه خلال الأسابيع الماضية .. رغم أن موقف هؤلاء العماليين كان موقفا مشرفا ولم يكن هناك مندوحة

من اتخاذه.. ومع ذلك كانت جماعة الأغلبية في المجلس مغيظة مجنقة على هذا الموقف.. مثقلة بالهزيمة التي لحقت بها.. والكل محزون في أسى لما حاق ببريطانيا نتيجة هذه المغامرة الطائشة.. في هذا الجو.. وفي هذه الظروف.. كان من الضروري أن يقال شيء.. لا بد أن يقال شيء يجعلنا نفهم ما حدث.. وهذا ما فعله أنورين بيفان.

وأستاذكم في دقيقتين أتلو عليكم فيها ما قاله أمام معارضيه :

«الأعضاء المقرون

خلال الأسابيع الأخيرة.. استسلم البعض لشعور الهزيمة وتصوروا أنهم وصلوا إلى حنف مجدهم.. ويرددون بأن إنجلترا قد أصبحت دولة من الدرجة الثانية. وأنا أظهرنا للعالم بكل وضوح تصرفنا غير المجدى في السويس أن الشعلة قد انتقلت من أيدينا إلى أيدي غيرنا.. وأنا يجب أن نعتبر أنفسنا من الآن قوة من الدرجة الثانية وأن علينا أن نحتمي بمحاط من حائطنا..»

«أنا لست من هذا الرأى.. ولن أتقبل فكرة أن بريطانيا العظمى قد أصبحت قوة من الدرجة الثانية.. بل على العكس من ذلك فأنا أرى أن هذا البلد قد اخترن كما هائلا من الخبرة المركزة وحصيلة من التجارب والمعرفة لم يتيسر مثلها لأى بلد في هذا العالم.

قد أكون مخطئا.. وقد تكون للحقائق فيها كثير من الذاتية ولكننى أرفض بتاتا فكرة أن مايسمى « بانقراض الإمبراطورية البريطانية » يستوجب بالضرورة قيام امبراطورية أخرى.. وإنما وقد أصبحنا قوة من الدرجة الثانية علينا إذن أن نتنازل صاغرین عن إراداتنا وأن نكون توابع للقوى ذات الدرجة الأولى.. هذا قول فارغ من الحقيقة.. عار عن الصحة.. لأنه في حقيقة الأمر ليس في علمنا هذا قوى عظمى.. وإنما فقط هناك مكبوتة بحيرة..

نحن لسنا في عصر تتصارع فيه الامبراطوريات القوية حول بقاع. من

الأرض .. وتسعى إلى وراثة تلك التي استطاعت أن تهزمها وتفنيها .. هذا غير حقيقى .. وغير صحيح ..

القوى العظمى لعالم اليوم عندما تنظر إلى ترسانات الأسلحة التي شيدها فإنه ينتابها شعور العجز والإحباط والحيرة .. فإذا كانت الحالة هكذا .. فما جدوى الحديث عن قوى من الدرجة الأولى أو قوى من الدرجة الثانية .. أو الثالثة ..

من المؤكد أن هذه لغة خاطئة ومن الخطأ استخدامها للتعامل لأنها لا تتفق مع روح حقائق العصر الراهن ..

إن ما علينا أن نبحث عنه ونهتدى إليه هو أن نكتشف زيادة جديدة للوصول إلى العظمة والقوة .. أن نبتكر أساليب جديدة الفكر .. وسائل جديدة للإلهام ولإعلاء كرامة الفكر الإنساني .. ونحن قادرون على أن نفعل ذلك ..

كانت هذه كلمات انورين بيفان يوجهها إلى مجلس عموم يعاديه بمرارة .. مجلس عموم لم يألف بعد معاني صراع القوى العظمى .. والسباق من أجل القنبلة الهيدروجينية .. وسباق التسلح النووي .. ولكنى أعتقد أن كلمته كانت أنسب كلمة يمكن أن توجه في مثل هذه الظروف ..

ولعلها قمة التناقض والسخرية في مجريات الأحداث أنه عند انسحاب القوات البريطانية من منطقة القتال - ليس في عام ١٩٥٦ بعد الكارثة - وإنما عام ١٩٥٤ بموجب الاتفاقية مع مصر فإن ونستون تشرشل قال موجهها كلامه إلى المصريين عن هذا الانسحاب قال : «والآن فإن السبب الرئيسى لحدوث ذلك أن اختراع القنبلة الهيدروجينية قد جعل وجود مثل هذه القاعدة بلا قيمة مادية فعالة في مثل هذا العصر ..»

ولم يكن ما قاله ونستون تشرشل صحيحا .. كان فقط جانباً ضئيلاً من الحقيقة .. لم يكن من اللائق أن يكون مثل هذا المعنى خاتمة رفقة طالت بين

مصر وبريطانيا.. وكان حريا بسير ونستون تشرشل أن يكون قد تعلم شيئا من أبيه اللورد راندولف تشرشل وموقفه المشرف عند احتلال مصر عام ١٨٨٢ .. وخاصة أن ونستون تشرشل قد أصدر كتابا عن حياة أبيه لا بد أنه تابع فيه مواقف الرجل العظيم الراحل ومسيرته السياسية ..

والحقيقة أن ونستون تشرشل كانت له في حياته لحظات تتميز بالشهامة الرفيعة والتزاهة الأصيلة .. هنا شيء معروف في بريطانيا .. ولكنه كانت له أيضا لحظات يعنى فيها كلية عن حقائق العصر .. وكان واجبا على ونستون تشرشل بدلا من أن يقول هذه الكلمات التى ودع فيها مرحلة طويلة من الارتباط بين مصر وبريطانيا .. كان واجبا عليه بدلا من ذلك أن يدرس ويفهم بعمق تاريخ هذا الارتباط الذى طالت مدته بين بريطانيا ومصر .. وأن يتحلى بهذه الشهامة والتزاهة وهو يعلق على اتفاقية الجلاء .

ولكن - كما أقول دائما - كانت هناك على الدوام تلك اللحظات التى كانت تنتصر فيها في بلادنا تقاليد من نوعية أخرى .. نوعية مشرفة عادلة وواقعية .. ولقد حاولت أن أصور لكم كيف طبقت هذه التقاليد عام ١٩٥٦ .. وأعتقد أنها كانت واحدة من العوامل التى أسردت شرف بلادى في النهاية ..

ولكن ليس هناك ما يمكن أن يقال ليمحو نهائيا الجرم الذى حدث .. وإني لخزين إذ أقول إن أكثر ما كشف عنه مؤخرا من وثائق يضيف مزيدا من الإدانة والتجريم والبشاعة لهذا الذى حدث .. لم تكن كلمة «تواطؤ» كلمة مألوفة من قبل .. ولكنها أصبحت كلمة شائعة في المناقشات العامة .. أثناء الهجوم على السويس .. وكانت أول مرة ذكرت فيها - كما ورد في الكتاب الذى قرأت فيه عن هذا الموضوع كتاب عن تاريخ حياة أنتوني إيدن - كانت هناك إشارة إلى كلمة «التواطؤ» إنها وردت قبل وقوع العدوان بثلاثة أيام في اجتماع لمجلس الوزراء البريطانى .. ثم ظل الإنكار يلف بها أسابيع طويلة بعد العدوان ..

كانت الواقعة تنكر وتنفي .. ولكن الواقعة كانت حقيقية .. وكان هناك
«تواطؤ» وهذه الكلمة تعني أنه كان هناك اتفاق شرير ومجرم بين بلدنا والبلاد
الأخرى المشتركة معها في هذا التواطؤ..

الجلسة الثالثة

القسم الثاني

مناقشة هول حديث مستر مايكل فوت

شارك فيها :

- كيث كايل - أنتوني ناتنج - سعد الدين إبراهيم - طلعت مسلم - أحمد عبد الله .
- ماذا قال ليند لأنتوني ناتنج في المكالمة التليفونية وهو يتعمش في فندق سافوي ، حول خطته للخلاص من عبد الناصر؟
- ماهي الأهداف الخمسة في التوجيه الاسرائيلي الذي سلمه بن جوريون لندايان في أكتوبر ١٩٥٥؟
- رابين قال إن ذمة الحرب قد تحولت ضد المهاجمين بقرار الرئيس ناصر بسحب القوات المصرية غرب السويس لحظة وقوع التدخل الانجليزي الفرنسي .
- « كايل »
- كان في حزب العمال منذ عام ١٩٤٥ وقبل ذلك ، اتجاه قوى مؤيد لإسرائيل وتقليد متاصر للصهيونية ولكن الحزب بكامل أعضائه وقف ضد العدوان ماعدا واحد أو اثنين .
- « فوت »
- وإذا لم يكن للشعب البريطاني هذا الحق وهذه القدرة فإني أشك كثيرا في أن بريطانيا كان يمكن أن يكون لها تاريخ على الاطلاق .

الجلسة الثالثة : القسم الثاني :

الأستاذ محمد حسنين هيكل : لم تصلني أسئلة بعد .. وأنا أعرف أننا سنستغرق بعض الوقت لحين استرداد الوعي بعد هذه الجرعة الرائعة .. ومع ذلك أنا مستعد لتلقى أسئلة .

مستركيث كايل : هل أستطيع أن أتكلم الآن .

الأستاذ هيكل : طبعاً .. إذا كان عندك سؤال .. وأنا في الحقيقة ادخرتك لشيء آخر .. وكنت سأحتفظ بك للمفاجأة .. لكن .. ليكن .

ربما يعرف البعض من حضراتكم أنه في نفس الوقت الذي كنا بتناقش فيه في الثلاثة أيام الماضية ، كانت هناك ندوة في إسرائيل عن نفس الموضوع .. برضه تتناقش أيضا في موضوع السويس وكان مشتركا فيها اسحق رابين .. وزير الدفاع حيث تحدث كثيرا .. ومستركيث كايل من شاتهم هاوس الذي تعرفونه ، وبعضنا قرأ له ، كان موجودا هناك وكان مشاركا في الندوة .. وفيما بعد ذلك سألتى عما إذا كان يمكن أن يحضر ندوتنا ، ليستكمل الصورة ، بمعنى أنه قد حضر الندوة الأخرى على الجانب الآخر .. ويبقى حاضر اليوم معنا في هذه الناحية .. وقد رددت عليه بالايجاب ، لكن في مقابل شيء .. هو أننا نريد أن تكون لدينا فكرة عما قيل هناك .. هذه هي المفاجأة التي كنت أخفيها .. لكن بما أنه يريد الكلام ...

الميل الصهيونية في حزب العمال

مستركيث كايل : كنت أود أن أسأل المستر مايكل فوت عما إذا كان يستطيع أن يقول لنا شيئا عن الغموض أو الالتباس في موقف واتجاه حزب العمال البريطاني بما في ذلك الجناح اليسارى من الحزب .. في هذا التارجح حيال الأحداث التي وقعت بعد الاستيلاء على شركة قناة السويس .. هذا الغموض الذى نشأ من ناحية بسبب الميل الصهيونية داخل حزب العمال .. هذا التقليد الذى قاد الحزب إلى موقف صهيونى متطرف في بيانه الانتخابي الذى أعلن عام ١٩٤٥ .. ولقد لمست بنفسى بصفة خاصة في التعليقات المبكرة التى صدرت عن أنورين ييفان عن أزمة السويس التى خصص لها في ذلك الوقت عاموده الأسبوعى في صحيفة التريبيون والتي كان المستر مايكل فوت يرأس تحريرها .. وفي واحد من هذه المقالات الأسبوعية تناول أنورين ييفان قضية السويس وانتقد فيها الحكومة البريطانية وقيادات حزب العمال البريطانى .. ولكنه أيضا هاجم بشدة الرئيس ناصر وانتقد بعنف سجل أعماله ..

ولقد وجه واحد مانخطابا إلى صحيفة التريبيون قال فيه : هل يمكن في المستقبل أن نجمع المقالات التى أوردها أنورين ييفان في عاموده الأسبوعى ونطبعها على أن نكتب في مقدمتها أن هذه الآراء لا تعبر عن آراء المسئولين في صحيفة التريبيون ولا يتحمل رئيس تحريرها مسئولية ماورد فيها ..

إنه يهمنى كثيرا لو أن المستر فوت تناول هذه النقطة ليكشف لنا عن الغموض والتناقض داخل حزب العمال ..

مستر مايكل فوت : إن مايقوله كيث كايل صحيح وحقيقى حول الغموض والتناقض في حزب العمال وحول موقف أنورين ييفان .. وكرييس تحرير لصحيفة التريبيون في ذلك الوقت .. فإني كنت واعيا لكل مايجرى .. لأن أنورين ييفان كان بالطبع أبرز الكتاب المميزين الذين يدونا بمقالاتهم ..

وكانت لنا خلافات عديدة حول مقالاته .. ولكن مها يكن - رغم الخلافات - فإن صحيفة التريبيون كانت أول صحيفة في بريطانيا بأسرها نشرت في عناوين عريضة أن إيدن يعد للحرب .. وفي الوقت الذي كانت كل الصحف الأخرى تتخبط في الغموض والتناقضات .. كنا أول صحف تنبأت - وأعتقد أن نبوءتنا كانت صحيحة وعلى أسس معززة بالأدلة - إيدن كان بالفعل يعد للحرب .. وطبعنا عناويننا الرئيسية في الصفحة الأولى على هذا الأساس رغم استنكار منافسينا المحافظين .. وكان ذلك في بداية أغسطس في الوقت الذي كانت فيه أغلبية الناس لاتصدق ذلك ..

وحققي أنه كان هناك كثير من الجدل في ذلك الوقت مع أنورين بنفسه لأنه كان - لأسباب سأذكرها فيما بعد - يتخذ لنفسه خطأ مغاير ويرغم ذلك فإن من يقرأ كل ما كتبه أنورين يفيان للصحيفة منذ البداية بداية الجدل حتى النهاية .. وما قاله في مجلس العموم في مواجهة برلمان أعاضف - كما وصفت من قبل - أعتقد أن ما قاله يشمخ كأعظم مثال يمكن أن يستخدم فيه البرلمان للغرض الأسنى لحث السلطة التنفيذية نحو غير ذلك المسار القائم .. وفي بعض الأحيان بالطبع كان يكشف عن كامل لما كانت الحكومة تدبره الأمر الذي يمكنه من أن يعرض القضية ببطء فعاله .. وبعض خطبه - في اعتقادي - يمكن أن تكون بين أعظم الخطب هذا القرن ومن ثم فإنني لا أريد على أية صورة أن يقلل من قدرها .. هذا الرغم من أن ما قاله كيث كاييل صحيح وحقيقي .. ذلك أنه كان في - العمال بدءا من عام ١٩٤٥ وربما قبل ذلك .. كان هناك اتجاه قوى - لإسرائيل .. وفي بعض النواحي تقليد مناصر للصهيونية .. وكان هذا الاتجاه المسيطر على حزب العمال قبل عام ١٩٤٥ ونتيجة لهذا تناول بيان الح لعام ١٩٤٥ عرضا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .. وقد ذهب الح في ذلك إلى أبعد مما ذهب إليه أى حزب آخر من قبل .. والسبب هو كانت قد نشأت رفقة وثيقة .. رفقه شخصية وثيقة وصلاقات بين عديد

زعماء حزب العمال البريطانى وعدد كبير من اليهود فى فلسطين وفى أنحاء كثيرة من العالم أيضا .. ومن ثم شارك أنورين بيفان هذا الهوس وهذه المشاعر وهذا التعاطف .. وهذه العلاقات الحميمة .. وكل هذا قد بيته وشرحته فى كتاب حول هذا الموضوع بعنوان « حياة أنورين بيفان » .. وسترون أننى ناقشت هذا الوضع بالتفصيل .. لأنه من الواضح ومن الجلى أن المسألة كانت على جانب كبير من الأهمية حيث تعاطف أنورين بيفان تعاطفا كبيرا حتى النهاية القصوى مع آمال أولئك الذين أقاموا الوطن القومى لليهود فى فلسطين .. بل إنه كان بعواطفه منحازا إلى كثير من التصرفات التى اتخذت .. ولكنه كان أيضا مستعدا لأن ينتقد التصرفات التى لا يقرها .. وبالفعل كان انتقاده لما حدث عام ١٩٥٦ عنيفا ..

أما عن العناصر الأخرى التى خلقت هذا التعاطف السائد فى الحزب نحو الصهيونية فلا أظن أنى أستطيع أن أخوض فى تفاصيله الآن .. لكن بالطبع فإن ما قاله كيث كابل صحيح .. كان التعاطف مع إسرائيل واحدا من التقاليد الأساسية لحزب العمال وقد أثر هذا على اتجاهه فى كثير من المناسبات .. ولكن هذا لا يمنع أن الحزب فوجئ بما فعلته الحكومة عام ١٩٥٦ فإن الحزب بكامل أعضائه قد وقف ضد العدوان ما علما واحد أو اثنين على الأكثر .. ولكن الحزب بأسره عارض الغزو .. عارضها داخل مجلس العموم .. وعارضها خارج مجلس العموم وأقام الدنيا ضدها .. بكل ما يملك من قدرة ومثابرة وكفاءة .. وفى نفس الوقت بكل صراحة ودون أى تردد .. وكان هذا هو الموقف الحقيقى لحزب العمال فى وقت وقوع تلك الأزمة التى نحن بصدد مناقشتها .

مؤتمر إسرائيل

الأستاذ محمد حسين هيكل : بديع .. أنا لا أرى أن هناك أسئلة كثيرة يمكن أن تبقى موجهة لمايكل فوت .. ويخيل لى أننا سمعنا منه عرضا رائعا ..

للحركة الديمقراطية .. وحركة الرأي الآخر في إنجلترا .. وقدرة المعارضة على أن تعيد تشكيل الرأي العام .. ولا أظن أن هناك أحدا منا يسأله عن أمور كثيرة في هذا الصدد .

لو بإذنتكم .. وإذا كنا سنأخذ استراحة قصيرة بعد قليل .. أنا كنت أتمنى أن نسمع ما قالته الجماعة الأخرى على الناحية الثانية .. في الندوة التي عقدها خلال الثلاثة أيام الماضية في بير سبع ..
فإذا لم يكن لديكم مانع .. أطلب من مستر كيث كايل أن يدلي لنا بفكرة عن الموضوع .

مستر كيث كايل : استمر المؤتمر الذي عقدتوا في إسرائيل عن نفس الموضوع ثلاثة أيام .. اثنين منها كانا في بير سبع واليوم الثالث كان في مقر بن جوريون في سرياكير .

كانت هناك ثلاثة موضوعات رئيسية نوقشت :

الموضوع الأول : كان عن الحملة العسكرية التي قادتها إسرائيل في سيناء وكانت المنصة تغص بقدامى العسكريين الذين أخذوا في سرد ذكرياتهم .

ثم كان الموضوع الثاني عن « التواطؤ » .. وكان كل المتواطئين حاضرين أقصد الذين اشتركوا في مباحثات التواطؤ من إسرائيليين وفرنسيين وبريطانيين .. وكان هناك أيضا بعض الأمريكيين .

أما الجزء الثالث من الاجتماع فقد تدارست فيه عدة قضايا .. قضايا عريضة وعامة .. مثل متى تكون الحرب مبررة وعادلة .. ومتى يكون من حق الدولة أن تشن حربا .. وكانت المناقشات فرصة يتبارى فيها خبراء القانون الدولي ..

وقد عرضت الفكرة من زوايا متعددة .. ومن المؤسف أن الجانب المصري لم يكن ممثلا .. ولا شك في أن الحضور كانوا يودون بشكل عام سماع وجهة النظر

المصرية .. وعلى أية حال لم يكن المصريون وحدهم هم الذين لم يمثلوا .. فكذلك لم يكن هناك من يمثل قطاعات عريضة من الرأى العام البريطانى .. وقد مثل مجلس العموم البريطانى من هو ند لمايكل فوت : السير جوليان إمري .. وأحب أن أقول لكم إنه ألقى تلك الكلمة التى تحدث فيها عن « ووترلو أوربا » التى ورد ذكرها فى كلمة مايكل فوت أمامكم .. والعجيب أنه ألقاها أمام رئيس وزراء سابق لفرنسا .

وقد جرت مناقشات من هذا القبيل .. ولكن يمكن للمرء أن يميز بين هؤلاء الذين تناولوا حملة سيناء العسكرية .. ويستطيع المرء أن يميز من طبيعة المناقشات بين الجنرالات الذين عاصروا الحملة فى سيناء وبين أولئك الذين لم يحضروها .. وبالذات أحكى عن الجنرال اسحق رابين الذى كلن قائدا للجهة الشمالية .. ومن ثم فإنه بموقعه لم يكن له دور فى الحرب .. أما أولئك الذين اشتركوا فيها فقط تكلموا فقط عن انتصاراتهم وعن السرعة الحافظة التى أحرزوا بها الانتصار الكامل .. وكيف أن حملة سيناء أبرزت اسرائيل على خريطة العالم كقوة عسكرية .

أما الجنرال رابين فقد تكلم بشكل مغاير .. كان أكثر واقعية .. ورغم أنه ليس من رجال الكلمة الذين يتقنون فن الخطابة إلا أننى أستطيع أن أقول إنه كان موقفا جادا فى هذه المناسبة .. وأنه تناول موضوعه بكثير من العمق والدراسة والموضوعية قال : إنه كان هناك انتصاران فى سيناء .. انتصار إسرائيلى وانتصار مصرى .. بينما كان هناك مهزومان : بريطانى وفرنسا .. وأنه فيما يتعلق بمصر فإن ظروف الحملة .. والأمر التى أحاطت بها قد ثبتت مكانة عبد الناصر فى العالم الثالث وفى العالم العربى كقائد عظيم وزعيم بلا منازع .. وأن الأخطاء التى ارتكبت خاصة من جانب البريطانيين والفرنسيين قد رفعت زعامة عبد الناصر إلى مرتبة لم تكن له من قبل ..

وقد قال رابين أيضا إن دفعة الحرب قد تحولت ضد المهاجمين بقرار الرئيس

ناصر بسحب القوات المصرية إلى غرب قناة السويس في لحظة وقوع التدخل الأنجلو فرنسي .. وللأسف الشديد فإنه لا راين ولا غيره من المعلقين العسكريين تناول هذا الموضوع بالتفصيل الواجب .

وتناول الجنرال راين بعد ذلك العوامل التي أثرت على الثنائي الحاسر : بريطانيا وفرنسا فقال : حتى تلك اللحظة لم تكن نظرة الاسرائيليين - وبالطبع غيرهم ولكن الاسرائيليين على الأخص - لم تكن نظرتهم إلى العالم على أسس أن فيه قوتين عظيمين ثم باقى الدول ... كان الاسرائيليون يتصورون أن بريطانيا وفرنسا أيضا كان يدخلان ضمن الحساب فى القوى العظمى فى العالم .. ومن وجهة النظر هذه فإن بن جوربون قد افبتن بفكرة أن اسرائيل الدولة الحديثة التي لم تبلغ من العمر أكثر من ثمانى سنوات فى هذا العالم .. قد تزاملت مع حليفين من القوى الأعظم : انجلترا وفرنسا فى عملية السويس وسيناء .

ثم يضيف راين : كان الدرس الذى تعلمناه من نتيجة الأزمة أن هذين الحليفين لم يكونا من القوى الأعظم .. ولم يعودا من القوى الأعظم .. لأنه كان هناك فقط فى هذا العالم قوتين عظيمتين .

وحول التواطؤ دارت مناقشات طويلة تناولت كثيرا من التفاصيل تكاد تقترب كثيرا مما دار هنا .. كنتيجة لإزاحة الستار عن الوثائق ذاتها التي تناولتموها هنا .. وربما أنكم تعلمون أن النسخة البريطانية من وثيقة الاتفاق الذى وقعته فى سيفر بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل قد أعدمتم .. وأعتقد أن النسخة الفرنسية مازالت موجودة فى الملفات السرية الفرنسية ولن تعلن قبل مضى سنوات طويلة .. وتبقى النسخة الاسرائيلية .

وفى الحقيقة فإن إسرائيل هى الطرف الوحيد من بين الحضور فى سيفر الذى احتفظت بوقائع دقيقة عن اجراءات محادثات سيفر .. فقد كان هناك كولونيل إسرائيلى .. كان عمره وقتها سبعة وعشرين عاما واسمه موردكاى بوان وكان رئيسا لسكرتارية دايان وهو الآن عضو فى الكنيست .. وقد احتفظ

موردكاى هذا بمحضر دقيق وكامل عما جرى في سيفر .. وطلب منه بن جوريون فيما بعد أن يعد تقريرا مفصلا وكاملا عن الأحداث التي جرت ما بين صفقة الأسلحة السوفيتية لمصر ونهاية الحملة على سيناء .. وقد عنون هذا التقرير بأنه من الأسرار العليا للدولة في إسرائيل .. ولقد حصل موردكاى أخيرا على الإذن بنشر هذا التقرير وسينشره في كتاب يصدر له في العام القادم وقد أرفقه بترجمة انجليزية ..

وبالمناقشات الطويلة والتفاصيل الدقيقة التي دارت في الندوة كدنا أن نكون قد شهدنا بأنفسنا ذلك اللقاء التاريخي الحاسم .. والذي توجد وثيقته في ملفات بن جوريون في مقره .. ستافابوكير .. وعندما حان دور المسئول عن مكتبة وملفات بن جوريون للكلام في الندوة .. فإنه حاول في ختام كلمته أن يمزق وثيقة اجتماع سيفر .. قائلا : وهاهي .. ولكن في اللحظة الأخيرة سارع شيمون بيريز وسجل اعتراضه على تمزيق الوثيقة .

لقد وصف الوثيقة التي حملت توقعات الذين شاركوا في الاجتماع وصفها وصفا دقيقا حتى أنه أصبح لدينا تفاصيل دقيقة عن موضوع التواطؤ ..

ولكن الاجتماع كان يفتقد إلى درجة كبيرة وجود الجانب المصري فيه ولقد عبر كثير من الاسرائيليين الحاضرين كما أشارت عديد من الكلمات التي أُلقيت إلى أنهم كانوا يودون أن يستفسروا من المصريين عن جوانب كثيرة حيوية وهامة حتى تكتمل الصورة .. وكانوا يرددون لو كانت هناك مشاركة ولم يتبين بوضوح هذه الأسئلة التي يريدون أن يسألوها .. ولكن كان واضحا في كثير من الكلمات التي أُلقيت أن هناك تساؤلا كانوا يودون أن يوجهوه .. وهذا السؤال تردد بوضوح في أسئلتهم وهو ما الذي كان الرئيس ناصر ينوي أن يفعله بالأسلحة التي حصل عليها من تشيكوسلوفاكيا .. ماذا كانت نواياه؟! هل كانت هذه الاسلحة للردع أم أنه كان ينوي في لحظة ما أن يهاجم إسرائيل؟ وإذا كانت للردع .. فلأى غرض؟! هل كان ذلك يقصد ردع الجيش

الاسرائيلى عن الرد على الغارات العسكرية المحدودة من غزة .

أم كانت من ناحية أخرى - محاولة من الرئيس عبد الناصر لإجبار إسرائيل والمجتمع على إعادة النظر في حدود الأراضي الإسرائيلية .. على أسس أخرى غير التي تحددها خطوط الهدنة ... ذلك أنه في بعض تصريحات للرئيس ناصر التي أوحى بأنه ربما كان مستعدا في وقت لاحق إلى تحقيق تسوية شاملة ونهائية مع إسرائيل .. على أساس أن يوضع مشروع برنادوت موضع التنفيذ والذي كان ينص على تحرير النقب وبذلك يزال الاسفين الذي يحجز مصر عن العالم العربى .. هل هذه كانت نوايا الرئيس ناصر؟! ..

أم كانت نيته - كما أورد بعض المعلقين السياسيين في تحليلاتهم - أن يفعل الرئيس ناصر ما فعله الرئيس السادات بعد سنوات .. أن يستعيد للجيش كرامته ثم تتحقق التسوية على أساس استعادة النقب لمصر أو للأردن ..

أم أن الرئيس ناصر يضمّر للدولة إسرائيل مصيرا كالذى لقيه اليونانيون في آسيا على يد كمال اتاتورك .

كل هذه الأسئلة ظلت تدور في أذهان أولئك الذين شاركوا في تلك الندوة .. وكان هناك شعور عام بأنه الآن وقد كشفت الأستار عن مذكرات بن جوريون - والتي ستشر على رأى العام في أول ديسمبر ٨٦ - أن هناك على الجانب الآخر ربما أزيحت الأستار عن معلومات مقارنة تصدر عن مصر ويكشف فيها عن أشياء جديدة لم تتضمنها كل الكتب التى نشرت .

الأستاذ محمد حسنين هيكل : رجائى ألا نكون قد أضعنا الوقت لقد حدث خروج عن قاعدة إدارة الندوات .. غير أننى قلت إننا نحاول أن نستشرف النحو الذين يفكر عليه الآخرون .. والآن أيضا لا توجد أسئلة .. لكن سير أنتونى لديه كلمة صغيرة ، ومن ثم رجائى أن يتفضل .

تفسير انتوني ناتنج لموقف أنورين بيفان

سير انتوني ناتنج : أشكر السيد الرئيس .. أنا أرجو فقط أن أضيف تعليقا مختصرا على ما أثاره كيث كايل والسؤال الذى وجهه إلى مايكل فوت عن موقف أنورين بيفان أثناء عملية تأميم شركة قناة السويس .

أنا لست أذكر افتتاحية التريبيون التى أشار إليها كيث كايل ولكنى لأجد أن هناك أى تقارب بين انتقادات أنورين بيفان لقيام عبد الناصر بعملية التأميم وبين موقفه اللاحق من التآمر الانجلوفرنسى الإسرائيلى ثم العدوان الثلاثى .

كان أنورين بيفان واحدا من كثيرين كنت أنا أيضا بينهم الذين انزعجوا انزعاجا شديدا وأبدوا قلقهم العميق لهذا التصرف المفاجئ بتأميم شركة دولية تدير هذا الممر المالى الدولى العظيم الأهمية . لم يكن الأمر مجرد أن شركة قناة السويس كانت مجرد شركة تعمل فى مصر بعيدة تماما عن الاهتمام الدولى ... إنها كانت شركة تدير أهم وأخطر ممر مائى دولى فى هذا العالم .. وكان هناك اهتمام عظيم وقلق شديد فى سائر أنحاء العالم .. وعلى الأخص بين الدول البحرية بالذات من بين الذين يستخدمون القناة .. كان الاهتمام منصبا على تأثير ذلك التأميم على حركة استخدام القناة .. فمثلا لم تكن نعرف إلى أى مدى يستطيع المرشدون المصريون تسيير الملاحة فى القناة - وخاصة أنهم كانوا قلة حيث كانت شركة القناة تحرص على أن تكون عمليات الارشاد فى أيديهم بمعزل عن المصريين ولم تكن تسمح للمصريين بالتدريب على عمليات الملاحة فى القناة ... ومن هنا كنا فى شك حول مدى قدرة الإدارة الجديدة للقناة على تسييرها ..

وأيضا كانت عملية التأميم صدمة أزعجتنا بعنف .. وأزعجت أيضا بلادا عربية مثل السعودية والعراق والأردن ..

كذلك أقلقتنا طبيعة عملية التأميم والطريقة التى جرت بها .. ومن ثم تكون قطاع عريض من الرأى المعارض للتأميم ساهمت أنا فيه شخصيا .. كان هذا

الرأى يدين اجراء التأميم والطبيعة الحادة التى جرى بها والظروف التى أحاطت

ولكن بالطبع عندما وضح تماما أن انتونى إيدن وجى موليه لم يريدوا تسوية
لهذه القضية ولم يريدوا الترتيبات التى كانت تتيح للذين يستخدمون القناة أن
يقوموا بدور توجيهى فى عملية إدارة وتسيير القناة وتطويرها لمتطلبات
المستقبل .

عندما تبين لنا أن انتونى إيدن وجى موليه لم يريدوا إلا الحرب .. عندئذ
بالطبع تغيرت الأمور ومن ثم تغيرت المواقف .. واستطاع أنورين بيفان بحاسته
السياسية الحادة .. وصدق حدسه .. أن يشم حقيقة مايجرى من أمور كنت
أعرفها أنا شخصيا بالطبع نتيجة حوار قام بينى وبين رئيس الوزراء انتونى
إيدن .. عرفت منه أنه مقدم على الحرب .. لا على التفاوض من أجل
التسوية .. وعندما تبين فوق ذلك أن الحرب كانت حصيلة أخط وأدنا أسلوب
من التواطؤ مع إسرائيل .. حيث كان علينا مع الفرنسيين أن نتظاهر بأن
الإسرائيليين قد غزوا مصر من تلقاء أنفسهم دون تحريض أو دفع من
خارجهم .. وأنه بذلك قد أعلنت حالة حرب .. وأن علينا نحن الانجليز مع
الفرنسيين أن نتدخل لإيقاف هذه الحرب .. التى كنا نحن فى الحقيقة
مشعلوها .. كان هنا كثير بالنسبة لى .. كان فوق الاحتمال .. وكان ذلك سبب
استقالتي .. وكان هنا أيضا السبب الذى من أجله وقف أنورين بيفان الموقف
الذى أملاه عليه ضميره .

التخطيط العسكرى الإسرائيلى

الأستاذ هيكال : مسترستيفن جرين ، يريد أن يتحدث إلينا بأمر ما .

مسترستيفن جرين : كنت أود أن أسمع من المستر كيث كايل عن تصور
إسرائيل للنوايا المصرية فى الشهر السابق مباشرة على أزمة السويس فى أعقاب

عملية شحن الأسلحة السوفيتية إلى مصر.. ذلك أنه من بين الأسرار التي أحسن إخفاؤها والتغطية عليها بمهارة طوال تاريخ الصراع المصرى الإسرائيلى - وهذا ينطبق على ١٩٥٦ وعلى ١٩٦٧ وأيضاً على ١٩٧٣ - وبالطبع ينطبق على اليوم أيضاً - إن هناك بالطبع حقيقة أساسية وتقليدية .. ذلك أن هناك فارق كبير وأساسى بين تكوين القوات المسلحة المصرية من جانب وبين تشكيل القوات المسلحة الإسرائيلىة على الجانب الآخر .. وهذا الفارق هو أن التخطيط العسكرى المصرى كان دائماً وعلى الدوام يتركز على الدفاع وعلى الحفاظ على وحدة وسلامة الأراضى المصرية .. أما إسرائيل - ولأسباب تقوم على أسس عسكرية بحتة - فإن تشكيل قواتها المسلحة وحفظها تتركز على أساس أن يكون لها القدرة على أن تضرب فى العمق وتوجع جيوانها وتغتصب إذا أمكن أراضيم بالقوة العسكرة ..

لقد تناول ايجرو بالانس فى كتاباته هذه الحقيقة إلى حد بعيد .. كذلك كتب عنها المؤرخ العسكرى الأمريكى المرموق مستر هانس بالوين .

ولكننى أعتقد أن هناك شيئاً واحداً .. ذلك الذى حاولت أن أصل إليه فى الليلة الماضية .. شىء واحد يجب أن نضعه فى أذهاننا .. وهو أن من روح اتفاقية كامب دافيد نستطيع أن نستخلص أن عدوانية السياسة الإسرائيلىة قد بدأت تنافس عدوانيتها العسكرة .. وأن تصل إلى مستواها مستترة بمعاهدة كامب دافيد .

وشكراً ،،،،

ماهو هدف بريطانيا

الأستاذ هيكل : لدينا الآن مشكلة المعلقين .. ولا أرى أحداً لديه أسئلة .. لكن هناك الكثير من بيننا لديه تعليقات .

اللواء طلعت مسلم : سؤال واحد ..

الأستاذ هيكل : إن كان سؤالاً فلتفضل ياسيادة اللواء .. الأسئلة أولاً ..
ثم نتيج الفرصة لطالبي التعليقات .. سنبدأ بحضرتك .. ثم الدكتور سعد
إبراهيم .

الأستاذ هيكل : حسبنا تشاءون .. الوقت ملك لكم .. وأنا أعرف أن
الأستاذ عودة ، كان يريد أن يتكلم اليوم .

اللواء مسلم : هو سؤال يتعلق بأن المفروض أنه في جدول أعمال الندوة
باستمع إلى النظرة البريطانية إلى تأميم قناة السويس وإلى المعركة بعدها .

هناك في المعركة وحتى الآن لم يظهر بوضوح .. ما هو الهدف الذي وضعته
بريطانيا وفرنسا وإسرائيل لنفسها لبدء العدوان وماذا كانت تتصور في حالة
تحقيق الهدف بتاعها .. أعتقد أن هذا الهدف لم يتضح حتى الآن بشكل
محدد .. وماذا كانت تتصور بريطانيا وفرنسا وإسرائيل الوضع لو أنها تمكنت
من تحقيق الهدف بتاع العدوان .. وشكراً ، ، ،

الأستاذ هيكل : إلى من توجه السؤال ياسيادة اللواء ..

اللواء مسلم : الموضوع هو النظرة البريطانية للعملية أو العدوان .. فهو كان
مفروض الحقيقة يوجه للسير أنتوني ناتنج .. بس الحقيقة السير أنتوني ناتنج الموضوع
بتاعه كيف أدار ايدن المعركة .. أما الموضوع بتاع المستر مايكل فوت هو النظرة
البريطانية للمعركة .

الأستاذ هيكل : لقد كان يخيل لي أنه بالنسبة للأهداف الاستراتيجية
للمعركة بالنسبة لكل الأطراف ، أظن أن هذه الوثائق قد أوضحتها كلها ..
يعني أقصد أنه بالنسبة للإسرائيليين أو بالنسبة للإنجليز أو بالنسبة للفرنسيين فإن
الأهداف الاستراتيجية كانت واضحة بالنسبة للجميع .. أما ما كان يأتي بعدها
بمعنى ماذا يحدث بعدها .. فإن أحداً لم يكن شديد الاهتمام بما يحدث
بعدها .. لكنني أرجو أن تقول لي لمن أوجه السؤال ؟ حسبنا تريد .

اللواء مسلم : هو إذا كان مستر مايكل فوت باعتباره أنه درس الموضوع
ووجد ما يجيب على هذا السؤال .. اعتقد .

الأستاذ هيكل : هل ترغب في الرد على هذا السؤال ؟ !

مستر مايكل فوت : حسنا .. أعتقد أنه مازال هناك جدل كبير .. وأنتوني
ناتنج يستطيع أن يدلي برد أحسن مما أستطيع .. وذلك بالطبع لأنه بحكم
وجوده في الوزارة في ذلك الوقت يعرف أكثر مني .. ولكنني أعتقد أنه مازال
هناك جدل كبير حول ماذا كان بالضبط الهدف الاستراتيجي .. أعتقد أنه كان
احتلال القناة والاستيلاء عليها .. وأعتقد أنه مازال هناك في العالم جدل كبير
حول ما إذا كان هناك في الواقع نية استراتيجية تستهدف احتلال القاهرة وأسر
عبد الناصر .. ورغم أن الفكرة غامضة وغريبة إلا أنها أثرت في المناقشات
اللاحقة للعدوان بين السلطات العسكرية وفي مجلس اللوردات حيث دارت
مناقشات حول الحملة .. وكان من أشد الانتقادات العسكرية التي وجهت إلى
الحكومة وما كانت تفعله تلك التي وجهها اللورد تيدر والذي كان من قبل
قائدا للسلاح الجوي البريطاني .: كان نائرا ومحققا شأنه شأن باقي الخصوم في
المعارضة وقد قال :

« أنا لا أعتقد أن ما قيل لنا هو الصديق عن الهدف الاستراتيجي لهذه
الحملة .. لأنه أمر لا يقره عقل .. وأنا شخصيا لا أستطيع أن أهضمه ..
وأعتقد أن الهدف كان محاولة تحطيم ناصر نفسه » هكذا تكلم اللورد تيدر ..
ولست أدري إذا كان شيئا من هذا القبيل قد ورد في أي من الوثائق ولكنني
أنا الآخر أعتقد .. لا عن علم بشيء محدد .. ولكنني أعتقد أن تحطيم عبد
الناصر كان جزءا من نوايا بعض الذين قرروا القيام بتلك الحملة .

وكما قلت فإنني أظن أن أنتوني ناتنج ربما أراد أن يضيف لنا شيئا حول هذا
الموضوع .. ولكنني أحب أن أقرر بأنني عندما أعدت قراءة محاضر المناقشات
منذ عدة أسابيع عندما كنت أعد نفسي للمجيء إلى هنا فقد صدمتني هذه

الواقعة : أن اللورد تيدر هو نفسه الذى أثار هذا السؤال الذى نحن بصدده .. بل إنه قال إنه كان هناك جدل كبير فنقاش وبحث وقد قرر أنه كان فى مضمون الحملة تدمير عبد الناصر نفسه وأسرته إذا أمكن .

الأستاذ هيكل : إذا جاز لى أن أقول شيئا بهذا الصدد فإنه بالنسبة للأهداف الاستراتيجية للحرب على الأقل بالنسبة للإسرائيليين .. موجودة فى مذكرات دايان ... وبمنتهى الوضوح .. الاجتماع اللى استدعاه من أجله بن جوريون يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٥٥ .. حيث كان فى إجازة فى باريس ثم عاد .. وإذا به يفاجأ بأن بن جوريون يعطيه توجيهها استراتيجيا مكتوبا فيه خمس نقاط :

الأولى : القضاء على قواعد الفدائين .. حيث طلب منه أولا أنه يعد حملة استعدادا لاحتلال سيناء .. هذا فى اليوم العشرين من أكتوبر ١٩٥٥ ، يعنى قبل العدوان بسنة كاملة .

الهدف الأول من الحملة كان تصفية قواعد الفدائين فى سيناء .

الهدف الثانى فتح الممرات المائية وخصوصا قناة السويس .

الهدف الثالث نزع سلاح سيناء .

الهدف الرابع اسقاط « الديكتاتور » هكذا بالحرف الواحد .

الهدف الخامس تأمين مشارف ايلات بما فيها طابا ، التى يدور حولها

الحديث الآن .

حسنا .. أرى أنك يا أنتونى تريد أن تقول تعليقا مختصرا .. حول

الأهداف .

الهدف تحطيم ناصر

سير أنتونى ناتنج : شكرا للسيد الرئيس ..

ليس هناك من شك فى أن الهدف الرئيسى للعملية كلها كان تحطيم ناصر .. كما قال أنتونى إيدن فى حديثه التليفونى فى مكالمته التليفونية لى وأنا فى فندق

سافوى فى عشاء خاص مع أحد الضيوف ..

الأستاذ هيكل : أرجو أن تزيد الحديث عن هذه الواقعة تفصيلا .

سير أنتونى ناتنج : حسنا أستطيع أن أحكيها بالكامل وبالتفصيل .. كنت قد دعوت المستر هارولد ستاسون- العضو الأمريكى فى مفاوضات نزع السلاح- إلى العشاء فى فندق سافوى فى قاعة خاصة .. وقبل أن يبدأ العشاء .. دق جرس التليفون .. ورد عليه سكرتيرى الخاص وقال لى إن « رقم ١٠ » يريدك .. (يعنى مقر رئاسة الوزارة) وانتقل خط التليفون إلى نمرة ١٠ .. وسرعان ما سمعت خلاله صوتا يقول « إنه أنا » وأعتقد أنه أراد ألا يعرف عامل التليفون فى سافوى أوتيل من هو هذا « الأنا » الذى يتحدثنى .. ولكن بعد دقيقتين من الحديث .. لم يكن فى وسع أغبياء عمال التليفون فى سافوى أوتيل إلا وأن يعرف أن المتحدث ليس إلا رئيس الوزراء .. كان يصبح عبر التليفون إنى إذا ما كنت أريد أن أختلف مع رأيه فإن من الأفضل أن أذهب إليه فى رئاسة الوزارة لأقدم له تفسيرا لرفضى ..

وعادة فإن المفروض أن المحادثات التليفونية لا تأخذ هذا الطابع الحاد .. ومن ثم فقد كان سهلا جدا التعرف على شخصية المتحدث .. على أية حال .. فإن الغرض من حديث التليفون كان لإخبارى بأن المذكرة التى كتبها عن كيفية تكييف سياستنا فى الشرق الأوسط كنتيجة لطرد الجنرال جلوب كانت تافهة .. لا يصح أن تأتى من أحدث الموظفين الكتائين فى وزارة الخارجية .. وأنتى- بهذا التقييم- لا أصلح إلا لمثل هذا الموظف الكتائى .. وأنه قد آن الأوان لكى أفهم وأضع فى رأسى .. وأن أجعل المسئولين فى وزارة الخارجية يفهمون ويضعون فى رعوسهم أن هدفه هو الاطاحة بناصر وتدميره ..

ومن ثم فإنه من الواضح الجلى أن هذا الهدف كان المقصود من عملية السويس ..

وعندما سألت رئيس الوزراء فى هذه المحادثة التليفونية .. وفى لقاءات

أخرى بعدها .. ما الذى ينوى أن يفعله إذا ما أفلح فى تدمير ناصر؟ من الذى سيضعه محل ناصر؟! ..

وأبدت رأيت فى أنه على حد علمى لا يوجد الآن جنرال زاهيدى «جاهز» فى مصر فى ذلك الوقت ليحل محل عبد الناصر- وتذكرون أن جنرال زاهيدى هو الذى خلف مصدق بعد عملية بارعة من صديقنا كيرمت روزفلت - ولكن ايدن رد على محتلا : «أنا لا أريد زاهيدى فى مصر» فقلت له «إذن فأنت تريد أن تعم الفوضى على أية حال» . «لا يهمنى .. لا يهمنى .. إن الغرض الأساسى هو التخلص من ناصر» ..

وهكذا فإن الأمر كله كان التخلص من عبد الناصر .. وأنه لمن المذهل الذى لا يستطيع العقل أن يستوعبه أن دولتين مثل بريطانيا وفرنسا قد أقدمتا بإصرار على هذه المغامرة .. هذه المغامرة التى هزت العالم بعنف .. دون أى اعتبار لأى شيء كان إلا الهدف الذى يريدانه ..

وأصدقكم القول بأن هذه هى الحقيقة .. لا اعتبار لأى شيء .. ولا تبصر ولا تفكير فى النتائج التى قد تحدث .. فقط كل ما يريدانه هو التخلص من ناصر .. أما كيف يحدث ذلك .. وماذا سيحدث بعد ذلك فلم يكن هناك أدنى حساب له أو تفكير فيه .. لم تكن لديهما أية خطة أيا كان شأنها .. لم يفكر أحد فى كيفية التعامل مع الموقف بعد ذلك .. ولم يتساءل أحد ماذا نفعل؟ .. هل ستحمل وزر ١٨٨٢ أخرى؟ هل سيعود اللورد كرومر مرة أخرى ليستقر فى السفارة البريطانية بالقاهرة؟ ماذا ستكون النتيجة؟ .

لم يدر شيء من هذا بتفكيرهم .. لم تكن هناك أية خطة أيا كانت لما سيحدث .. كل ما فى أيديهم كان خطة طوارئ فى إطار خطة موسكاتير لاحتلال القاهرة والدلتا .. وأبعد من ذلك لم يكن هناك أى تخطيط على الإطلاق .

دكتور أحمد عبد الله : أنا فى الحقيقة أتكلم عن قضية الديمقراطية وعن

المشاركة الشعبية في الحكم لبلد مثل مصر وعن شدة الحاجة لها اليوم تماما مثلما كنا في حاجة إليها من قبل وفي كل وقت من الأوقات .. وأنا أقول إن ما حدث في مرحلة السويس كان استثناء لا يجب أن نسمح بتكراره مرة أخرى .. وإذا كان علينا أن نحارب من أجل أى هدف آخر فيجب أن يتم ذلك من خلال إطار نظام ديمقراطي ..

بل إنني أطبق هذا الرأي على بريطانيا نفسها .. ما قاله مستر مايكل فوت .. الذى أكن له عميق الاحترام ولقد رأيت على شاشة التلفزيون البريطانى .. وأعتقد أن مقاله المستر مايكل فوت عن بريطانيا ..

ما أصر على أن أقوله باختصار أن بريطانيا مثل مصر .. وهنا أنا بالفعل واقعى .. عندما أقول أن التأجيل الوطنى قد استغل لتعويق مسار الديمقراطية .. أنا لم أكن في بريطانيا زمن السويس .. فكما قلت كنت تلميذاً بالابتدائى .. ولكننى كنت هناك أثناء حملة فولكلاند .. ولقد لمست إلى أى مدى استخدمت الشعارات الوطنية لتبرير حملة مسز تاتشر .. ولولا رجال مثلك ياسيدى .. أنت وزملائك الموقرين أمثال تونى بن وغيرهم .. لتصورنا أن الديمقراطية في بريطانيا قد انتهت .

أقول هذا لكى أجسد وجهة نظرى .. بأنه إذا ما كان علينا أن نخوض مرة أخرى القتال للدفاع عن أهدافنا الوطنية .. فإذاً ذلك يجب أن يكون في إطار ديمقراطى .. وسيقف جيلى في المستقبل مدافعا عن الديمقراطية .. وإذا كان لى أن استشهد بما قاله زعيمكم السابق ياسيدى فأبنى أقول : إننا سنكافح من أجل الديمقراطية وسنحارب من أجلها .. سنحارب .. وسنحارب مرة أخرى ..

مع الشكر الجزيل ، ، ،

الأستاذ هيكىل : تفضل ياكتور سعد .. وباختصار أرجوك ، ولكن ليس بالاختصار الشديد ..

د . سعد الدين إبراهيم : أشكر السيد الرئيس .. أريد أن أوجه باختصار كلمة تحية إلى المستر مايكل فوت وإلى السير أنتوني ناتنج .. إن أبناء جيلي - يحتفظون بالتقدير العظيم لهؤلاء الرجال الذين أعادوا لنا الثقة في العالم الغربي.. وأضافوا إلى مشاعرنا مسحة واقعية .. فلم تعد قاصرة على الشعور التقليدي الذي لازمنا تجاه الغرب وتجاه الاستعمار الغربي ..

إننا نعلم أن التقاليد التي تحدث عنها مايكل فوت بطلاقة بارعة مازالت قائمة ونرجو لها أن تستمر على الدوام ..

إن سؤالى يتعرض في الحقيقة للتقاليد ويتعرض أيضا لبعض المسائل التي أثرت بالأمس ..

ليست هناك نهاية للدرس .. وحقيقة أننا لم نجتمع هنا للاحتفال بذكرى مرحلة من الماضي وإنما لنستخلص منها الدروس الصحيحة للمستقبل .

وقضية التواطؤ مسألة تثير القلق المتصاعد في ذهني وفي أذهان كثير من العرب هذه الأيام .. وخاصة العرب في شرق السويس ..

لقد اتخذت بريطانيا من بعض الأحداث التي ندينها جميعا .. اتخذت منها ذريعة للتصرف بطريقة درامية مبالغ فيها .. الأمر الذي نخشى معه أن يكون ذلك مقدمة لفصل جديد من التآمر ضد هذا الجزء من العالم الذي نعيش فيها ..

وإننا لندرجو ياسيدى أن تستطيع التقاليد التي رفعت لواءها عام ١٩٥٦ .. أن تقف في انتباه وحزم ضد احتمال تواطؤ جديد بين مسز تاتشر والليكود الإسرائيلى وإدارة ريجان .

لقد شهدنا بالأمس القريب العدوان الأمريكى على ليبيا .. ونرجو ألا يتكرر ذلك في القريب العاجل ضد سوريا ..

وأرجو ياسيدى أن نسمع كلمتك في هذا الشأن ..

مستر مايكل فوت : اسمحوالى بأن أعلق على ما أبداه المتحدثان السابقان من ملاحظات .. بالطبع أنا مع الديمقراطية في كل بلد بما في ذلك مصر .. ومن ثم فهذه هي إجابتي على المتحدث الأول .. ولكنني أود أن أضيف بأنني لا أعتقد أن هناك أية شبهة للمقارنة أو أدنى تبرير للمقارنة بين حرب فولكلاند وحملة فولكلاند وبين ما حدث هنا في السويس عام ١٩٥٦ ذلك أنني أعتقد أنه لا وجه للمقارنة في أمرين مختلفين تماما .. لأن القضية في فولكلاند كانت قضية مواجهة غزو دكتاتوري لهذه الجزيرة .. وإذا لم يوقف هذا الغزو .. وإذا لم تكن الحكومة البريطانية والشعب البريطاني قد اتخذوا هذا الاجراء الذي اتخذناه بالنسبة لفولكلاند إذن لسيطر الحكم الديكتاتوري على فولكلاند بل وظل مسيطرا على الأرجنتين نفسها حتى الآن ..

ومن ثم فإنني أعتقد أن الحكومة البريطانية قد تصرف التصرف السليم حيال قضية الفولكلاند .. لذلك لا أريد أن ينسب إلى موقف لم آخذه .. بل إنني في الحقيقة لم أعارض حق الحكومة البريطانية في اتخاذ الاجراءات التي اتخذتها .. مادامت قد اتخذتها بموجب صلاحيات من الأمم المتحدة ..

وبالطبع كان هناك تباين فاضح .. تباين عميق وجذري بين ما قامت به بريطانيا في الفولكلاند وبين ما قامت به بريطانيا في السويس في عام ١٩٥٦ .

ما قامت به بريطانيا في السويس عام ١٩٥٦ قد أدانته الأمم المتحدة على كافة الأوجه .. وحينما عرضت القضية سواء في مجلس الأمن أو في الجمعية العامة كانت هناك الادانة .. ولكن ماجرى في الفولكلاند قد جرى بتأييد من الأمم المتحدة وكان أول مافعلته الحكومة البريطانية عام ١٩٨٢ عندما وقع الغزو على فولكلاند .. أن عرضت القضية أمام الأمم المتحدة وأخذت منها الصلاحيات للاجراء الذي قامت به ..

ومن ثم فإنه في رأيي لا يجب أن توضع الأمور في غير موضعها .. وأنا لم أتفق مع ما قاله توني بن والآخرين .. أنا أتفق مع حقهم في الاعتراض .. فإن

لهم الحق في أن تكون لهم وجهات نظر مخالفة إذا ما أرادوا .. ولكن رأي مخالف لهم ..

أما حزب العمال فقد كان موقفه أننا يجب أن نباشر التزاماتنا في نطاق ميثاق الأمم المتحدة .. بالضبط كما كنا نريد لالتزاماتنا أن تكون عام ١٩٥٦ ..

وهكذا فإننا نفرض بأن التزاماتنا كان واجبا القيام بها عام ١٩٨٢ بصرف النظر عما كنا نراه حول مستقبل الترتيبات هناك في هذه الجزر فهذا شيء آخر .. ولكن مقاومة العدوان في رأي كانت ضرورة ملحة لإنقاذ هذا العالم من التمزق .. فأنا أعارض بمرارة كل المحاولات التي ترمي إلى تقييد صلاحية ميثاق الأمم المتحدة في منع العدوان .

وأنقل الآن إلى التعليق على وجهة النظر الثانية .

لقد كان الكثيرون منا في بريطانيا يعارضون بمرارة تلك الغارة الانتقامية التي قامت بها القوات الجوية الأمريكية ضد ليبيا .. والتي سمحت بها الحكومة البريطانية .. وموقفنا هذا لا يعنى بالمرّة أننا لا نعارض بشدة عمليات الارهاب على أية صورة تجرى بها .. إننا نعارض الإرهاب سواء جاء من الجيش الجمهورى في ايرلندا .. أو صدر عن ارهابيي الباسك ضد الحكومة الاسبانية .. أو بواسطة طائفة السيخ في الهند .. أو بواسطة الارهابيين العرب في أماكن أخرى ..

إننا في حزب العمال نعارض إلى أقصى حد أى صورة من صور الارهاب التي تسعى إلى حل المنازعات بالالتجاء إلى العمليات الارهابية .. وبالطبع فإن معارضتنا تشد بصفة خاصة ضد العمليات الارهابية إذا ماجرت في بلدان يتوفر فيها عن طريق صناديق الاقتراع الحر الوسيلة لتسوية هذه النزاعات بالطرق الشرعية الديمقراطية .. وقد يكون الوضع في جنوب أفريقيا مختلف بعض الشيء حيث لا يتاح هناك للشعب أية وسيلة للاقتراع أو التعبير عن إرادتهم .. ولكن في تلكم البلدان التي يوجد فيها قنوات شرعية للتعبير عن

الارادات المختلفة ويكون دور الاقتراع فيها فعال فإن الالتجاء إلى الارهاب يصبح أمرا مشيرا للاعتراض العنيف ..

ونحن كديموقراطيين نؤمن بأنه يجب على أولئك أن يسلكوا القنوات الشرعية ويمارسوا هذه الحقوق في تحقيق أهدافهم دون اللجوء إلى الارهاب ..

ومن ثم فإننا نعارض بمرارة كل مظاهر الارهاب .. ونعارض بشدة كافة العمليات الإرهابية التي تمارس بتوجيه أو بتأييد من الدولة الليبية .. فإذا كانت الحالة هكذا .. وأنا واثق من أن بعض العمليات جرت بعلمها ..

ولكننا في حزب العمال نعارض بشدة أن تغتصب أية دولة الحق لنفسها بأن تقوم تلقائيا بمفردها بالانتقام أو تتصرف في الأمر لتسوية مصالحها .. ومن هنا كانت معارضتنا لهذا التصرف الذي سمحت به الحكومة البريطانية .. هذا الاجراء الانتقامي ضد ليبيا ..

ونحن نرى أن هذا التصرف لم يكن التصرف اللائق لتصرف شأن من شئون الدولة .. وخاصة - أنه فوق ذلك - أنه حتى هذه اللحظة - فإن الحكومة البريطانية الحالية .. والتي طالما انتقدتها في مناسبات مختلفة .. إلا أن هذه الحكومة البريطانية الحالية .. حتى تلك المرحلة .. كانت تتبنى وجهة النظر بأنه ليس من حق أية دولة أن تتصرف بمفردها إذا هوجمت أو تعرضت لعمليات معادية .. ليس من حق هذه الدولة أن تأخذ في يدها تلقائيا حق القيام بعمليات انتقامية .. ولقد وقفت هذه الحكومة البريطانية الحالية بالذات في مناسبات متعددة في مجلس الأمن .. تحتج بشدة على ادعاء إسرائيل بأن لها الحق في ظل القانون الدولي .. وفي ظل الظروف السائدة .. أن تقرر متى وكيف .. ترتكب أعمالا انتقامية ..

إننا لا نؤمن بأن هذا حق .. ولقد حرصت الحكومة البريطانية على أن تلتزم بهذا الموقف السليم حتى وقعت تلك الغارة على ليبيا ..

ذلك أنه إذا أصبح مقبولا أنه حيثما وقعت أعمال ارهابية فإن من حق أى دولة بمفردها على سبيل الدفاع عن النفس أن تتخذ اجراءات انتقامية وعلى أية صورة من الصور ووفقا لمشيئتها ..

حق أى دولة بمفردها على سبيل الدفاع عن النفس أن تتخذ اجراءات انتقامية بالصورة التى ترى أنها تتفق مع مشيئتها وحدها .. فإن هذا إيدان بعودة الفوضى الدولية .. فإذا ما قامت كل حكومة بممارسة الحق الذى ادعته الولايات المتحدة لنفسها بالانتقام من ليبيا وعلى الصورة والطريقة التى جرى بها هذا الانتقام .. إذن فلن يكون هناك حدود للفوضى التى يمكن أن تعم العالم كله .. لذلك فإننا فى حزب العمال عارضنا بعنف الاجراء الانتقامى التصعيدى الذى قامت به أمريكا بل وكانت معارضتنا أشد عنفا ضد الحكومة البريطانية إذ سمحت أن تستخدم قاعدة على الأرض البريطانية فى تحقيق هذا العمل الانتقامى .. عارضنا ذلك فى مجلس العموم .. وامتدت المعارضة من حزب العمال إلى أحزاب وهيئات أخرى واعتقد أنه كان هناك رأى عام فى بريطانيا ضد هذا التصرف لا أقول أنه كان إجماعيا .. ولكن كان هناك قطاع كبير من الرأى العام البريطانى ضد هذا التصرف الانتقامى الأمريكى ضد ليبيا .. وضد تقديم بريطانيا قواعد على أرضها لتحقيق هذا العدوان .. ولعل أكبر مثال أقدمه على هذا أن صحيفة الديلى تلجراف وهى صحيفة محافظة وكانت قد ساندت العدوان على مصر عام ١٩٥٦ .. ولكن الديلى تلجراف وقفت بصراحة ضد هذا الاجراء الذى اتخذ ضد ليبيا .. وأعتقد أن هذه الصحيفة بموقفها هذا قد عبرت عن موقف قطاع كبير من المحافظين ..

وإننى ليستبد بى القلق العميق لمجرد أن الحكومة الأمريكية قد انتابها الشعور بأنها مخلولة بموجب القانون الدولى لأن تتخذ هذا الاجراء الذى اتخذته .. بينما أعتقد أن هذا الاجراء هو فى حقيقته كان خرقا صريحا وصارخا لميثاق الأمم المتحدة .

وأعتقد أنه من بين الأهداف العديدة التي يجب أن نحملها للمستقبل علينا أن نستعيد للأمم المتحدة مكانتها وسلطانها .. واعتقد أن أكثر الدول احتياجا للاهتمام بهذا الأمر هي الدول المتوسطة القوة .. إذا كان لي أن أطلق عليهم هذه الصفة .. وأكثرنا دولا متوسطة القوة الآن .. ففيما عدا القوتين الأعظم .. ونحن جميعا نعرف من هما .. ومشكلة القوتان الأعظم أنهما في بعض الأحيان يتصرفان وكأنهما الغيبين الأعظم .. ومن ثم فإنه على القوى الأخرى الباقية أن تمسك بزمامها .. وكما سبق أن قلت فإن معظم الدول قوى متوسطة .. فبريطانيا قوة متوسطة .. ومصر قوة متوسطة .. وإسرائيل قوة متوسطة .. وهناك العديد من القوى المتوسطة في هذا العالم والتي لها مصلحة قصوى في استعادة سلطة ميثاق الأمم المتحدة وهيبة الأمم المتحدة بصفقتها السلطة الأوحده لإيقاف العدوان في هذا العالم ..

إن قوة الأمم في الحالة اللىبية أنها هددت .. هددت من جانب أكبر قوة من جانب أكبر دولة في هذا العالم .. وكان هذا أوجب لنا أن نقول لهذه الدولة الكبرى لا .. ولكنه يؤسفنى جدا أننا لم نفعل ذلك .. وعندما يكون لنا في بريطانيا حكومة جديدة فإننى أعتقد أن هذه الحكومة البريطانية الجديدة ستكون لها القدرة المطلقة لأن تقول للولايات المتحدة الأمريكية إن عليها هي الأخرى أن تلتزم بميثاق الأمم المتحدة شأنها في ذلك شأن أى دولة أخرى .. سواء كان الاتحاد السوفيتى أو غيره .. فإن على الجميع أن يلتزموا بميثاق الأمم المتحدة .. وإن هذا يعنى أنه ما من أحد منهم يستطيع أن ينفرد باتخاذ اجراءات انتقامية من تلقاء نفسه وأن يقرر وحده كيف سيتصرف تجاه أى إساءة توجه إليه حتى ولو كانت هذه الإساءة بالغة ..

الجلسة الثالثة :
القسم الثالث :
المتحدث : كلود جوليان

فرنسا وأزمة السويس كلمة : كلود جوليان

ومازالت هناك دول غربية تخلم مرة أخرى بالقضاء على نظم في البلاد الأخرى وعلى قادة آخرين تماما مثل ما حدث في عام ١٩٥٦ . عندما كان البعض يخلم بالقضاء على عبد الناصر. إنه بعد ثلاثين عاما مازال نفس الأسلوب في التفكير نجما على عقول أصحاب القوى . إن السيكولوجية السياسية التي كانت سائدة أثناء حرب السويس تفرض نفسها على الساحة المعاصرة .

— المشاكل والعقبات التي كانت مطروحة عند تأميم القناة . امتدت حتى اليوم لدرجة يمكن اعتبارها مشاكل معاصرة .

— لست أشك أن ايزنهاور ودالاس يتقربان اليوم في قبريها حسرة ونلما على أنه بدلا من أن يكون في طهران الدكتور مصدق قد أصبح ليا آية الله الحميني .

الذين تغيروا لأنفسهم أن يقفوا في صف واحد في مواجهة الاستعمار ومناهضة الرفض الكامل له ..

الأستاذ هيكل : الآن لو أذنتم تأخذ استراحة لتناول القهوة ، ونتيح الفرصة لمن يريد الصلاة ثم نلتقى بعد نصف ساعة ..

وعادت الجلسة للاجتماع برئاسة الأستاذ محمد حسنين هيكل ..

الأستاذ هيكل : بإذنتكم سنبدأ الجزء الثانى من الجلسة .. هذا الجزء ينحصر لوجهة النظر الفرنسية .. الكاتب البارز والصحفى البارز .. كلود جوليان .. رئيس تحرير « الموند دبلوماتيك » الفرنسية .. التى نعرف كلنا مدى تأثيرها .. ومدى أهميتها .. يتفضل ويقول لنا وجهة النظر الفرنسية ..

السيد كلود جوليان : السيد الرئيس .. سيداتى وساداتى .. الأصدقاء الأعزاء : لقد شهدنا بالأمس مناقشات عالية المستوى .. تحدث فيها رجال بعضهم كان خلال أزمة السويس من كبار المسئولين فى موضع تحريك الأحداث وإدارتها .. والبعض الآخر كانوا شهود عيان مميزون .. وكذلك تحدث رجال من نوعية ثالثة .. أولئك الذين أخذوا على عاتقهم البحث عن الحقيقة من خلال التنقيب فى الأوراق والوثائق والمستندات وفتح الملفات القديمة المتعلقة بالأزمة .. هذه الأكاداس من الأضابير التاريخية التى مازلت أعتقد أنها لم تستغل حتى الآن بصورة كافية ولم يستخلص منها كل ما تشير إليه ..

ولقد جاءت الكلمة القيمة التى ألقاها المستمر مايكل فوت صباح اليوم إثراء جديدا للندوة .. ولأفكارنا .. وأنا أؤيده تماما فى كل ما قاله حول

الارهاب الدولي ووجوب احترام ميثاق الأمم المتحدة ..

بل إن مستر مايكل فوت قد دفع الأمور إلى ما هو أبعد من ذلك .. فهو عندما أشار إلى معركة ووترلو .. قد لمس وترا حساسا .. لأن معركة ووترلو بالنسبة لنا - نحن الفرنسيين - تشكل أبعادا عميقة ..

ففي معركة ووترلو هزمت الجيوش الفرنسية أمام الجيوش البريطانية .. ولكن في معركة السويس كانت الجيوش الفرنسية والجيوش البريطانية معا جنبا إلى جنب حيث واجها هزيمة مشتركة من نوع آخر .. وفي ظروف مغايرة .. ورغم النتيجة المأساوية للمعركة .. إلا أن تضامنا بريطانيا مع فرنسا في هذا الموقف ربما يمثل مرحلة هامة في مسلك بريطانيا نحو أوروبا .

وأود هنا أن أقول للمستر مايكل فوت إنني أقدر له كل الحيوية والحماس .. والقناعة الأصيلة .. التي تكلم بها عن التقاليد المتأصلة لدى قطاع كبير من شعبينا .. أولئك الذين تخيروا لأنفسهم أن يقفوا في صف واحد في مواجهة الاستعمار ومناهضته والرفض الكامل له ..

يبدأ في المناقشات التي جرت بالأمس وتواصلت صباح اليوم والتي كانت ثرية إلى حد كبير .. فإنها جعلتني أتساءل عما إذا كان ممكنا الايتان بجديد بعد هذا الذي قيل ؟ ولا أخفى عليكم أنني طرحت على نفسي هذا السؤال : ما هو الجديد الذي أستطيع أن أقوله ..

إن اجتماعنا هنا في الذكرى الثلاثين لأزمة السويس .. لا أرى أنه مجرد الاحتفال بمناسبة مرور ثلاثين عاما عليها .. وإنما هذه الذكرى تدعونا إلى التبصر والتفكير على ضوءها في الأحداث الراهنة التي نمر بها الآن .. واعتقد أنه بهذا نكون قد حققنا الفائدة الرئيسية من لقائنا هنا ..

لذلك أرجو أن تأذنوا لي بأن أعرض عليكم ببساطة بعض انطباعاتي والتي أرجو أن تكون أساسية :

إن السير انتوني ناتنج قد كشف لنا بجلاء الدوافع البريطانية من حملة السويس وبخاصة دوافع إيدن الشخصية وكيف تركت في رغبته القضاء على زعيم وقائد دولة هو عبدالناصر رئيس مصر.. لذلك لن أعود بكم إلى الكلام عن ذلك الموقف .. ولكنني فقط أضيف أن ثلاثين عاما لم تكن كافية لكي يجتني هذا الأسلوب وهذا المفهوم من السياسة العالمية .. فما زالت هناك اليوم دولا غربية تحلم مرة أخرى بالقضاء على نظم في البلاد الأخرى وعلى قادة آخرين .. تماما مثلما حدث عام ٥٦ عندما كان البعض يحلم بالقضاء على عبد الناصر ..

فإذا انتقلت من هنا إلى الدوافع الفرنسية فلاشك أن حرب الجزائر كانت سببا في أن تكون هذه الدوافع مختلفة تماما عن الدوافع البريطانية بل وأكثر تعقيدا منها ..

لقد تحكمت في الدوافع الفرنسية - إلى جانب عوامل أخرى - عاملان رئيسيان فن ناحية كان هناك في فرنسا جيش ودولة يشعران بالمهانة نتيجة هزيمتهما في الهند الصينية .. ومن هنا كانا يتعطشان إلى نصر سهل يسير يعيد الثقة ليهما وكان الاعتقاد أن هذا النصر سيكون في معركة السويس ..

ومرة أخرى أقول إنه بعد ثلاثين عاما مازال نفس الأسلوب في التفكير نجما على عقول أصحاب القوى العاتية .. فقد ورد هذا الاغراء نفسه على الساحة الراهنة المعاصرة ..

والولايات المتحدة اليوم

فبعد الفشل الذي منيت به الولايات المتحدة في فيتنام .. وبعد المهانة التي كابدها أثر احتجاز الرهائن في طهران والفشل الذريع المهين لعملية إنقاذ الرهائن .. وجدت الولايات المتحدة تعويضين يسيرين :

حققت نصرا ساحقا مؤزرا على جرانادا الضعيفة .. وقامت بغارتها على
طرابلس وبنى غازى ! ...

ماأردت أن أقوله هو أن السيكولوجية السياسية التي كانت سائدة أثناء
حرب السويس مازالت تفرض نفسها على الساحة المعاصرة ..
هنا بداية ..

ثم أعود مرة أخرى إلى ١٩٥٦ .. إننى أعتقد بأمانة أن الحكومة الفرنسية
عام ١٩٥٦ كانت على قناعة تامة بأنها إذا استطاعت أن توجه ضربة قوية
خاطفة إلى مصر عبد الناصر فإن ذلك سوف يغير جذريا ظروف الصراع فى
الجزائر ..

كانت النفوس الضعيفة .. والضعيفة فقط .. هى التى تعمى عيونها عملا
عن الأسباب الحقيقية للمشكلة .. ثم تخلق لنفسها تبريرات تعلم أنها غير
موجودة .. وتشير بأصابعها إلى عدو حقيقى أو مختلق ثم تضفى عليه صفات
الشیطان وهكذا كان شيطانهم عندئذ هو عبد الناصر ..

ويبدو بوضوح بعد ثلاثين عاما .. وبعد استخلام هذه الآلية ضد مصر
الناصرية .. أن النفوس الضعيفة مازالت موجودة .. بل إنها تكاثرت اليوم
أكثر مما يمكن أن نتصور للوهلة الأولى .. وأنها للأسف تتقلد سلطات كبيرة ..

ثم أنتقل إلى دوافع إسرائيل فأشير إليها بسرعة لأننى لا أشك فى أنكم
تعرفونها جميعا ويكفى أن أقول إنها تؤكد نفسها بوضوح فى دوامها وفى
استمراريتها المتعنتة ..

ولكن ليس هنا فى رأى جوهر الموضوع .. وإنما يبدو لى أن جوهر
الموضوع يكمن فى التسامح المتزايد والتشجيع الذى تتمتع به الدوافع الاسرائيلية
فى قطاعات كبيرة من الرأى العالمى .. وهو ما شهدناه بوضوح أثناء غزو
لبنان : تسامح غريب وغير مفهوم حيال عمليات استعراض القوة الذى تمارسه

إسرائيل .. وحيال اعتداءاتها المتكررة على شعب مقهور ..
ويمتد هذا التسامح الغريب ليشمل مواقف عدوانية أخرى .. حيث تقهر
الشعوب .. وحيث يهدد السلام العالمى ! ..

في مثل هذه المواقف يندر الآن أن نجد ردود فعل .. وإذا حدث أن
وجدت فإنها تأتي متأخرة وعلى استحياء .. مثل هذا الوهن المتردى الذى
ووجهت به أعمال التمييز العنصرى فى جنوب أفريقيا .. ومثل ذلك الخنوع
المتواطئ الذى استقبل به الارهاب التى تمارسه دولة كبرى ضد نيكاراغوا
مثلا ..

إن الديمقراطيات العريقة تصبح ضعيفة واهية .. عندما تعتقد أنه يمكنها
استخدام القوة ضد ظواهر حقيقية رفضت هذه الديمقراطيات أن تحلل
أسبابها .. ومن هنا فإن أزمة السويس ستظل حتى اليوم مثالا حيا على الصعید
الدولى لمثل هذا السلوك ..

وليس أدل على استمرار التمسك بهذا الفهم الخاطئ من أن الوزير
الاشتراكى الذى كان مسئولاً عن إدارة الدبلوماسية الفرنسية إبان أزمة
السويس .. قد نشر مؤلفاً بعد عشرين عاماً من الأزمة .. أصرفه هذا الوزير
الاشتراكى على ألا يرى فى أزمة السويس سوى أنها كانت حدثاً عابراً ..

ولكن فى مؤلف آخر لمؤرخ فرنسى نشره منذ أربعة أعوام .. كان لهذا
المؤرخ رأياً معاكساً .. إذ اعتبر أن أزمة السويس كانت من أهم الأحداث
الرئيسية فى القرن العشرين .. وقال شارحاً رأيه :

«إنه على العكس من فكرة شاعت فى الغرب وفى الشرق على السواء فإن
الدور التاريخى (للإسلام العربى) .. ثم بعد ذلك (للإسلام غير العربى) تمثل
فى إثبات أن المجتمعات تستطيع أن تسلك منهاجاً آخر غير المنهج الرأسمالى أو
المنهج ذو الطابع السوفيتى» ..

فإذا عدنا للوراء ثلاثين عاما .. فإن الصورة التي كانت تجرى عندئذ هي نفس الصورة التي نجدها في قلب الأحداث المعاصرة .. حيث أنه كثيرا من البلدان ما زالت تسعى اليوم لأن تجد لنفسها طريقا أمثل يناسبها ويناسب ظروفها .. طريقا ذاتيا لا يكون نسخة طبق الأصل من واحد من النظامين اللذين تدير عليهما القوتان الأعظم .

القوتان الأعظم والدول الصغيرة

وكانت هذه الأمنية الطموحة أكثر قوة من ثلاثين عاما عما هي عليه اليوم .. لأن القوتين الأعظم لا يسيران على تلك البلدان أن تحقق لنفسها هذا الأمل .. وما الذي يعنى القوتين الأعظم لكى تقدم هذا التيسير .. إن الكبار قبل شيء لا يعينهم سوى مشكلاتهم الخاصة .. والدور الذى يلعبونه .. على الرغم من بعض الخطب الرنانة الشكلية التي لا تساعد فى شيء تلکم الشعوب الأخرى الأقل قدرة على حل مشكلاتها ..

مثلا فى الولايات المتحدة بصفة خاصة فإنه للأسف قد حلت نزعة وطنية فيها كثير من العنجهية والأناية محل النزعة الدولانية التي كانت سائدة فى الزمن الماضى .. والتي كانت تتميز بالاهتمام بالمشاكل الدولية والسعى إلى التوفيق بين الدول .. أما اليوم فقد أصبح أقصى ما تستطيع أن تفعله الشعوب ذات القدرة الأقل هو أن تحاول أن تحقق بعض الفائدة باستغلال مشكلات الكبار أو استغلال الخلافات التي لا تفتأ تنشأ دائما بين القوتين الأعظم ..

وأيا ما كان يقوله بعض خبراء السياسة « بأن العالم ليس فى الحقيقة متعدد الأقطاب فيما يتعلق بعلاقات القوى دائما تسيطر عليه المنافسة بين القوتين الأعظم وإن كانت هاتين القوتين حريصتان على عدم الانزلاق إلى صراع مباشر. وإنما هما يتصارعان والمواجهة بينهما تتم من خلال الدول الصغيرة .. أى أنها يسعيان فى سبيل خدمة استراتيجيتهما إلى استغلال المائة والثلاثين نزاعا

تقريبا التي أدمت العالم الثالث منذ عام ١٩٤٥ حتى الآن .. » .

فإذا كان بالإمكان أن نستخلص من هذه المآسي والصراعات السياسية دروسا فإنى أعتقد أن هذه الدروس تلتخص فى الآتى :

أولا : أن دول أوروبا وأفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ليس لديها فى واقع الأمر أية مصلحة فى تبنى صراعات القوتين الأعظم .. بل إن هذه البلدان لا تملك فى يديها الامكانيات المادية لكى تصيغ حركتها الاقتصادية وفق الأطر التى تطرحها أى من القوتين الأعظم ..

ورغم أننا وصلنا اليوم إلى مرحلة متقدمة - أكثر من أى وقت مضى - من تحقيق التبادلات والمقايضات الدولية .. فإن جميع هذه البلدان - ولا بد أنكم لاحظتم أنى أدرجت البلاد الأوروبية بينها - فإن جميع هذه البلدان لديها من الأسباب القوية ما يجعلها ترفض هذه الأطر الشمولية .. وتتجنب الوقوع فى أحيايلها ..

فبعد أكثر بقليل من عام واحد على مؤتمر باندونج .. حدثت أزمة السويس .. وأحدث دويها صدى بعيدا شكل مرحلة حاسمة فى تاريخ شعوب العالم الثالث .. ودفع قدما حركتها فى سعيها لإيجاد طريق متميز ومستقبل لنفسها ..

نعم . حطمت أزمة السويس بدويها الهائل .. هذا التميز المتعصب الذى كبل طويلا إرادات الدول التى سميت فيما بعد بدول عدم الانحياز .. والذى كان يحاصرها باليأس والضغط الطاغية عليها .. وأججت أزمة السويس طاقات هذه الدول .. ولكن مع كثير من الأسف فإنه لاشك أن حركة عدم الانحياز لم يقدر لها أن تأتى بكل الثمار التى كان يصبوا إليها مؤسسو هذه الحركة ..

وأعتقد أن لقاءنا اليوم فى العيد الثلاثين لأزمة السويس يوفر بلاشك

فرصة مميزة لكي نتساءل عن العوائق التي عرقلت مسيرة عدم الانحياز وسببت لهذا الكم من الفشل والانحسار عن بلوغ غاياتها .. ولا شك أن مفتاح المشكلة قد قدمه الرئيس عبد الناصر نفسه في سياق خطابه الذي أعلن فيه عن تأميم شركة قناة السويس واقتبس منه قوله :

«إن الفقر ليس عارا .. ولكن العار الحقيقي هو استغلال الشعوب» .

وفي اعتقادي أن التأميمات التي حدثت في مصر كان لها ما يبررها .. بل في رأيي أنها كانت ضرورية .. فقد أتاحت للشعب وللدولة أن يستعيدا سيادتهما على الثروات التي هي حق شرعي للبلاد ..

ولئن كانت هذه التأميمات لم تقض لاعلى الفقر ولا على الاستغلال الذي تحدث عنها عبد الناصر فما ذلك إلا لأنه في غضون ذلك الوقت أصبحت ميكانيكية الاستغلال أكثر تطورا وتعقيدا .. كما أن المشاكل والعقبات التي فرضت نفسها وقت عملية تأميم شركة قناة السويس لم يمكن اجتيازها .. بل إن هذه المشاكل والعقبات التي كانت مطروحة إبان تأميم القناة امتدت حتى اليوم للدرجة يمكن اعتبارها مشاكل معاصرة .. كل ما في الأمر أنها بدلت مواقعها الزمنية .. وملامح بنيتها .. ولكنها في جذورها هي نفس المشاكل التي فرضت إثر تأميم القناة .. فمنذ تلك اللحظة حتى الآن وبأساليب جديدة متطورة ... ورثت على صعيد أكبر عملية نهب ثروات البلاد وعمليات الاستغلال .. لا سيما عن طريق التبادلات التجارية من خلال الهوة المترابدة بين أسعار المواد الأولية التي تصدرها هذه البلاد وبين أسعار المنتجات الصناعية التي تستوردها .. وموازيا لهذا الاستغلال الفاضح كان التحكم في معدلات الفائدة لتهيئة هروب رؤوس الأموال من بلاد العالم الثالث نحو جنات الليبرالية .. ثم سحب هذا كله تطور جهنمي لمشكلة سداد ديون العالم الثالث .. إلى آخر هذه الأحاييل التي وقعت فيها بلاده ..

ولا شك أن توكيد الهوية الوطنية .. والدفاع عن المصالح القومية ..

واحترام السيادة الوطنية .. كلها أمور أصبحت اليوم أكثر صعوبة وتعقيدا من مجرد عمليات التأميم ..

ويكفى أن أسوق لكم مثلا بسيطا أمثله عن مستر شولز الذى أكد على أنه نتيجة ارتفاع معدلات الفائدة .. فقد هربت من بلاد أمريكا اللاتينية إلى الولايات المتحدة حوالى مائة مليار دولار خلال ثلاث سنوات فقط ..

كذلك فإن النشرة الدورية لبنك تشيس مانهاتن تقدر رموس الأموال العربية فى أمريكا بعشرات عديدة من مليارات الدولارات ..

ولاشك أن خبراء الاقتصاد فى مصر يعرفون أفضل منى وأكثر منى .. ما يتعلق بمصر .. ويستطيعون أن يقارنوا هذه الأرقام .. بحصيلة إيرادات استغلال قناة السويس المؤممة ..

فإذا كانت النظم الاستغلالية التى تمارس ابتزاز موارد العالم الثالث قد رسمت خططها على أسس قاسية .. مجردة من المشاعر لاترعى ضميرا أو وازعا .. فإن عيارها اليوم قد انفلت تماما .. وانفجر سعارها الجنونى للاستغلال إلى درجة أنه تمدى وتجاوز حتى هذه الأسس القاسية التى رسمت لخططها من قبل ..

إن عالم النقد الدولى قد أصبح مجنوننا بالفعل .. إلى درجة أن ديون الحكومة الفيدرالية الأمريكية قد تضاعفت أربع مرات فى ظل رئاسة ريغان لكى تتجاوز أثنى مليون دولار .. أى ضعف إجمالى مديونية العالم الثالث بأسره .. إن البنوك الأمريكية التسع الكبرى قد خصصت لقروض العالم الثالث قرابة ٢٥٠٪ من أصولها واحتياطياتها .. الأمر الذى يضعها فى موقف قابل للانهييار إلى حد كبير .. وعلى قدر علمى فليس هناك خبير مصرفى واحد فى أوروبا أو فى الولايات المتحدة يؤمن بأن هذه القروض سوف تسترد بالكامل .. بل إن ميلتون فريزمان الذى يعتبر حجة خبراء النقد فى العالم يعتبر أن هذه الديون ليست ذات قيمة فعلية وينصح بأن تطرحها فى الأسواق فى صورة

سندات لعها نجد مشترين وبأى سعر يمكن الحصول عليه .. فهذا أفضل من العدم .. وأنا أنصحكم بالألا تشتروا سندات هذه الديون مها رخص سعرها لأن شراءها سيكون صفقة خاسرة ..

النظام النقدي المختل

إن الجهود المبذولة للخروج من ريقة التخلف والافلات من الفقر والتحرر من أى استغلال خارجى .. هذه الجهود جميعها تواجه ظروفًا عسيرة وتلقى مقاومة عنيدة في مواجهة نظام نقدي متضارب ومختل إلى درجة أنه لم يعد نظامًا على الاطلاق .. وأصبح محتمًا رفض المفاهيم التي تسمى بالليبرالية والتي أصبحت فشلها أكثر وضوحًا وبصورة أكبر حتى في أعين الذين ابتدعوها ..

إن الأمانى الوطنية والتطلعات القومية التي كانت تسيطر بالقطع على الساحة السياسية أثناء حملة السويس ماتزال حتى يومنا هذا متأججة إلى حد بعيد في العالم ولكن التناقض الغريب أنها لم تؤد إلى تشاور فعال بين كل الدول التي من مصلحتها الأكدية أن توحّد نزعاتها القومية لتواجه ككل الأخطار الرئيسية المحدقة بها ..

ولعل على وجه الخصوص أشير إلى أن التطلعات الوطنية لم تسفر عن عمل مشترك للدول المديونة لمواجهة الموقف موحدة .. بل على العكس فإن كلا من هذه البلدان تواصل التصرف منفردة لما تظنه فيه مصلحتها .. محدودة بأمل واه خلداع بأن تصل إلى حد منفرد موات لمشكلتها الخاصة .

وصدقونى إننى لا أعالى في تجسيد صعوبة هذا الموقف الراهن .. إنه أشد صعوبة من مرحلة السويس .. كان تأميم قناة السويس عملا رائعا .. ورمزا شجاعا لتحقيق السيادة الوطنية .. ولكنه كان عملا محمدا واضح العالم .. كان يتعامل مع حقيقة واقعية مرثية وملموسة على أرض الوطن المصرى وترابه .. ولكن اليوم .. الوضع الراهن يختلف .. رموز السيادة الوطنية أصبحت

أكثر غموضا .. وتحقيق الاستقلال الذاتي للدول والحكومات أصبح يمر في متاهات يصعب فهمها .. ويصعب تحديد معالمها .. لأن السيطرة الأجنبية ومحاولات الاستغلال الأجنبي لم تعد واضحة صريحة ومحددة كما كانت أيام السويس .. وإنما أصبحت مخفية تحت أفتحة من آليات العلاقات الدولية .. شديدة التعقيد لا تستطيع الجماهير العريضة أن تفهمها وأن تستبين مراميها .. كل مواطن هنا في مصر كان يستطيع أن يفهم قضية السويس للوهلة الأولى .. ولكن من الصعب جدا الآن على المواطن العادي أن يفهم أساليب الأسواق الدولية وأن يتحسس الشركاء المستترة وراء المناورات الاقتصادية الدولية ..

منذ ثلاثين عاما تورطت الحكومات الفرنسية والبريطانية والاسرائيلية في مغامرة غير عادلة ولا مبرر لها .. هل تستطيع هذه الحكومات الثلاث الآن وبعد ثلاثين عاما من هذه المغامرة الفاشلة أن تبدى قدرا أعمق من التفهم والروية في رؤيتها لما يجري ؟ ! ..

أنا أعتقد أن هذه الدول الثلاث ليست بعد مستعدة لأن تدخل في مفاهيمها وحساباتها أن مصلحتها الوطنية على المدى الطويل تتمثل قبل كل شيء في تجديد قواها لرفع الظلم السياسي الصارخ والمعاناة غير العادلة التي تتعرض لها الشعوب المحرومة من الوطن وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني ..

ليست هذه الدول بعد مستعدة لأن تفهم أن من مصلحتها رفع الظلم الاقتصادي الواقع على الشعوب نتيجة ذلك النظام العالمي الراهن الذي يزيد من تفاقم الاضطراب والخلل في الميزان الدولي .. ويغذى بتزايد مستمر فقرا غير مقبول ترزح تحت عبثة شعوب الدول النامية ..

على مدى عقود ثلاثة .. وبعد تقسيم فلسطين .. ما زال الغرب يعامل الفلسطينيين كمجرد لاجئين .. إن سخف هذه التسمية يعكس هنا فقر الفكر الغربي .. فإنه لا يمكن أن يكون المرء لاجئا وأن يظل لاجئا مدى الحياة .. عبر

جيلين .. وكان يتعين الانتظار حتى منتصف السبعينيات لكي يقرر الأوروبيون في مؤتمر قمة لندن التحدث عن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وإن كانت هذه العبارات الجميلة المنمقة التي جاءت متأخرة قد ظلت عمليا بلافعالية تقريبا حتى اليوم ..

ونحن نعرف جميعا أى نوع من الضغوط تعرضت لها أوروبا لكي تستسلم في هذه القضية .. ولم تكن الضغوط الإسرائيلية أيا كان حجمها كافية للوصول إلى هذه الحالة .. وإنما احتاج الأمر أيضا وعلى الخصوص إلى الضغوط الأمريكية ذات الفعالية الخاصة على الدول الأوروبية التي تعانى منذ فجر الحرب الباردة حالة من الذعر والترقب للوصول المدرعات السوفيتية ..

إن الهوس السيكولوجي للحرب الباردة الذى سيطر على الساحة الأوروبية قد شل وما زال يشل وسيظل يشل الدبلوماسية الأوروبية ..

إن مثل هذا الهوس المتسلط والمستمر يؤدي إلى حالة تجمد سيكوباتيه ومحول - لسوء الحظ - دون وجود اسهام فعال من جانب الدول الأوروبية لحل المشكلات الحقيقية ..

الغرب وصراع الشرق الأوسط

وعلى مدى ثلاثين عاما منذ حملة السويس .. وحتى الآن .. ما تزال الديموقراطيات الغربية تتحمل مسئولية جسيمة حيال تصاعد الصراع فى الشرق الأوسط وتفاقم أزمته .. على هذه الصورة التى تجرى والتي أدت إلى تدمير لبنان .. وتفشى ظاهرة العنف .. ومن المؤسف المثير للألم أن واشنطن تضيف كل هذه الأزمات المأساوية تحت صفة «الصراعات الأقل حدة» .. بيد أن هذه الصراعات تعد أكثر حدة وكثافة دموية عما كانت عليه خلال العقود الماضية .. ثم يأتي فوق هذا سعى شرس لتجنيد الغرب كله فى حرب صليبية ضد الارهاب .. بقصد التعمية على المشاكل الحقيقية واخفائها ..

لذلك فإن في أوروبا اليوم أقلية تحارب هذه التزعة الصليبية الظالمة .. ولأن صحيفتي : «الموند ديبلوماسيك» تنتمي إلى هذه الأقلية فقد حرصت على أن أكون موجودا بينكم اليوم .. ولا أعترم الحوض هنا في مناقشة عميقة حول الارهاب .. فأنا أؤيد تماما ما ذهب إليه المستر مايكل فوت في كلمته صباح اليوم .. ولكنى فقط أقول :

إن اثاره نعمة الحرب الصليبية ضد الارهاب تستهدف أساسا تجميع الطاقات وتحقيق ترابط - ولو مظهرى - بين دول هي في الواقع متعارضة المصالح ويشتل التنافس بعنف بينها على الصعيد التجارى والاقتصادى ..

وإذ أقرب من خاتمة حديثى اسمحوا لى .. ويتواضع شديد .. أن أقتبس ما كتبه وأنا صحفى صغير منذ ثلاثين عاما في صحيفة «تيمواناج كريتين» أى (شهادة مسيحي) كتبه تعليقا على أزمة قناة السويس حيث قلت «إن الاحتياجات الاقتصادية لا تبرر أية ديكتاتورية .. ولا تبرر لأنانية وغباء الديمقراطيات ذات المستوى المعيشى العالى أن تحقق ثمارا من المآسى التى تتعرض لها البلدان متخلفة النمو التى تصبو إلى الرفاهية والاستقلال الحقيقى» ..

إن هذه الأسطر التى كتبها عندئذ ما تزال سارية منطبقة على حقيقة وواقع الحال حتى يومنا هذا .. ولقد أردت بها أن أؤكد أننا متضامنون معا فى السعى نحو تحقيق الكرامة المشتركة للجميع ..

إن الخوف مما كان يسمى «بتصاعد القومية العربية» قد دفع بدولتين أوريبتين عام ١٩٥٦ إلى التورط فى مغامرة غبية غير أخلاقية .. عقيمة ومؤسفة ومدمرة ..

ولكننا اليوم وبعد مرور ثلاثين عاما على تلك المأساة نجد أننا مازلنا نعاش هذه المفاهيم .. فما أسهل اليوم من إثارة ذعر الرأى العام فى تلك البلدان ذاتها .. وتحريضه هذه المرة ضد ما يسمى بالتزعة الإسلامية ..

ولست أشك في أن ايزنهاور ودالاس يتقبلان اليوم في قبريها حسرة وندما
على أنه بدلا من أن يكون في طهران «الدكتور مصدق» فقد أصبح فيها آية
الله الخوميني ..

ومما يؤسف له أننا في مواجهة كثير من المواقف التاريخية الحاسمة .. لم نتعلم
بعد أن ننظر إلى الشعوب كما هي .. وأن نتعامل مع واقعها الحقيقي .. وأن نحترم
كرامتها ومصالحها ..

وأخشى ما أخشاه أن يشجع تفاقم الأزمة الاقتصادية .. وظواهر الكساد
العالمي الراهن .. الاستمرار في هذا الاتجاه اللاواقعي والاغراق في الوهم ..
مما يؤدي إلى الاندفاع إلى الازدراء بحق الآخرين وخاصة إذا كانوا أكثر
ضعفا ..

إن مثل هذا المفهوم وهذا السلوك إن دل على شيء فإنما يدل على عجز
هذه القوى التي تتخيل أن في إمكانها أن تعصف بالآخرين في سبيل تحقيق
مصالحها .. إن عالم اليوم قد أصبح أكثر ضعفا .. أضعف وأهش بكثير مما
كان عليه عام ١٩٥٦ .. إننا نمر بمرحلة من الجشع الاقتصادي في زمن
تصاعدت فيه قوى التسليح المدمر على الجانبين .. بصورة مرعبة ومريعة لم تكن
عليها أبدا في تلك الحقبة التي انقضت منذ ثلاثين عاما .. إنها اليوم أكثر
مدعاة للخوف والرعب ..

إن الظروف الهشة لعالم اليوم الضعيف .. تعد سببا إضافيا ودافعا قويا
لايذاء مزيد من الحكمة والحنكة ومن رباطة الجأش .. وأعتقد أيضا أننا في
أشد الحاجة إلى أن يكون لدينا مزيد من التصور .. ومزيد من القدرة على
الابتكار لكي نجد مخرجا فعلا .. الأمر الذي يزيد من ضرورة وحتمية أن يتم
في هذا الجزء من العالم اتفاق على وضع سياسة متوازنة تأخذ في الاعتبار
مصالح وتطلعات وكرامة كل الأطراف ..

إنه رغم مخاوفي وقلقي العميق الذي حاولت أن أخفف عرضها عليكم إلا

أن الأمل الذى أصبو إليه كبير فى أن نصل إلى تحقيق هذه الصيغة طواعية واختياراً ..

إن إرادة الاستقلال الوطنى قد أصبحت اليوم أكثر من أى وقت مضى ..
واحدة من أعظم القوى التى تصنع التاريخ .. ولقد أسعدنى أن رجلاً مثل
ديجول قد استطاع أن يدرك هذه الحقيقة فى الوقت المناسب ..

إن إرادة الاستقلال الوطنى لا يمكن أن تكون حكراً على دول بعينها دون
غيرها .. كذلك لا يمكن أن تكون هذه الإرادة حكراً على الحكومات دون
شعوبها .. ذلك أن هذه الحكومات وهذه الدول فى حاجة إلى مساندة
شعوبها .. وهذه المساندة لا يمكن أن تتأتى إلا بالمشاركة الحرة للمواطنين ..

وليس هناك فى رأى سوى سبيل واحد لحشد طاقات الشعوب .. الشعوب
الحريصة على كفالة استقلالها وكسب الاحترام .. وهذا السبيل .. هذا السبيل
الوحيد .. هو الذى يأخذ فى الاعتبار .. بشكل أو بآخر .. المعطيات التاريخية ..
والتراث الثقافى والخصائص المميزة للحضارات المختلفة هذا السبيل .. بشكل أو
بآخر .. اسمه الحرية والديموقراطية ..

،،، وشكراً

الجلسة الثالثة
القسم الثالث

مناقشة حول دور فرنسا في أزمة السويس

شارك فيها :

د . محمد عبد الاله - د . محمود عبد الفضيل - د . إبراهيم صقر - محمد سيد أحمد -
محمود توفيق - د . عواطف عبد الرحمن - أشرف بيومي

- عند كل جولة من جولات إعادة جدولة الدينون ، يتم التفريط تدريجيا في بعض أدوات السياسة الاقتصادية .
- أموال البترول التي تدفقت ، هل استطاعت أن توطد الاستقبال أم أنها وفرت صيغة جديدة للتعبية .
- جميع عقود نقل التكنولوجيا في العشر سنوات الأخيرة ليس فيها موقف للمفاوض العربي أو المصري .

الأستاذ هيكل : أرى أن الكلمة الأخيرة لكلود جوليان أحدثت أمرا هاما جدا .. ذلك أنه لم يتكلم عن الماضي .. ولكنه ربط الماضي بالمستقبل وبال حاضر .. وأدلى لنا بتصور عن نوع الوطنية القادمة .. الوطنية المبسطة .. ثم المشاكل اللى نعرفها وواجهناها مرات متعددة ..

اليوم قد اختلفت أشكال السيطرة .. ولم تعد كما كانت فيما مضى .. ولم تبق سهلة .. وباليات التعليقات فى الفترة القادمة ، تأتى فى هذا الاتجاه .

تفضل يا دكتور محمد عبد الاله .. فى الحقيقة أنا كنت أريد أن أوركك ، لكن حسنا .. هنا أنت قد تطوعت .. الدكتور محمد عبد الاله رئيس لجنة الشؤون الخارجية فى مجلس الشعب .. ويسرنى أن تتوافر وجهة نظر ثانية أيضا .. فهنا جميل جدا .. حيث فى الندوة التى جرت فى إسرائيل ، كانت الدولة موجودة .. وكانت تشارك .. وكان هناك بيريز .. وكان هناك غيره - لا أقارنك بهم لا سمح الله - وكان هناك رابين ..

جميل أن تتحدث الناحية الثانية من المنصة .. تفضل .

البعد الاقتصادى لمعركة السويس

الدكتور محمد عبد الاله : أشكرك يا سيادة الرئيس .. وأشكرك يا مسيو كلود جوليان فقد تأثرت حقيقة بكلمتك ذلك أنك كما قال الأستاذ هيكل لم تتناول فقط أحداث الماضي وإنما ربطته بالحاضر واستخلصت لنا منه درسا للمستقبل .

في الواقع سيادة الرئيس في خلال مناقشات أمس صباحا واليوم ظهرت
ثلاثة أبعاد لسته ١٩٥٦ ..

البعد الأول وهو الذي أشار إليه الأستاذ محمد حسنين هيكل بالأمس وهو
أن ١٩٥٦ قد نقلت عبد الناصر من مرتبة رئيس دولة إلى مصاف زعيم لحركة
العالم الثالث وهذه حقيقة .. لا يستطيع أن يتجاهلها أي منصف للتاريخ ..

البعد الثاني : هو فشل سياسة اللجوء إلى القوة العسكرية لفرض الأمر
الواقع على العالم الثالث ..

واليوم نقلنا كلود جوليان إلى البعد الثالث .. البعد الاقتصادي .. وأنا
أذكر هنا ما قاله موريس دوفرجيه عن أن ٥٦ قد غيرت العلاقة بين ما يسمى
بالعالم القديم وبين العالم الثالث .. وهو نفس المفهوم الذي أشار إليه كلود
جوليان هنا الصباح ..

ولكن .. في واقع الأمر .. أنه لم يتغير فقط المفهوم .. بمعنى أن دول العالم
الثالث تمكنت من السيطرة على مواردها .. ولكن تغير أسلوب السيطرة أو
محاولات السيطرة على موارد العالم الثالث ..

وأظن أن هناك مراجع كتبت عن ٥٦ .. وتعتبر أنها كانت نقطة تحول في
تغير الأسلوب من السيطرة المباشرة إلى السيطرة غير المباشرة .. وده متبياً لى
موضوع هام جدا .. والفضل لهذه الندوة مؤكداً في أنها ألقت الضوء على هذا
البعد الجديد الذى يستحق دراسات عديدة وكثيرة في هذا المعنى ..

ولقد أشار كلود جوليان إلى نقطة مهمة جدا .. وهى الربط بين ما حدث
من موقف فرنسا في مواجهة مصر .. ومساندة مصر للجزائر . وقيل أيامها
ماعتناه أنه لكي تبقى «الجزائر فرنسية» يجب احتلال القاهرة .. أى أن القاهرة
هى مصدر القلق في الجزائر ..

وهذا البعد هام جدا .. لأننى أتصور أن ٥٦ هى التى أكدت وأعطت الالتزام العربى لمصر أبعادا جديدة ومختلفة .. وأحييت فى العالم الثالث نوعا من التآلف والشعور بما سماه كلود جوليان بالشعور الوطنى .. ولكن أعطته بعدا مختلفا وبعدا جديدا .. بعدا نضاليا .. وبعد التعاون .. وبعد الانتماء إلى نفس القضايا ..

وامتد هذا - كما أشار الأستاذ هيكل بالأمس - إلى أمريكا اللاتينية وأفريقيا .. ووجدنا أن التزام مصر فى اتجاه قضايا العالم الثالث قد تغير بشكل واضح بعد ٥٦ وأرى فى بعض الأحوال اللى يمكن نوع من التدخل المباشر لمساندة بعض الدول .. وقد يحكم التاريخ على مدى ما حققته من نتائج سلبية أو إيجابية كانت .. ولكن الحقيقة هى أن ٥٦ أعطت هذا البعد الجديد : «وحدة» ليست فقط فى الشعور ولكن بعدا جديدا لوحدة المصالح ووحدة الانتماء بالنسبة للعالم الثالث ..

ولذلك أنا أحبب هذه الندوة لأنها ألفت الأضواء على بعض الأبعاد الجديدة التى نستطيع أن نستفيد منها اليوم وغدا ..
وشكرا ، ، ،

الأستاذ هيكل : هذه الندوة ذكرت فيها مبادئ لا بأس بها .. وهى دعوة إلى الناس حتى إذا لم يكونوا مستعدين أو جاهزين ..

لكنى أرى أننا فى الحقيقة انتقلنا .. أو أن المناقشة تجرنا فعلا إلى نوع السيطرة القادمة .. وفى اعتقادى أن هذا موضوع مهم جدا .. وياليت الأستاذ حمروش بعد ذلك يهين لنا ندوة أخرى .. لأن مشكلة الديون

ومشكلة السيطرة المالية .. موضوع هام فعلا .. شكل السيطرة القادمة .. ياليت مرة أخرى تعقد مرة أخرى لنا ندوة عن هذا الموضوع .

بهذا كنت أريد استدراج الدكتور محمود عبد الفضيل .. حيث أراه جالسا
بعيدا صامتا .. وقد حاولت أن أحدثه .. وحاولت أن أشير إليه .. ولكنه لم
يستجب ..

أستاذ عبد الفضيل .. ألا تريد أن تتحدث في هذا الموضوع ؟ دكتور
عبد الفضيل تفضل فهذا موضوعك .

دكتور إبراهيم صقر .. وهو موجود .. محمد .. هل تريد أن تقول شيئا
شرط أن يكون حديثك مختصرا ..

آليات السيطرة المعاصرة

محمود عبد الفضيل : لو سمحتولى سأتكلم بالعربى من أجل أغلبية
الحاضرين .. باختصار شديد أهم ما جاء فى هذه الندوة هو النظر إلى السويس
أو إلى حرب السويس من خلال نظرة مستقبلية .. بمعنى أن ما حدث فى
٥٦ .. وكما أوضح ببراعة الأستاذ هيكل بالأمس .. ليست مجرد حدث
تاريخى .. أو نحن لا نقبل فقط فى صفحات التاريخ الماضى بل نقبل بشدة
فى تاريخ الحاضر .. بشدة ..

بمعنى أن هذه الأيام آليات السيطرة وآليات المجابهة هى اللى تغيرت ..
ولكن مضمون الاستهداف موجود ..

مصر بثقلها الجغرافى .. والتاريخى .. مستهدفة دوما من عصر محمد على ..
مرورا بعرايى .. بثورة ١٩ مرورا ب٥٦ .. وإلى اليوم ..

فإذا كانت المقابلة بين عرايى وهزيمة .. وعبد الناصر وانتصاره فى نفس
المعركة .. من نفس النوع .. بنفس الحملة البريطانية لاحتلال البلد ..

كان المطلوب كما أوضح السير أنتونى ناتنج أن ناصر يقبض عليه .. وأن

تغزى القاهرة كما حدث عام ١٨٨٢ ..

كانت أيضا المقارنة الأخرى بين مصدق وفشله فى التأميم الذى كان ضحية لكل الطموحات فى السيطرة على الموارد الأساسية .. وبين نجاح عبد الناصر فى تأميم قناة السويس .. كانت هذه المقارنة أو المقابلة كما أوضح الأستاذ هيكل بالأمس .. أن هناك ضمانات أكبر فى حالة تأميم مرفق خدمة .. عن تأميم سلعة استراتيجية زى البترول لا يصلح فيها العمل المنفرد ..

ثم جاءت منظمة الأوبك بعد كده .. ونجحت إلى حد ما فى أنها تعمل استراتيجية للمجابهة .. ولكن هذه الاستراتيجية انهارت هذه الأيام .. وهنا يفتضح لنا أننا إذا اعتمدنا على خط دفاع واحد فقط وليس على مجموعة خطوط دفاع ستكون هناك أزمة فى المجابهة ..

باختصار شديد .. ودون الدخول فى تفاصيل .. أعتقد أن العالم الثالث يواجه .. ومصر والعرب يواجهون هذه الأيام .. بل فى هذه اللحظة ثلاث آليات للسيطرة الجديدة ..

الآلية الأولى : هى شروط التبادل التجارى .. أنواع التبادل التجارى .. السلع اللى بتصدروا السلع اللى بتستورد .. بأى أسعار؟ .. بلا جدال نحن نصدر سلعا أولية .. سواء أكانت قطننا أصبحت بترولاً .. وشروط التبادل أسعارها بنهار .. والسلع المستوردة سواء رأسمالية أو استهلاكية أسعارها بتتصاعد .. وأكد أقول إنها أسعار ابتزازية .. دى أول آلية من آليات الاخضاع .. وأنه يميلك صناعة تبقى هنا مرتبطة بالتصدير أساسا عشان تكون الصناعة مرتبطة بالتجارة .. دى حزمة واحدة ١١ ..

الآلية الثانية : هى آليات نقل التكنولوجيا بشروط فعلا فيها ابتزاز كامل للبلاد النامية اللى مش عارفه تخرج من إطار التبعية التقليدية .. يمكن أمريكا اللاتينية حقيقة حققت تقدما نسبيا جيدا .. إنها على الأقل حسنت موقفها التفاوضى ..

لكن في المنطقة العربية .. في جميع عقود نقل التكنولوجيا مع جميع الشركات الدولية التي تمت في المنطقة العربية .. وأنا أتحديث بناء على وثائق .. وفيه الزميل الدكتور حسام عيسى يقوم ببحث مجدى من الناحية القانونية .. أقول إن جميع العقود التي تمت خلال الحقبة البترولية في العشر سنوات الأخيرة كلها فيها شروط يبدو فيها شيء واحد : أنه لا يوجد موقف للمفاوض العربي أو المصرى ..

فطبعاً لا يوجد أكثر من ذلك آلية من آليات الاستغلال والسيطرة ..

الآلية الثالثة : والأخطر الآن هي من خلال الديون شروط الائتمان شروط الديون .. هذه الشروط أصبحت آلية جيدة جداً من آليات السيطرة والاختصاص .. إنك تبدأ بالاقتراض بشكل بشروط سهلة ميسرة .. كما في الخمسينيات وفي الستينيات .. وتدرجياً يصبح هناك نوع من إدمان الدين .. وبدلاً من أن يكون الدين أداة للاستثمار والتحرر يصبح الدين أداة من أدوات التبعية .. والتبعية بالمعنى الدقيق للكلمة .. لأنه حينما تصل الأمور إلى مأزق .. مأزق عدم القدرة على السداد .. فالجميع مستعد لإعادة «الجدولة» .. اسم اللعبة الجديدة : «إعادة الجدولة» ..

لأن النظام الغربى المالى لا يستحمل أنه يحصل توقف عن الدفع .. ولذلك هو مستعد يعمل عمليات إعادة جدولة .. ولكن عند كل جولة من جولات إعادة الجدولة يتم التفريط تدريجياً في بعض أدوات السياسة الاقتصادية وهذا واضح لأنه حينما تملك أى بلد السيطرة على رقعة من الأدوات الاقتصادية .. سعر الصرف الخارجى .. سعر الفائدة الداخلى .. حجم الاقتراض المخصص للقطاع العام .. السياسة السعرية .. طيب ماذابقى إذا كانت المنظمات الدولية ستفرض على راسم السياسة الاقتصادية برنامجاً للإصلاح الاقتصادى .. سواء في مصر .. أو في المغرب أو في السودان أو في البرازيل أو في أى بلد ثانية ؟ .. النهاردة يقول له عشان يكون فيه إعادة جدولة .. لازم يحصل كذا في

سعر الصرف .. يحصل كلما فى سعر الفائدة الداخلى .. هكلنا فى السلساء
السعرىة لمنتجات معينة .. فى الكهراء أو البترين أو الأكل أو الشرب ..
هكلنا فى مجال الاقتراض .. حجم الاقتراض .. حجم النقود !! ..

ماذا بقى من سيطرة لراسم السلساء الاقتصادية ؟ ماذا بقى لمحافظة البنك
المركزى ؟ ماذا بقى لوزير الاقتصاد ؟

تلك أخطر قضية حقيقية بتواجه العالم الثالث .. ومصر والعرب فى هذا
المعترك ..

وعايز أقول إن الأدوات أصبحت مكثفة .. ثلاثة اللى هى :

أى شروط نقل التكنولوجيا
أى شروط التبادل التجارى
اللى هى شروط الاقتراض

وأنا أعتقد أن هذه الآليات بمنتهى البساطة بتحكم الخناق على أى مشروع
مستقل للنهضة والتحرر ..

وأعتقد أننا نجابه سويس ثانية بأساليب أخرى .. وعايزه مزيد من التفكير
والتأمل .. لأنها أخطر وأكثرتفافا ..

وأعتقد أن هذا هو التحدى .. التحدى الذى يجعلنا نشعر أن السويس
جاهزة وحاضرة .. وستظل حاضرة .. ومضمون المعركة سىظل قائما .. ولكن
التحديات أكبر ..

،،، وشكرا ،،،

الأستاذ هيكىل : دكتور إبراهيم صقر بفضىل ... هل لديكم مانع من أن
نسير فى مناقشة حرة .. دورك قادم يا أستاذ عودة بعد ذلك .. بعد الظهر ؟ ..
لقد خرجت من اختصاصى ودخلت عند منصور بك .. لا بأس ..

المسألة ليست ضرب عبد الناصر فقط

دكتور إبراهيم صقر: جلسة اليوم جلسة ثرية جدا .. وقد خرجت عن الموضوع الأساسي للندوة وهذا مهم .. لأنه من المصلحة أن نعيش حاضرا .. ونرى ماذا نصنع فيه؟ كما قال الأستاذ هيكل ، لكن مع هذا أرجع قليلا للكلام الذي قاله سير انتوني ناتنج وتلميحات القلق .. ومفيد أنه قال ، إنهم ليسوا وحدهم الذين كانوا قلقين من التأميم وإنما بعض الدول العربية أيضا .. ومفيد أنه حددها .. لأن هذا يعطينا خط معين .. ثم تحدث عن دور المستعمرين للقناة .. وأريد أن أسأل أين كان هذا الدور؟ قبل تأميم الشركة .. ما الشركة هي التي كانت يتمشى كل حاجة .. ثم من الذي عطل الملاحة في قناة السويس؟ أو حاول تعطيلها؟ من الذي سحب المرشدين؟ من الذي اتخذ القرار؟ ومن الذي تحمل سحب المرشدين؟ ووقفوا برغم ضغط الدول الغربية في أن تمر خمسين سفينة ، وكان أكبر عدد شهدته القناة في هذه الفترة في تاريخها مرة واحدة .. إنهم كانوا متوقعين أننا سنفشل فشلا ذريعا ... ولم نفشل ... وأنا أذكر أن بعض المحررين الأمريكيان الصحفيين .. الأمريكان قابلوا بعض المرشدين وكان منهم الشبتي رئيس المرشدين .. فقال له «دى بلدنا وده تحدى واحنا بنواجهه وبنشتغل ليل مع نهار ونجحنا في هذه العملية» ... في حكاية الضغط على إدارة القناة وعدم دفع الرسوم وحاجات كتيرة قوى حصلت ..

هنا من الذي يجب أن يستبد به القلق ، الذين يريدون بعض التغيير ، من أجل مصلحة شعوبهم؟ أم الذين يريدون المحافظة على الوضع القائم بأي ثمن؟ «وهو كده وعاجبكم كده مش عاجبكم تأخذوا على دماغكم» ..

وهنا أنا أريد أن أقول إن عبد الناصر في المرحلة ما بين التأميم إلى النهاية كان يحاول مرة واثنين وثلاثة ، أن يظهر حسن نوايا مصر .. واستعداد مصر لإدارة القناة ويثبت أنه مستعد يأخذ في الاعتبار المستعمرين للقناة .. وينمض

عينه عن محاولات الاستفزاز وإلى آخر لحظة في الأمم المتحدة رأينا أنه قبل العدوان رأساً .. وهذه خديعة كانت واضحة .. عبد الناصر اتفق .. يعنى مصر وافقت على أنهم يلتقون في سويسرا ليتوصلوا إلى تسوية .. نحن نتفق بشكل ما ، وهم يستعدون للضرب وبعدها على طول مباشرة حصل الضرب .. وأكثر من كده بعد أن حصل الضرب حاولت الولايات المتحدة في مجلس الأمن أن تدفعنا إلى الحائط .. وتضعنا أمام الأمر الواقع وتقود مؤتمرات لندن وقرارات مؤتمر لندن وهيئة المتفجرين .. وحكاية تدويل قناة السويس .. ولولا الفيتو الروسى .. كان هناك أحد عشر عضواً ، منهم تسعة كانوا مع أمريكا والوحيدين اللين قالوا لا .. يوغوسلافيا .. والاتحاد السوفيتى ولولا الفيتو السوفيتى .. كان القرار مرر وبقى قرار من قرارات الأمم المتحدة ..

وبعد أن انتهت حرب السويس .. ظهرت نظرية ايزنهاور .. مشروع ايزنهاور ظهر لمحاولة السيطرة بشكل جديد على هذه المنطقة ..

سير أنتوني ناتنج تكلم عن أهداف الحملة .. وأنا باقول الآتى : إن المسألة لم تكن الاطاحة بعبد الناصر فقط .. ولكن عبد الناصر بما كان يرمز له .. وأنا باشك أنه كانت هناك خطط .. يمكن يكون سير إيدن كان عصبي بعض الشيء .. ولكن ما من شك أنه كان هناك محاولة لضرب عبد الناصر وما يمثله عبد الناصر في مصر وفي الوطن العربى ..

بالنسبة لندوة إسرائيل .. والحقيقة استفدت جدا مما قاله مستر كيث وأنا بس نقطة صغيرة في موضوع انتصار إسرائيل والانتصار المصرى .. وكلام اسحق رابين أنه حصل انتصار ..

وهنا أذكر بعض المصريين الذين يشوهوا سمعة عبد الناصر ويكرروا أننا انهزمنا في كل شيء ، وضيعنا كل شيء .. وحصل .. وحصل ..

وما أريد أن أقوله ، ما هو المطلوب من الدولة الصغيرة حين تقاوم دولتين كبار أو دولة عملاقة كالولايات المتحدة معاهم من وراء ، وكانت تريد أن تقود

لكى تكسب .. ماذا يتنظر؟ ! .. أنا باقول دائما أن ما ينتظر من الدولة الصغيرة وما أعتبره انتصارا حاسما .. هو أن الدولة الصغيرة تنجح سياسيا وعسكريا فى ألا تتمكن الدولة الكبيرة من أن تحقق أهدافها بأن تفرض نصرا عسكريا حاسما يمكنها من فرض أهدافها السياسية ..

فيتنام خسرت أكثر من أمريكا .. ولكن .. فيتنام نجحت فى ألا تتمكن الولايات المتحدة من تحقيق أهدافها .. ومصر نجحت فى ألا تتمكن الدول الغربية من أن يحققوا الأهداف بتاعتهم من حملة السويس ..

،، وشكرا ،،

السيطرة بالتكنولوجيا

الأستاذ هيكىل : طيب .. الدكتور أشرف .. تفضل يا دكتور أشرف ..
الدكتور أشرف : عندما كنت أستمع فى الصباح فى الندوة الرائعة للمقالات الرائعة التى سمعتها كان الجانب التاريخى لبعض صانعى الأحداث يركز عليه .. أما بعد حديث مسيو كلود جوليان .. انتقل فجأة وتشجيع من رئيس الجلسة الحديث للمستقبل وللطرق الحديثة والتى قد تكون أكثر خطرا من البعد العسكرى للسيطرة على الشعوب .. وتفضل الدكتور محمود عبد الفضيل فركز على البعد الاقتصادى .. فأرجو أن تسمحوا لى كأستاذ علوم أن أركز على البعد العلمى .. والتكنولوجى فى السيطرة على شعوب العالم الثالث ..

وبالرغم من عدم تخصصى أذكر بعلا آخر وهو البعد الإعلامى يعنى نجد أن البعد الإعلامى وصل إلى درجة أن تبين شعوب العالم الثالث وشبابها شعارات العداة .

أنا أستاذ فى جامعة الإسكندرية وأجد أن تلاميذى - طبعاً فى حصار شديد من الفكر الحر فى مجتمعنا المعاصر بيتبنى شعارات الاعلاء العقل اليهودى

الجبار - والذي لا جدال في قدراته - وبدليل أنه كمثل يياخدوا جوائز نوبل ..
وأخرها حتى جوائز نوبل الأخيرة في الكيمياء والطب وطبعا السلام أعطيت
لواحد صهيوني .

طبعا في أيام ابن خلدون والرازي وجابر بن حيان ما كانش فيه جائزة نوبل
ولم أسمع بيهودي عراقى أو يهودى يبنى أو يهودى مصرى حصل على جائزة
نوبل .

ما أريد أن أقول إن البعد الإعلامى ويساعد في ذلك غياب الديموقراطية
التي أراد أحد الشباب التركيز عليها .. وبمساعدة القوى المسيطرة الداخلية -
يرتفع الاستعمار أو الامبريالية في فرض هيمنتها الإعلامية لدرجة تبني شعارات
الأعداء وذكرت هنا فقط كمثل .

أما البعد العلمى وهو الأكثر خطورة .. فنحن نعيش الآن عصر التقدم
العلمى في كافة المجالات .. يعنى البعض يتحدث عن القنبلة الذرية وكأنها
أخطر المخاطر .. في نظرى أن التقدم في البيولوجيا والتحكم في الإنسان ودكائه
هو أخطر كثيرا من القنبلة الذرية .. فيجب أن نستقرئ المستقبل ونجد فيه أن
التحكم العلمى في شعوب العالم الثالث رهيب .. في هذا المجال نجد أن هناك
تمثيلية في العالم الثالث نسميها جامعات وبحوث علمية وغيره .. طبعا هذا
لا يمنع أن يكون فيه بعض عناصر يقوم بجهود علمية .. حتى هذا النشاط
وهذا الإنتاج لا تعود فائدته على العالم الثالث وإنما تكون فائدته في الدول
المسيطرة المهيمنة بصورة حقيقية على هذه الشعوب .

حتى الشعارات التكنولوجية الحديثة مثل الكمبيوتر أصبحت الآن أداة
للتخلف .. هناك إعلانات عن الكمبيوتر في بلد كمصر بتباع وتشتري ، ولكن
قليلين جدا الذين يستخدمون الكمبيوتر لأنه لا توجد بيانات علمية عشان
أدخلها الكمبيوتر وأستفيد منها ، فتصبح أدوات التكنولوجيا الحديثة أدوات
للتخلف .

المفاعلات النووية مثل آخر : فأحد الشعارات الجديدة ، دخول عصر الطاقة النووية كما دخلنا عصر الاليكترونيات وغيره ، حيث تصبح التكنولوجيا أداة لتعميق التبعية .. لتعميق تبعية شعوب العالم الثالث ، وهي تعرض بالطبع على أنها خطوات إيجابية وخطوات تقدمية ..

ومن هنا نجد أن السلطة المهيمنة في الداخل تتواطأ وتتعاون - عن وعى أو غير وعى - وهذا لا يهم أكاديميا - مع السلطة المهيمنة الخارجية في تكميل والتحكم في الشعوب .. وبهذه الطريقة لا يصبح أبناء شعوب العالم الثالث يقظين كما كانوا أيام السويس .. بالعكس يبدوون سعداء ، ويرددون شعارات أعدائهم .

إن الخطر الرهيب الذى يواجهه الشعب المصرى بالذات هو التطبيع إما سعى بالتطبيع مع المؤسسة الصهيونية الإرهابية - لأن فعلا هى مؤسسة إرهابية - يتم تحت شعار التعاون في مجالات العلم .. حتى إسرائيل تعمل لنا قبلة ذرية صغيرة .. وفيه مقالات الآن بتنشر عن هذا الموضوع !!

وشكرا كثيرا لإتاحة الفرصة ، ،

الغرب والسيطرة الإعلامية

الأستاذ هيكل : طيب .. غريب جدا أن تتراحم الأمور قرب النهاية .. صبرا .. صبرا على مهل ..

أولا .. أولا .. لئن كان الدور على محمد سيد أحمد طبيعيا .. لكن لأن أول سيدة طلبت الكلمة فأنا قطعاً سأعطيها الكلمة .. حيث نريد أن نسمع صوتا مختلفا .. تفضلى .. دكتورة عواطف عبد الرحمن ..

الدكتورة عواطف عبد الرحمن : لا أنا معترضة على .. لأن حضرتك على حكاية أول ست ..

الأستاذ هيكل : لماذا ؟ .. طيب أول الأساتذة .. تعالى .. كما تريد

أو أقول تفضلي .. أنا كنت من بادئ الأمر أن لا أحد ..
الدكتورة عواطف : لا أنا معترضة .. لأن على فكرة حضرتك ..
لأكمواطنة يعنى .

الأستاذ هيكمل : لا بأس .. كمواطنة .. لا فائدة .. السيدات شديدي
المراس .. طيب الدكاترة شديدي المراس ..
الدكتورة عواطف : شكرا سيادة الرئيس ..

أحبي اللجنة المصرية التي أشرف بالانتماء إليها لإقامة هذه الندوة ورغم
أنها أسمعتنا من خلال أربع جلسات إلى الآن الصوت الغربي وهذا مفيد جدا
لنا كدروس وكمحاولة للتعرف على كيف يفكر الغرب في العالم الثالث .. وفي
مصر بالتحديد من خلال المحكات الوطنية الرئيسية التي دخلنا في صراعات
ومن خلالها أعيد تشكيل خريطة العالم الثالث على ضوء نتائج هذه الحروب
وأوها العدوان الثلاثي أو حرب السويس .. وقد تابعت الندوة ، وحاولت أن
أكون مستمعة جيدة .. وأمتنع تماما عن أى تعليق إلى أن أرى النهاية .. ولكن
للأسف الشديد أن كلمة مسيو كلود جوليان بقدر ما كانت مفيدة .. ولكن
كانت تحتوى على قدر من الاستفزاز غير العادى لى كمواطنة منصرية أولا
وكمواطنة أنتمى إلى العالم الثالث ..

فما خفف قليلا من الاستفزاز أن الزميل الفاضل الدكتور محمود
عبد الفضيل قام بتوضيح بعض النقاط التي رفعت صوت العالم الثالث .. بأن
نحن على الضفة الأخرى نفكر بصورة مختلفة لأن الظلم الذى يقع علينا
كشعوب وكمواطنين منذ عدة قرون ويجعل صوتنا خافتا وعندما يسمح لنا ..
لا يسمح لنا إلا بالتحدث فى الإطار الذى توافق عليه أيضا النخبة الوطنية
المرتبطة بالغرب .. أو المرتبطة بصورة أو بأخرى ببعض القيادات الفكرية فى
الغرب ..

وأما الصوت المخالف .. فهو إلى حد كبير لا يسمح له بأى شكل من

الأشكال . فاسمحوا لي أن أضيف إلى آليات الهيمنة والسيطرة الغربية التي أشار إليها باقتدار شديد وباختصار الزميل محمود عبد الفضيل .. هو ركز على الآليات الاقتصادية .. وطبعاً هناك الآليات العسكرية والآليات الإعلامية والآليات الثقافية .. وأنا سوف أركز على الجزء الأخير لأن هذا يدخل في إطار تخصصي ..

فأنا أنبه السادة الحاضرين إلى حقيقة هامة : أنه بعد أن يتم السيطرة على الموارد الطبيعية والمواقع الاستراتيجية .. أخطر شيء يمهّد استمرار السيطرة من جانب الغرب .. والتبعية من جانب دول العالم الثالث هو الاستيلاء على العقل ..

والاستيلاء على العقل يتم من خلال جهازين أساسيين : جهاز التعليم وجهاز الإعلام .. بالإضافة إلى الدور الخطير الذي تقوم به مراكز الثقافة الأجنبية في دول العالم الثالث .

بالنسبة للسيطرة الإعلامية سوف أركز على ثلاث نقاط : النقطة الأولى هي سيطرة وكالات الأنباء العالمية .. هي تقال إنها عالمية لأنها تنتمي إلى الفترة التاريخية التي قبل الاستقلال .. قبل استقلال دول العالم الثالث .. وهي أربع وكالات البريطانية والفرنسية ووكالتان أمريكيتان وطبعاً نضيف إليهم وكالة تاس رغم أن وكالة تاس ثبت علمياً أنه ليس لها دور لأسباب عديدة لأنها تلتزم بنظرية إعلامية تختلف عن النظرية الإعلامية الغربية .

النقطة الثانية التي أشير إليها في مجال السيطرة الإعلامية الغربية على دول العالم الثالث .. هي تبعية الكوادر الإعلامية .. وأعني بها النخبة المثقفة .. فلا يزال .. النخبة المثقفة .. وفي مصر بالتحديد .. عدد كبير منها وبالذات الصحفيون المصريون .. لا يزال الغرب هو الكعبة التي يحجون إليها .. ولا يزال النموذج الغربي هو النموذج الوحيد السائد .. وكل محاولات .. أي محاولة يقوم بها البعض لطرح نموذج مخالف .. طبعاً تقمع بكل الأساليب الذكية والمعلنة والحفية ولا يتاح لها أن تظهر ..

النقطة الثالثة : أن الجهاز الشعبي الذى يمثل الإعلاميين وهو يمثل نقابة الصحفيين بالنسبة لمصر أو الروابط الإعلامية الأخرى فى دول العالم الثالث يعتبر تابعا تبعية مطلقة للسلطة ..

وشكرا ...

المكاسب التى تآكلت

الأستاذ محمود توفيق : المتكلم محمود توفيق سكرتير عام اللجنة المصرية للتضامن .. لاشك أننا استفدنا كثيرا جدا من البحوث القيمة والتحليلات العلمية التاريخية الدقيقة التى تفضل بها كل المتحدثين فى هذه الجلسة والجلسات السابقة .

ولاشك أن هذه الأحاديث والمناقشات قد أحييت فى ذاكرتنا تلك الفترة الزاهية فى تاريخ مصر والتى كانت بداية .. أحداث السويس وما تلاها .. كانت بداية لانبعث حركة التحرر الوطنى فيما يسمى الآن بالعالم الثالث وفى حصول كثير من بلدان هذا العالم على استقلالها الوطنى السياسى والاقتصادى والثقافى .. الخ ..

نحن دخلنا عميقا فى بحور البحث التاريخى واستفدنا كثيرا من هذه الزاوية وأنا أختلف مع الدكتورة عواطف فيما قالت عن كلمة الأستاذ كلود جوليان .. فأنا شخصيا أحسست أن كلامه قد أسدى خدمة كبيرة جدا لهذه الندوة .. ذلك أنه استطاع بكلمة أن ينقلنا من إطار البحث التاريخى إلى النقطة الثانية فى أغراض الندوة وهى الدروس المستفادة من هذا البحث التاريخى ..

ولاشك أنه قد ألقى ضوءا ساطعا على حقائق عصرنا الحاضر .. وحتى نكون صريحين مع أنفسنا يجب أن نقرر أن ثلاثين عاما مضت منذ حرب السويس وتأميم قناة السويس .. كانت دورة كاملة من دورات حركة التاريخ بالنسبة للعالم الثالث ..

في خلال الثلاثين عاما هذه .. حصلت كثير من بلدان العالم الثالث على استقلالها الوطني .. ووضعت يدها على ثرواتها الطبيعية ..

حدث تقدم كبير في الوضع العالمي فيما يتعلق بحركة عدم الانحياز .. وظهور طرف آخر في الصراع الدولي يمكن أن يلعب دورا هاما في الحفاظ على السلام العالمي وفي إقامة توازن في المحيط العالمي ..

ولكن خلال الثلاثين عاما تأكلت معظم هذه المكاسب .. كثير من الدول التي حصلت على استقلالها الوطني قد فقدت هذا الاستقلال .. بأشكال مختلفة أهمها في النهاية هو الشكل الاقتصادي الذي تحدث عنه الأستاذ جوليان .. كثير من هذه البلدان كادت أن تكون قد أُلقت راية الاستقلال الوطني في البحر مقابل بضعة دولارات أو آلاف أو مليارات إلى آخره .. العامل الاقتصادي عاد فسلب نتائج النضال الذي خاضته هذه الشعوب في الحقبة التي تلت حرب السويس ..

هذا هو الواقع ..

أيضا حركة التقدم والتنمية الاقتصادية في معظم هذه البلدان قد توقفت أو تعثرت ووسائل التنمية أخذت تتباطأ تدريجيا حتى كادت أن تتوقف تماما .

مستويات المعيشة في بلاد العالم الثالث تنخفض باستمرار .. وصلت إلى أن قارة أفريقيا جاعت .. بل وعطشت .. يعني لم تعان الجوع فقط بل تعانى الجوع إلى الماء ..

يعني فيه تدهور كبير في الوضع العالمي منذ الانبعاث والانطلاقة التي أعقبت حرب السويس والتي لعبت حرب السويس دور المفجر لها على نطاق العالم الثالث كله ..

من أجل أن تكتسب كلمات الأستاذ جوليان أهمية كبيرة لأنها تلقى ضوءا ساطعا على الوضع المأساوي الذي تعيشه بلدان التحرر الوطني وتعيشه بلدان العالم الثالث الآن ..

يكنى أن نعرف - وحضراتكم تعرفون هذا أكثر مما أعرفه - أن ديون العالم الثالث .. الديون الواقعة على كاهل العالم الثالث الآن .. تريد على ألف مليار دولار.. ويقال إنها ١٢٠٠ مليار دولار..

طبعا بجميع المقاييس - إذا وضعنا في الاعتبار قدرات بلدان العالم الثالث التي تتحمل بهذه الديون - فهنا تكبيل بسلاسل من حديد .. لن تستطيع هذه الدول أن تفي بفوائدها هذه الديون إلا بديون جديدة .. فالحلقة مفزعة وهي تزداد بشكل مستمر .. ومعنى هذا أن استقلال هذه البلدان يتضاءل يوما بعد يوم ..

التوافق المتكافئ والمتبادل

الأستاذ محمد سيد أحمد : اسمحوا لي أن أتحديث بالإنجليزية ..

وقبل كل شيء أود أن أقول كلمة تتعلق بالدكتورة عواطف فأنا أعتقد أنها أخطأت تماما فهم ما قاله مسيو كلود جوليان .. لأنني لا أرى إطلاقا فيما قاله المسيو كلود أي شيء يستوجب وصفها له بأنه فيه «استفزاز» .. لا يمكن أبدا التوفيق بين هذا الوصف وبين ما قاله كلود جوليان بالمره .. فإما أن تكون كلمة كلود جوليان قد عرضت على مستوى عال من العمق أو أن تكون الترجمة العربية لها قد جانها الصواب ..
والآن لتخطي هذه المسألة ..

ولتساءل ما هي المشكلة .. على الأقل بعد مضي ثلاثين عاما على تأميم قناة السويس ..

أنا أعتقد أن تأميم قناة السويس عندما حدث - منذ ثلاثين عاما مضت - كان بمثابة نقطة الانطلاق لاستقلال العالم الثالث في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية .. إن هذا الحدث قد قال ولأول مرة بصراحة ووضوح إن الحصول على الاستقلال ممكن .. ولأنها قالت ذلك بمنتهى الوضوح

والتحديد .. فإنها قد أظهرت وجه الحقيقة بأن هناك حدودا للاستقلال .. وأن الاستعمار الإمبريالي ليس هو العقبة الوحيدة التي تقف في طريق الاستقلال .. وأن هناك تعبيراً جديداً عن تلك الحدود .. وهو الذى نسميه « التوافق المتبادل والمتكافىء » .. ولا يمكن أن يكون هناك استقلال إذا ما أسقطنا هذا التوافق المتكافىء والمتبادل وهذه كلمة حديثة متطورة .. وهى تعنى أن هناك صيغة جديدة للاستقلال يقوم بين دول متكافئة متساوية تتبادل فيما بينها الاعتماد على بعضها ..

ومع الحركة الهائلة ومع التطور العظيم وقع الانتصار على الاستعمار الذى كان .. كان الاستقلال ممكناً .. وأمكن الحصول عليه من خلال موجة عارمة .. ولكن هذا الاستقلال اصطدم بالحدود .. وبعض هذه الحدود تناولناها هنا .. وأعتقد أن مناقشة هذه الحدود هى المشكلة التى يجب أن نتناولها .. إن الازمة - كما تكلمنا هنا عنها - هى فى كيفية تناولنا اليوم لأزمة السويس كما حدثت فى وقتها ..

إذن فإن هذه الحدود التى تحاصر الاستقلال هى القضية التى يجب علينا اليوم أن نبلورها وأن نركز عليها ..

فمثلاً عندما نتكلم عن بعض هذه الحدود ولناخذ ظروف السبعينيات للعرب بعد النكسة لم تكن القوة الغاشمة ولم تكن الهزيمة هى التى أهدرت الطموحات الهائلة والتطلعات الرائعة والآمال العريضة التى أطلقتها عملية السويس فى العالم الثالث ..

مع العصا كانت هناك الجزرة .. ومع القوة الغاشمة كان هناك الاغراء .. مثلاً أموال البترول التى تدفقت ماذا كان أثرها هل استطاعت أن توطد للاستقلال أم أنها وفرت صيغة جديدة للتبعية ؟

أين هو إذن الاستقلال ؟ ! ..

أين هى حصانة الدولة التى تحمى استقلالها ؟ ! ..

أين هي أداة الدولة التي تستطيع أن تحمى بها استقلالها في عالمنا
الراهن ؟ ! ..

نحن نتكلم عن الإرهاب ! .. ما هو الإرهاب اليوم ؟ ! ..
أنا أعتقد أن الإرهاب اليوم ما هو إلا تناول السياسة بوسيلة أخرى عندما
لا يستطيع المرء أن يمتلك القدرات على الحرب .. إنه عنصر من العناصر التي
يقوم عليها عالمنا الحاضر ..

نحن نتكلم عن نزع السلاح !! ..

أين هو الأمن بدون نزع السلاح ؟ ! .. هل فكرنا في ذلك ؟ .. هل
فكرنا فعلا في ذلك ؟ ! .. هل تم الوصول إلى إجراء في هذا الصدد ؟ ! ..

كلنا نتكلم عن تخفيض حجم الصواريخ إلى ٥٠٪ من حجمها
الراهن ! .. كيف يكون العالم عندما يتم ذلك ؟ ! ..

إن الدولة المعاصرة قائمة على سباق التسلح ! ..

إن الدولة المعاصرة تقوم على سباق التسلح وليس على نزع السلاح ! ..
ماذا يكون عليه البناء العالمي في مواجهة هذه المشاكل المستحدثة والتي تعتبر
ضرورة قصوى لبقائنا على قيد الحياة ..

ما هو الموقف حيال قانون تصاعد الفوارق وتزايد عدم المساواة والتكافؤ ..

إن عدم المساواة وعدم التكافؤ يتزايد يوما بعد يوم في هذا العالم .. حتى في
مرحلة الاستقلال .. فإذا نحن فاعلون تجاه هذا الاحتلال المتزايد في عدم
التكافؤ بين الدول ..

كيف نتغلب على هذا ؟ ! ..

كيف يمكن أن يكون الضعيف شريكا مساويا للقوى .. في الوقت الذي
يزداد فيه القوى قوة ويزداد فيه الضعيف ضعفا ..

هذه المساواة وهذا التكافؤ الضروريان لأى مفاوضات مجدية ..
كيف ؟ ! .. كيف ؟ ! ..

كل هذا فى رأى هو مناقشة قضية سويس اليوم .. أن نضع كل هذه
المشاكل على مائدة البحث ..

وأشكركم ، ، ،

الأستاذ هيكل : مع اعتذارى لجميع طالبي الكلمة .. مازال لدى حوالى
عشرة طلبات سأسلمهم للصديق الكرم الأستاذ منصور حسن .. وله أن
يتصرف بعد الظهر .. حيث يحيط بعضها ضغوط لا تقاوم ..

يسألنى أحمد طه قائلاً .. ألا يتسع المجال لعامل لكى يتكلم ؟ ! ..
والدكتور ميلاد حنا يسأل عما إذا كان هناك مسكن للإسكان كله ؟ ! ..
وهكذا هناك الكثير ..

جلسة بعد الظهر الساعة الخامسة .. والمتحدثون فيها الأستاذ أحمد
عبد الرحمن عن منظمة التحرير الفلسطينية .. والأستاذ أمين هويدى .. شىء
رائع .. وإذن سوف نجلس لنستمع ، حيث ستثار مناقشات كثيرة جلا ..

الجلسة الرابعة

رئيس الجلسة : منصور حسن

القسم الأول

العرب وتأميم القناة

كلمة أحمد عبد الرحمن

« معركة سيناء لم يكن ميلانها سيناء والقناة ويورسعيد فقط ، بل كان ميلانها الوطن العربي كله ، حيث لأول مرة في تاريخنا المعاصر ، يفرض الغليان الجماهيري ، حتى على الأنظمة الموالية للغرب ، أن تقطع البترول ، وأن تقطع العلاقات مع بريطانيا وفرنسا ، وإذا كان نوري السعيد لجأ إلى فرض الأحكام العرفية لقمع الإرادة الشعبية في العراق ، فإن شعب العراق لم يمهله أكثر من ستين حتى يطيح به . »

- بغياب مصر بنهار الوضع العربي كله كما نشاهد الآن حيث تعود الامبريالية الأمريكية للسيطرة على الأرض العربية .
- السياسات الهدية بعد وفاة عبد الناصر كانت نقيضاً وطنياً قومياً للبرنامج الناصري القائم على مواجهة الامبريالية والصهيونية .

الأستاذ منصور حسن : بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ الجلسة الرابعة في هذه الندوة الهامة حيث نطرح موضوع : « العرب
وتأميم القناة » .. ثم « تأميم قناة السويس واستخلام القوة » ..
يقدم موضوع العرب وتأميم القناة الأخ أحمد عبد الرحمن المتحدث الرسمي
باسم منظمة التحرير الفلسطينية ..

وإذا سمح لي بدقائق من وقته .. فلعلنا في هذه الظروف من التشتت والضياح
العربي الذي نشعر به جميعا .. قد يلتبس علينا الأمر .. إذا طرحنا موضوع العرب
وتأميم القناة كموضوع في سياق الموضوعات الأخرى .. موقف الاتحاد السوفيتي
وموقف الولايات المتحدة .. الرؤية الأوربية .. الأفريقية الآسيوية .. فقد يبدو
لللبعض أننا نعالج موضوع العرب وتأميم القناة معالجة أن العرب طرف خارجي من
الموضوع نفسه .. رغم أنني لا أشك أن الكثير منا يعلم تماما أن موضوع العرب
بالنسبة لمعركة تأميم القناة موضوع عضوي وكأننا نتحدث عن مصر وتأميم القناة ..

فلا شك أننا نستطيع أن نتلمس بكل وضوح العامل العربي في معركة
القناة .. في الدافع .. وأثناء المعركة .. وفي الآثار جميعا .. لأن قبل كل شيء
وبعد كل شيء .. لأن الذي أمم القناة هو الزعيم جمال عبد الناصر في ذلك الوقت
كان قد دخل عميقا في دور لا كزعيم للثورة المصرية فحسب وإنما تحظى هذا
الحاجز وقاد الثورة الشعبية في مصر التي قامت في ٢٣ يوليو إلى مصها الطبيعي
والحقيقي وهو تيار القومية العربية كتيار سياسي ارتبطت به مصر منذ ذلك
الوقت ..

لاستطيع أن ننظر إلى معركة تأميم القناة بعيدا عن معركة حلف بغداد .. في إطار القومية العربية .. ولا بعيدا عن تنوع مصادر السلاح وكسر احتكار السلاح بعد ذلك .. ولو كان القرار مصرى فقط بالمفهوم الإقليمي قد أجازف بالقول مستعيرا تعبير الأستاذ هينكل إذا قلت إنه ربما كانت المعركة أخذت طابع مختلف وربما ما كانت أثار هذا الدوى وهذه الآثار الكبرى التي أثارها في ذلك الوقت وما تركته بعد ذلك ..

أعتقد أننا ربما سنلمس هذا العامل جليا فيما يتفضل به الأخ أحمد عبد الرحمن في عوامل مباشرة وغير مباشرة ..
فليتفضل ..

أحمد عبد الرحمن : أشكر الأستاذ منصور حسن على هذا التقديم الذي أراحني من كثير مما كنت أود قوله .. وأتوجه بالشكر إلى لجنة التضامن التي أتاحت لنا هذه الفرصة للالتقاء برجال الفكر والسياسة في مصر .. فلنأبدا مصر هي البداية ومصر هي النهاية ..

فيما أود أن أقوله أمامكم لم أتقيد بفترة تاريخية محددة هي عام ١٩٥٦ .. ومعركة السويس .. ودور الجماهير العربية في هذه المعركة .. بل أردت أن استتج وأن أبنى على ما حدث في السويس علاقة عضوية وتاريخية تقوم بين مصر وبين الأمة العربية ...

العرب ومعركة السويس

أضحت العودة إلى معاركنا الوطنية والقومية ضد قوى الاستعمار القديم والحديث وضد «إسرائيل» والصهيونية العالمية ، واستخلاص دروس هذه المعارك وعبرها ، ضرورة وطنية وقومية ملحة ، أمام انسداد الآفاق في وجه قوى الثورة واستفحال المأزق القومي ، وتراجع قوى التحرر الوطني ، والديموقراطي تحت ضربات القوى الإمبريالية والصهيونية والرجعية ، ويمكننا الآن أن نتحدث

بكل بساطة عن تبعية سياسية واقتصادية كاملة تتحكم بالقرار الغربي ، تبعية
للالامبريالية الأمريكية ، تدور في فلكها ، وبمقدار دورانها بمقدار ماتشكل قوة
انقضااض لاجتثاث الاستقلال الوطنى والديموقراطى ، فالامبريالية ، تمكنت من
إيجاد ركائز قوية لسلطانها فى وطننا العربى ، تحت يافطة استقلال شكلى زائف
وتبعية موضوعية كاملة فى السياسة وفى الاقتصاد وفى الثقافة ..

إن العودة إلى معركة السويس باعتبارها ذروة المد القومى واستقراء وقائعها
واستخلاص دروسها ، هى واحدة من المحاولات الجارية على مستوى القوى
السياسية الوطنية والمثقفين العرب ، للوقوف على العوامل والشروط التى وفرها
عبد الناصر ، حتى خاض معركة السويس بنجاح ، وخرج منها منتصرا ، ضد
قوتين عظيمتين ، وقاعدة للامبريالية هى إسرائيل تقوم بدور كلب الحراسة على
مصالح الغرب فى بلادنا ، ألا وهى «إسرائيل» العدوانية .

إن معركة السويس التى قادها عبد الناصر بنجاح لم تأت من فراغ ، بل
سبقها معارك عدة ، حقق فيها عبد الناصر نجاحا باهرا ، وهى معركة الجلاء ،
ومعركة كسراحتكار السلاح ، ومعركة الأحلاف ومعركة الحياد الإيجابى ، وفى
كل هذه المعارك التى سبقت معركة السويس ، كان عبد الناصر ينفذ برنامجا وطنيا
وقوميا تؤمن به الجماهير المصرية والعربية ، وقد ناضلت لتحقيقه طوال سنوات
طويلة ، دون أن تتمكن من النجاح ، ولكن مع قيادة عبد الناصر أخذ هذا
البرنامج الوطنى والقومى والديموقراطى كذلك طريقه إلى التنفيذ العملى ..

لقد تقدم عبد الناصر وجماهير مصر والجماهير العربية حاملا ذات البرنامج
المعطل على يد القدرات الرسمية والقوى السياسية السائدة فى ذلك الوقت ،
وبالتالى فاللقاء الذى تم فى معركة السويس بين عبد الناصر والجماهير العربية ،
كان على أرضية برنامج للتحرر الوطنى الديموقراطى ، فمعركة السويس لم يكن
ميدانها سيناء والقناة وبورسعيد فقط بل كان يتطلبها الوطن العربى كله ، حيث
لأول مرة فى تاريخنا المعاصر ، يفرض الغليان الجماهيرى حتى على الأنظمة الموالية

للغرب أن تدين العدوان الثلاثي وأن تقطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا ، وإذا كان نوري السعيد لجأ إلى فرض الأحكام العرفية ، لقمع الإرادة الشعبية في العراق ، فإن شعب العراق لم يمهله أكثر من سنتين حتى يطيح به ويطيح بحلف بغداد المشنوم .

معركة قومية

أهمية معركة السويس تنبع في الأساس من كونها أول معركة عربية شاملة ضد قوى الاستعمار القديم ومعها إسرائيل ، وفي تقديري أنها لو اقتصر على مصر وحدها ، ربما تكون النتائج قد اختلفت ، إلى هنا الحد أو ذاك . معركة قومية استمرت متصاعدة حتى جلاء آخر جندي بريطاني وفرنسي عن أرض مصر ، وخروج المعتدين الإسرائيليين من سيناء وقطاع غزة ، وفي وجه المعتدين أطلق عبد الناصر إرادته الصلبة ، ونفخ روح المقاومة في الجماهير العربية ، وتحولت بورسعيد إلى رمز مقاوم ومثلاً يحتذى ، ودخلت كل بيت عربي ، لتشجذ الإرادة والتصميم على القتال ، وجرى قطع النفط عن الغرب وإغلاق الموانئ العربية في وجه السفن الأجنبية التابعة للذول العدوان ، واستمر اضطراب الجماهير العربية ومظاهراتها طوال أيام العدوان وبعده ، لتشكّل بذلك أكبر قوة بيد قيادة جمال عبد الناصر ، وهي تقود معركة ضد العدوان وإسقاط نتائجه .

إن الدرس المستفاد من معركة السويس هو هذا اللقاء بين عبد الناصر والجماهير العربية ، التي تحولت لأول مرة إلى قوة فاعلة وحاسمة في صنع الأحداث .

لقد خرج عبد الناصر من معركة السويس بطلا قوميا وقائدا ميلانيا للجماهير العربية ، فقد تحدى الغرب الاستعماري وانتصر عليه ، فالغرب الاستعماري الذي استعمر العرب وأظلم ، وقيدهم بالمعاهدات المجحفة ، فأقام المستعمرة الصهيونية المسماة « إسرائيل » على أنقاض بلد عربي هو فلسطين وشعب عربي هو الشعب الفلسطيني ، رأته الجماهير العربية وهو يخرج مهزوما مجروحا مدحورا من معركة

السويس ، إن انتصار السويس هو انتصار مدولهذه الجماهير المقهورة والمسحوقة من الاستعمار ومن الأنظمة الرجعية العميلة للغرب ، فالجماهير العربية التي كانت مسحوقة ومستلبة ومنسية تحولت بفضل قيادة عبد الناصر وبرنامجه الوطني والديمقراطي إلى قوة فعل حقيقية ، ولا يمكن تصحيح الوضع اليوم بوضع العربة أمام الحصان ، بل المنطق والتاريخ يقولان بأنه يجب وضع الحصان المصرى أمام العربة العربية .

في معركة السويس ، لم تكن معركة القيادة الناصرية معركة مصرية بالمعنى الضيق ، بل كانت معركة عربية ، والأسباب الحقيقية لهذه المعركة هي في حقيقتها أسباب عربية ، وبالذقة نعود إلى الاستراتيجية العربية التي وضعها عبد الناصر لمصر ، واضعا الحصان أمام العربة ، إن فرنسا حاربت الثورة الجزائرية في قناة السويس خسرت حرب الجزائر في معركة السويس أولا ، وبريطانيا حاربت دفاعا عن حلف بغداد وعدن والخليج في معركة السويس ، وقد خسرت مواقعها هذه ، بخسارتها معركة السويس ، أمام عبد الناصر .

قائدة النضال العربي

إن مصر ليست فقط أكبر دولة عربية بل هي العمود الفقري والرأس المفكر للأمة العربية ، إن مصر تعرب لعرب ، والعكس ليس صحيحا ، وبالتالي فمصر اليوم كما كانت دائما ، هي قائدة النضال العربي ، هي الحلقة المركزية ، وبغيابها عن دورها ، ينهار الوضع العربي كله ، كما نشاهد الآن ، إن الامبريالية الأمريكية تعود اليوم للسيطرة على الأرض العربية ، على حساب دور مصر القومي ، ونضالات شعب مصر من أجل استعادة وحدة العرب بقيادة جمال عبد الناصر. إن دور مصر القومي هو وحده الحتمية التاريخية في وطننا العربي وانعزال مصر وابتعادها عن دورها القومي ليس إلا خروجا على قوانين التاريخ والحياة .

ويكفي عبد الناصر أنه ترك وراءه لشعب مصر ولقواه السياسية إنجازين تاريخيين ، لا يمكن إسقاطها فيما يسقط .

الأول : مشروعه القومى لتوحيد العرب .

الثانى : وحدة الجماهير العربية لتحقيق وإنجاز مهام هذا المشروع القومى .

ويجب ألا يعمينا السواد الحالك فى المحيط العربى ، عن رؤية حقيقة « وحدة الجماهير العربية وراء برنامج عبد الناصر ومشروعه القومى ، وحزب عبد الناصر الكبير الممثل فى الشعب الفلسطينى والمقاومة الفلسطينية ، مازال يحتفظ بمواقفه السياسية والجماهيرية العربية ، كامتداد قومى للناصرية وللبرنامج الناصرى ، ومع الحركة الأولى للرافعة المصرية ، تبدأ الحياة تدور دورتها الطبيعية فى أمتنا العربية ، ولعله صار ضرورة وطنية مصرية أولاً أن ينصب اهتمام القوى السياسية المصرية المؤمنة بدور مصر القومى ، على إزالة الركام عن هذه الأرضية الصلبة التى بناها عبد الناصر ، ليشيد فوقها الدور القومى لمصر ، إن وحدة الجماهير العربية التى شكلت هذه الأرضية الصلبة للوحدة الفورية كما ناضل فى سبيلها جمال عبد الناصر ، هى قوة مصر الأساسية والحاسمة تجاه العدو الخارجى وتجاه القوى التقليدية العربية ، ولا يمكن لمصر أن تلعب دوراً قومياً تاريخياً بدون تسليح هذه الجماهير ببرنامج للكفاح الوطنى والقومى ومن أجل الوحدة .

أليس هناك دلالة عملية حاسمة أن الجماهير العربية التى وحدها عبد الناصر فى معركة السويس ، لازالت حتى اليوم تحكم على الأوضاع والأحداث والسياسات الراهنة بالمعيار الوطنى والقومى الذى وضعه عبد الناصر؟ إن المشروعية الناصرية ، تستمد قوتها واستمرارها وتجدها من كونها مشروعية جماهيرية مصرية وعربية ، وهذه المشروعية لم تمت بموت عبد الناصر ، والحنين الجماهيرى إلى الناصرية ليس سببه تقليداً لشخص عبد الناصر ، أو تقليداً سلفياً موروثاً ، إنه الحنين إلى التوحد مع الذات العربية التى جسدها عبد الناصر ، فى حياته ونضاله وبرنامج ، وتكفى نظرة قصيرة إلى واقع التبعية السائدة لنجد التفسير العلبى الصحيح لاستمرار تمسك الجماهير العربية بالبرنامج الناصرى كطريق للخلاص من الامبريالية ومن التخلف والتمزق القومى .

إن البرامج والسياسات البديلة التي ملأت الفراغ العربي بعد وفاة عبد الناصر ، كانت نقيضا وطنيا وقوميا للبرنامج الناصري ، القائم على مواجهة الامبريالية والصهيونية وهذه البرامج البديلة ، والتي تشكل تراجعا خطيرا إلى الوراء ، لا تحظى بدعم الجماهير العربية ، لأنها في الواقع ليست برنامجا المعادى للإمبريالية والصهيونية . إن برنامج عبد الناصر هو برنامج الساعة ، برنامج اليوم وغدا ، وليس شيئا من الماضي ، إنه برنامج المهام الراهنة والعامة ، فالتحدى الامبريالى الصهيونى للإرادة القومية . يؤكد كل اليوم الحاجة إلى العودة إلى البرنامج الصلدامى ، برنامج المواجهة لا المصالحة ، فما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة .

إن الوضع الراهن على صعيد الصراع الحضارى والتاريخى ضد الإمبريالية والصهيونية والرجعية لا يعدو كونه هدنة مؤقتة فرضتها شراسة الهجوم الإمبريالى - الصهيونى ، الذى أفرز كذلك قوى سياسية عربية يتأثر دورها الراهن فى التبعية للإمبريالية الأمريكية ، مع ذلك الدور التابع الذى مثلته القوى التقليدية فى عهد عبد الناصر .

إسرائيل قاعدة الإمبريالية

ولعلنى لا أود أن أختتم كلمتى هذه بدون التطرق إلى التراث البرنامجى الناصري من مسألة « إسرائيل » كقاعدة للإمبريالية العالمية ، وكوجود مصطنع فرضته القوى الاستعمارية على الأمة العربية ، إن الفضل يعود لعبد الناصر وبرنامجها فى هذه العزلة العالمية التى تعانها « إسرائيل » رغم مرور ما يقرب من أربعين عاما على قيامها ، فى معركة السويس تكشفت حقيقة « إسرائيل » كقاعدة للإمبريالية وككلب حراسة على مصالحها ، ورغم كل الوقائع المخالفة ، فإن الشعوب العربية ترفض « إسرائيل » ، وعلى استعداد دائم لمحاربتها وإلحاق الهزيمة بها ، وتحفظ « إسرائيل » لدى شعوب العالم ودوله ، بوصف « الدولة المنبوذة » مثل النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا ومن قبله نظام أيان سميث فى روديسيا ، وأعتقد أن الجميع يسلمون معنا ، بأن وراء العلاء الاستعمارى

والإمبريالي لعبد الناصر ، يكمن الخوف من دور مؤكد وتاريخي تقوم به مصر في ظل هذا البرنامج ضد هذا الكيان العنصرى البغيض ، وتشير وثائق معركة السويس إلى أن رفض عبد الناصر « لاسرائيل » ، كان السبب فى سحب أمريكا لعرضها بتمويل السد العالى ، والذي كان فاتحة معركة السويس .

إن الجماهير العربية لا يجمعها اليوم غير قضية مركزية واحدة ، هى الموقف من « إسرائيل » ، « فإسرائيل » هى الخطر الداهم والحقيقى للجماهير المشرق العربى ونضيف بعد الغارة الإسرائيلية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس ، إن إسرائيل بذراعها الطويل هذه ، صارت خطرا يهدد جماهير المغرب العربى كذلك .

وأخيرا نقول ..

إن الإمساك بالحلقة المركزية فى الصراع هو الشرط الأساسى والرئيسى لصورة القوى الوطنية والقومية لتلعب دورها الطليعى وتمسك بزمام المبادرة من جديد . ليس المطلوب أن نتذكر عبد الناصر .. بل أن نسير على خطاه ونكمل مسيرته وبرنامجه .

وشكرا لكم ، ، ،

الجلسة الرابعة
القسم الثاني

مناقشات حول موضوع العرب وتأميم القناة كلمة : أحمد عبد الرحمن

شارك في المناقشات :

أديب الجادر - خير الدين حسيب - فاروق أبو عيسى - أحمد صدق الدجاني

- عندما نتكلم عن مصر ونتكلم عن العالم العربي فنحن نتكلم عن التكامل والتوحد وعن منطقتة تفرض عليها كل الظروف أن تتوحد .

- ماذا لو انتظرنا حتى سنة ١٩٦٨ - أى ١٢ سنة - وأخذنا قناة السويس بدون حرب ؟

- فتحت صناديق الأسلحة يندى ولم يكن علينا رقيب ووزعتها بلا كشف .

فاروق أبو عيسى

الأستاذ منصور حسن : نشكر الأخ أحمد عبد الرحمن .. ورغم أن الكلمة كانت قصيرة إلا أنها أثارت كثيرا من الموضوعات والنقاط وبالتالي نفتح الباب للأسئلة أو التعليقات حول هذا الموضوع .. ونود أن ننتهز فرصة وجود بعض الإخوة الأعزاء ، الأخ أديب الجادر والدكتور أحمد صدق الدجاني والدكتور خير الدين حسيب ، وكل منهم كان جديرا أن يتحدث في ندوة مستقلة عن الموضوع العربي بصفة عامة وعن موضوع العامل العربي في معركة السويس . هل يود أحد منهم يتفضل أو يعلق أو يضيف في هذا الموضوع .. أستاذ أديب ؟ ..

عبد الناصر والجماهير العربية

الأستاذ أديب الجادر : شكرا سيادة الرئيس .. الحقيقة هادى مفاجأة لي لكن فرصة على أحب أغتنمها ..

عبد الناصر والعرب .. أو بالأحرى عبد الناصر والجماهير العربية .. لأن عبد الناصر في ٥٦ كان على خلاف مع أغلب الحكومات العربية .. إذن الكلام يجب أن يكون عبد الناصر - كما تكلم الأخ عبد الرحيم - أن يكون عن عبد الناصر والجماهير العربية ..

عبد الناصر ظاهرة تعبير عن هذه الجماهير ولها كانت هذه الجماهير مع عبد الناصر .. عبد الناصر رمز للمقاومة .. رمز لآمال هذه الأمة في التحرر .. فلما جاءت معركة السويس .. الجماهير العربية كانت مستعدة .. عبد الناصر كان في

مقدمة هذه الجاهير فالجاهير بقت مع عبد الناصر ووفية لعبد الناصر لموقفه هذا حتى وفاته في سبتمبر عام ١٩٧٠ ..

هذا هو الدرس الاساسى الذى يجب أن يستفيد منه الحكام العرب قبل الجاهير العربية .. إن عبد الناصر كان معبرا عن هذه الجاهير فإذا قام واحد منهم في يوم من الأيام للتعبير عن آمال هذه الأمة فهذه الجاهير بطبيعتها مع هذا القائد ومع هذا الزعيم ..

لذا فهذه الندوة القيمة أرجو أن تطبع وتنشر لعل واحد من الزعماء العرب يقرأها يوما ما ..

،،،،، وشكرا ،،،،،

الأستاذ منصور حسن : طيب حضرتك اتفضل وأنا عندى سؤال لك بصفتك رئيس مركز الدراسات العربية ودراسات الوحدة العربية ..

أديب الجادر : سيدى الرئيس قبل أن أجاب على سؤالك أحب أقول ملاحظة بس :

لما حدث الاعتداء الثلاثى وتأميم قناة السويس أنا كنت طالب دراسات عليا في مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية .. ومن ضمن الحركة الطلابية اللي قامت بما تستطيع أن تقوم بيه .. وأحب أن أنتهز هذه الفرصة لتحية الضيوف الكرام السادة مايكل فوت وأنتونى ناتنج وأستطيع أن أسترجع الآن ما قام به قطاع كبير من الشعب البريطانى ومن قياداته السياسية فى الوقوف موقف مشرف مع العرب فى تلك المحنة .. كذلك أحب أسجل أنا كنت فى مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية فكان فيه عدد كبير من الطلبة اليهود ومن لإسرائيل .. ومن الصعب أن تتصوروا معنا ..

عبد الناصر قال ارفع رأسك يا أخى .. تأثير هذا ما شعرنا فيه هناك بعد تأميم قناة السويس .. حقيقة كان بإمكاننا لأول مرة أن نرفع رأسنا أمام الطلبة

الآخرين من إسرائيل ومن غير إسرائيل وما من شأنه ..

ملاحظة أخرى فيما يتعلق بتأميم قناة السويس أنا ممن يعتقدون أن قيادة عبد الناصر للأمة العربية اكتملت بتأميم قناة السويس وانتزع القيادة بتأميم قناة السويس واستطاع من خلال تأميم قناة السويس أن يخاطب كل الجماهير العربية متخطيا كل الأنظمة العربية وبالتالي كان هذا تويج وتحول كثير من القوى السياسية .. موقف بعض القوى السياسية في أقطار عربية مختلفة موقفها من عبد الناصر كزعيم مصري إلى زعيم عربي ..

شكرا ، ،

الأستاذ منصور حسن : سؤال من الأستاذ أحمد يحيى : بعد حرب السويس نادى الرئيس عبد الناصر بتوحيد القوى الثورية العربية .. وعمل على ذلك طوال حياته .. والآن هل لازال بالوطن العربي قوى ثورية حقيقية .. وما هو السبيل إلى تجميعها ولا أقول توحيدها ..

أظن ده دراسات وحدة عربية صميمة ..

الأستاذ أديب الجادر : يعنى من الصعب الإجابة على هذا السؤال بهذه العجالة إنما هناك ظاهرة ملحوظة هي سلبية الجماهير العربية .. وبالتالي سلبية القوى الثورية العربية أو ما يسمى بالقوى الثورية العربية مما يحدث الآن ..

ردود فعل الجماهير العربية .. ما يحدث في حرب لبنان .. والغزو الإسرائيلي إلى آخره .. يختلف عما كان يحدث أثناء الاعتداء الثلاثي أثناء ثورة الجزائر إلى آخره .. فلا بد من عودة موضوعية وصرحة مع النفس لأسباب سلبية هذه الجماهير العربية : ماهو دور الأنظمة وأجهزة الكبت ؟ ماهو دور أجهزة الإعلام ؟ ماهو دور الموجة الاستهلاكية والثروة النفطية فيما أدته إلى آخره ؟ ..

من هنا فقط يمكن أن نتلمس طريقنا لإعادة الحيوية للجماهير العربية .. وقبل أن نعيد هذه الحيوية للجماهير العربية من الصعب أن نتكلم عن قوى ثورية ..

شكرا ، ،

مناخ التحرير

الأستاذ منصور حسن : دكتور أحمد صدق الدجاني .. اتفضل ..

الدكتور أحمد صدق الدجاني : شكرا سيدى الرئيس على هذه الدعوة الكريمة وتحية لأخى أحمد عبد الرحمن فى عرضه وطرحه الذى ركز على قضية : أساسية بالغة فى أهميتها ..

أبدأ تعقيبى باستذكار الصورة الرسمية للعالم العربى عام ١٩٥٦ .. إذا نظرنا إلى هذه الصورة على الخريطة سنجد دولا عربية محدودة نالت استقلالها ونجد ثورة لاهبة فى الجزائر ونجد أجزاء عربية أخرى مازالت تحت وطأة الاستعمار .

ومن هنا أنا أنطلق من المنطلق الذى انطلق منه أخى الأستاذ أديب الجادر فى فهم ظاهرة ماحدث من ترابط عربى عام ١٩٥٦ ..

نتنقل من الصورة الرسمية ونتعرف على المناخ السائد .. سنلاحظ أن المناخ السائد فى المنطقة كان هو مناخ التحرير .. حيث تدفقت موجة التحرير فى عالمنا أول ماتدفقت فى وطننا العربى بعد الحرب العالمية الثانية وأخذت مداها فى آسيا وأفريقيا ..

مناخ التحرير هذا عبر حقيقة عن معرفة بالنفس وإمكاناتها وعن معرفة بالغير وخاصة بالعدو .. هذه المعرفة فعلت فعلها فى معركة ١٩٥٦ .. سنلاحظ فيما يخص المناخ مجموعة أمور سبقت فى العامين السابقين لذلك الحدث العظيم ..

أهم ما ظهر فى هذين العامين هو بروز فى مصر العربية .. وبروز القيادات .. ظاهرة تاريخية هامة .. وهى لا تأتى دوما .. ومن هنا يلاحظ عدد من علماء السياسة عبر العصور أنه من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان وعلى الاجتماع الإنسانى : بروز القادة ..

القادة يبرزون فى فترات تاريخية حين يتمثلون المناخ السياسى .. والقيادة فى

مصر آنذاك تمثلت هذا المناخ السياسي وعبرت عنه بالانطلاق في معنى التحرير إلى
مداه ..

على صعيد الذكريات الخاصة وأنا أتابع هنا ما قاله أخى أبو طارق
لأدلك .. كنت في مثل ذلك اليوم في دمشق .. ويومها كنت في الجامعة
السورية - كانت تحمل اسم الجامعة السورية آنذاك .. وفي تلك الفترة نلاحظ أن
سوريا كانت تعيش انتعاشا سياسيا حقيقيا منذ عام ١٩٥٤ تجاوزت فيه
الانقلابات العسكرية وخاضت تجربة سورية ديمقراطية تستحق الدراسة ، ومن
هنا كانت الروح الشعبية قوية جدا .. وكان ينفخ في الروح هذه في سوريا وفي
بقية الأجزاء العربية المثل الجزائرى العظيم .. الذى دل على إمكانية ما يمكن أن
تحققه الجماهير ..

ضمن هذه الظروف .. حدث العدوان .. القيادة أعطت إشارة إرادة
المواجهة .. الجماهير بسرعة تجاوزت مع هذه الإرادة ..

أنتقل هنا نقطة .. لأنى لا أريد أن أفصل .. وأتساءل هل وجدت آلية
عملية تحريك الجماهير ..

نعم كان هناك حد أدنى من المؤسسات السياسية والتنظيمات الشعبية التي
مكنك من تحريك هذه الجماهير في مختلف أقطار وطننا العربى ..

الدرس المستخلص من هذا كله .. هو أن قدرات الجماهير لا حد لها حين
تأتى القيادة التي تستطيع توظيفها .. وحين تبرز القيادة التي تستطيع أن تعطي لها
المثل الأعلى .. والمثل الأعلى آنذاك برز في الجزائر وبرز أيضا في مصر العربية ..
وفي الوطن العربى بكلمة واحدة هي كلمة التحرير ..

وظف هذا المثل الأعلى إلى آخر مدى .. فكانت تلك اللحظة الرائعة ..

أعتقد أننى لست بصدد طرح بديل .. ولكن علينا أن نفكر في كل هذه
المتغيرات إذا كنا بصدد مواجهة عربية في عام ١٩٨٦ لتحقيق مزيد من

الاستقلال الاقتصادى والاجتماعى بهدف مواجهة قوى عاتية وهيمنة إمبريالية
وهيمنة إعلامية وسيطرة أجهزة أقوى وأخطر مما نتوقع وما نتصور..

وشكرا ، ،

أين ممثلو أفريقيا السوداء

الأستاذ منصور حسن : آه اتفضل .. الأستاذ فاروق أبو عيسى ..

فاروق أبو عيسى : شكرا سيدى الرئيس ..

الأخ أحمد حمروش وزملائه فى اللجنة المصرية مشكورين وهم دائما
عودونا على الابتكار والحركة فى اتجاه ما تحتاجه أمتنا العربية وشعوب القارة
الأفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية أيضا .. وإن غاب عنهم وهذا ما آخذهم عليهم -
والشعار تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية أنه ليس بيننا أفريقيا سوى الأفارقة
العرب ..

لم يفكروا فى دعوة أفريقى من أفريقيا السوداء وهذا عيب ألاحظه أرجو أن
تتلافاه مستقبلا خاصة وأنه من الثابت تماما .. أن معركة تأميم قناة السويس كان لها
من الآثار التاريخية على مجمل حركة النضال فى أفريقيا تأثيرا نوعيا بأن أدى بحركة
شعوب القارة الأفريقية من إنجاز عملية التأميم فى أكتوبر ١٩٥٦ بعد ثلاث سنوات
أى عام ٦٠ على وجه التحديد أن استقلت الغالبية العظمى من شعوب أفريقيا
نتيجة تأجيج نضال شعوب هذه القارة لنضالها فى مواجهة الاستعمار القديم الذى
كان مستوطنا فى أقطار أفريقيا بشكل مباشر ..

وهذا ثابت إذ أن عام ١٩٦٠ أصبح معروفا بأنه عام التحرير إذ أن العديد
من شعوب العالم وخاصة الشعوب الأفريقية قد كسبت فيه استقلالها السياسى
وكان ذلك فى تقدير الكثير من العالمين بالدور الذى لعبه عبد الناصر بعد انتصاره
الساحق وإدارته الفذة والعبقرية والناجحة لمعركة تأميم شركة قناة السويس أن
اتجه إلى حركة التحرير الأفريقية ووضع ثقلا كبيرا وقدرات مصرية كبيرة لدعم

هذه الحركة بالمال والسلاح وبالتأييد السياسي وبالتأييد الأدبي ..

وهذه أحد الافرازات الايجابية للإدارة المهنكة لهذه المعركة والنتائج والمردودات الطبيعية لإدارته لتلك المعركة .. إذ أنه ومن خلال صراعه مع القوى الأجنبية إبان تلك الفترة أحس بالدور الكبير والمتعاطم الذي قدمته له تضامنا شعوب القارة الأفريقية وهي في ظل الاستعمار وشعوب العالم أجمع .. فن هنا وصل إلى حقيقة هامة وإن كان قد تبينها في كتاباته السابقة إلا أنه لمسها لمس اليد .. أن هذه الشعوب وكلما تلاقى معها أكثر وكلما اقترب منها عضويا أكثر وأكثر كلما كانت سننا له في نضاله من أجل تحقيق مشروعه المتكامل ليس لمصلحة الأمة العربية فقط ومن أجل مصلحة الوطن العربي فقط بل لمصلحة شعوب العالم الثالث أو ما يسمى سياسيا بحركة التحرر الوطني العالمية .. ولذلك عبد الناصر لم يكن علما من أعلام حركة التحرر أو قائدا من قادة حركة التحرر الوطني العربية بقدر ما أيضا كان قائدا فذا لحركة التحرر الوطني العالمية نتيجة لدوره هذا الذي أخذ يتبلور بشكل أكثر حدة بعد نجاحه في إدارته لمعركة أو أزمة تأميم قناة السويس ..

هذه واحدة .. الثانية هناك بعدا حاولت أن أستشفه من بعض ما استمعت إليه في اليومين السابقين وإن كان قد مس وهناك قليلا ولكن في رأيي هو عنصر مهم كان لابد من التركيز عليه .. وتعرض عليه صديقي الأستاذ محمد حسين هيكلماسا له ولكن يبدو أنه من المهم تسليط أضواء كثيرة عليه لأنه أصبحنا في هذا الزمان الرديء نسمع عن عدم الديمقراطية إبان ممارسة عبد الناصر لإدارته لمعركة التحرير ضد قوى الاستعمار القديم .

وفي هذا لابد أن نتحدث أو أن نسلط الأضواء على هذه القضية قضية إدارة .. أو الجزئية الخاصة بإدارة عبد الناصر لأزمة تأميم قناة السويس ومدى ارتباطها بقضية الديمقراطية .

الجهير والقائد

في تقديري وأنا كنت عندها طالبا بكلية الحقوق بجامعة الإسكندرية - وعندها فضيت مع زملائي بيدي هاتين .. صناديق الأسلحة التي وردت من الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا .. وكما ذكر وعلق أحدنا بالأمس : لم يكن علينا رقيب ونحن نفتح تلك الصناديق وتتوزع بيننا بلا رقيب ولا ورقة أو قلم نتوزع بيننا السلاح .. ننظفه ونحملة ونجد من يعلمنا على كيفية استعماله ..

في رأي الثقة بالجهير وبالمواطن المصري التي وصلت في ذلك الحد .. بالقائد جمال عبد الناصر أن يترك الجهير بنفسها تفض بكاره السلاح وأن توزع السلاح بنفسها .. توزعه على أفرادها دون رقابة حكومية .. هذه قفة الديمقراطية .. هذه قفة الديمقراطية .. العملية الكفاحية المسلحة ضد قوى البغي وضد قوى الطغيان آنذاك هي في حد ذاتها عملية ديموقراطية طالما شاركت فيها الجهير وبإعطائه كل ثقة وبدون وصاية للجهير ..

صحيح الجهير في مصر آنذاك لم تكن منظمة بالشكل الكافي وهذا نقص .. وإن كانت منظمة في بعض البلاد العربية الأخرى بشكل أكثر آنذاك فكان ذلك عنصر مضاف إلى قدرة عبد الناصر وإلى طاقات عبد الناصر التي مكنته من الانتصار في تلك الأزمة ..

لأن البرنامج الناصري حقيقة - المشروع الناصري - هو الموقف الذي لا بد أن يمر عبره كل مناضل إن كان ثوريا .. لا يمكن أن يدعى الثورية أحد دون أن يمر بالناصرية والافتناع بالناصرية .. لأن الناصرية في موقفها ..

الناصرية في كلمات قليلة في جوهرها هي الموقف الثابت الحازم ضد الاستعمار والإمبريالية وضد اسرائيل .. ومن أجل تحرير الوطن العربي بأن تكون كل خيراته لأبنائه ..

هذه هي المسألة .. بمنتهى البساطة .. ودخل عبد الناصر المعارك العديدة في

كل الجهات الاقتصادية والعسكرية والثقافية .. من أجل أن تكون قدرات العرب للأمة العربية متعاوننا مع باقي شعوب الأمة العربية .. قناعة منه بأن النسيج بين النضال المصري والنضال العالمي نسيج لافكك منه ..

لذلك فإن من يدعى الاشتراكية أو التقدمية أو الشيوعية أو ما إلى ذلك .. لا يمكن له إلا أن ينطلق من الدفاع من المشروع الناصري واحتياجنا الماس لإعادة طرح المشروع الناصري الآن مع مراجعة بعض النواقص والسلبيات التي قد لا تتمشى مع تعقيدات الموقف والظروف الحالية التي نعيشها وعلى رأسها موضوع حقوق الإنسان والديموقراطية .. ثقة في المواطن .. وتمكين الجماهير من أن تنظم نفسها بلا وصاية كما فعل عبد الناصر إبان معركة تأمين قناة السويس ..

شكرا سيدى الرئيس .. وأردت بهذا أن أفتح الحديث حول قضية الديمقراطية التي يتحدث عنها بعض المتورين في الخارج غمزا ولزا للإساءة إلى المشروع الناصري .. وأنا أتحدث عنها من هذا الموقع دفاعا عن المشروع الناصري باعتبار أنها في فترة من الفترات وصل المشروع الناصري بأن تعامل مع الديمقراطية في قتها .. بأن ترك السلاح للمواطنين يتوزعون كما يشاءون .. وليس هناك ديموقراطية أكثر من ذلك ..

وإن تراجعت المسألة عن ذلك فهو نقص لا بد لنا أن نرى كيف نعالجه لتكمل المسيرة من جديد ونعيد طرح المشروع بما يتوافر ويتماشى مع ظروف وتعقيدات الحياة الصعبة المعقدة .. التي بدأت ترى جماعات مصالحها وحياتها اليومية مربوطة بالخارج أكثر مما هي مربوطة بالأرض العربية والتراب العربي ..

شكرا مرة ثانية سيدى الرئيس ،،،

الأستاذ منصور حسن : الحقيقة الأخ فاروق سيادتك قلت إنك كان غرضك أنك تفتح .. لاشك انك فتحت الموضوع بطريقة مخلصه ومنطقية وموضوعية ولعلك أشرت إلى المتورين ما اسميتهم بالمتورين الذين يأخذون على الناصرية غياب الديمقراطية ..

لا أدعى أنني أعرف من هم هؤلاء المتورين .. ربما حضرتك تعرفهم أو
تقصدهم .. وبالقطع لا أدعى أنني أدافع عنهم ..

لكن قضية الديمقراطية والناصرية لاشك أنها قضية يطرحها كل وطني
مخلص وعلى رأسهم الناصريون أنفسهم بصفتهم من قة الوطنية في الوطن
العربي ..

وأعتقد يمكن أشرت إليهم في الخارج بصرف النظر أنهم متورين أو غيره ..
لكن من يعتقدون بأن موضوع الديمقراطية في المشروع الناصري كان يعتبر نقصا
مها - لعل كان له ظروفه ومبرراته .. لاشك أنها ممكن تبحث .. لكن محتاج إلى
تكملة فعلا ..

أعتقد أن هؤلاء الناس الذين يأخذون على الناصرية هذا النقص في
الماضي .. يمكن ما كانوا يشعروا يقنعوا الناصريين بأهمية هذا الموضوع بالطريقة
التي حضرتك أقنعتهم بها في عرضك للموضوع ..

موجود معنا المهندس عبد الحميد أبو بكر سكرتير هيئة قناة السويس بعد
التأميم ويطلب الكلمة .. اتفضل ..

الجلسة الرابعة
القسم الثالث

تأميم القناة واستخدام القوة كلمة أمين هويدي

و في تقديري أنه حين بدأت العمليات العسكرية يوم ٢٩ أكتوبر . كان التوزيع الاستراتيجي لقواتنا ممتازا جدا . وكان في يدنا احتياطي كبير جدا . يمكن توجيهه نحو أى نوع من أنواع العمليات يمكن أن نفاجا بها .

- صفقة الأسلحة التشيكية سنة ١٩٥٥ لم تكن كبيرة . ولكن أهميتها أنها كسرت التوازن .
- كيف كان العسكريون يقدرون الموقف أثناء المفاوضات المصرية البريطانية في بداية الثورة ؟
- الاتفاق الثلاثي بين أمريكا وبريطانيا وفرنسا ضمن أن يكون توازن القوى في المنطقة في صالح إسرائيل .

الأستاذ أمين هويدى :

الموضوع الذى سأحدث فيه ، و أزمة السويس واستخدام القوة .

فى الساعات الأولى فى صباح الثلاثاء ١٥ أبريل ٨٦ قامت ١٢٠ طائرة أمريكية من قواعدها فى بريطانيا ومن حاملات الطائرات فى البحر المتوسط بضرب السواحل الليبية ، بغرض القضاء على حكم معمر القذافى رئيس دولة مستقلة ذات سيادة .

وقد حدث نفس الشئ تماما منذ ٣٠ عاما ، حينما بدأ العدوان الثلاثى على مصر ؛ بعملية قاده إسرائيل ، والتي تلتها عملية الموسكىثير البريطانية الفرنسية ، وكان الغرض هو لإنهاء حكم جمال عبد الناصر باستخدام القوة .. وكان عبد الناصر رئيسا لدولة مستقلة ذات سيادة ..

وإذا أسقطنا الفوارق العديدة جدا بين العمليتين ، فإن جوهر الوسائل المستخدمة واحد ، وهو استخدام القوة فى السياسة .. وكان الغرض أيضا واحدا وهو تغيير نظام الحكم فى البلدين .

وبين الحدين تمت عمليات كثيرة استخدمت فيها القوة فى السياسة .. بريطانيا والفولكلاند .. الولايات المتحدة وجرينادا .. نزول القوات الأمريكية فى بيروت أكثر من مرة .. وقبل هذه الأحداث استخدمت القوة .. وبعدها أيضا استخدمت القوة فى السياسة .

فالقوة هى أحد عناصر ممارسة السياسة والسياسة دائما عند ممارستها تمارس على طريقة كلام .. كلام .. قتال .. قتال .

وهناك أحداث أدت إلى أزمة السويس ، أحداث متعاقبة ولا يمكن أن نقول إن أزمة السويس تمت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٦ ، ولكن سبقتها أفعال وردود أفعال كثيرة .

ماهى نقطة الذروة فى أزمة السويس ؟ فى تقديرى أنها كانت معركة كسر احتكار السلاح .. لماذا ؟ لأنها تتعلق بموضوع توازن القوى ، وهو القلب النابض لعملية الصراع ، وللأسف لم أسمع كثيرا أثناء هذه الندوة حديثا عن توازن القوى ، وعن الآلة الجهنمية لإدارة السياسة العالمية وإدارة الصراع العالمى وهو نقل السلاح . والاتفاق الثلاثى الذى تم بين الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا سنة ١٩٥٠ ، كان ينص على أن تتشاور الدول الثلاث تشاورا مستمرا ، حتى لا تخل شحنات الأسلحة التى تنقل إلى الدول المعنية بالتوازن القائم . والتوازن القائم فى تلك الفترة كان إلى جانب إسرائيل .

ودون الدخول فى التفاصيل الخاصة باتفاق السلاح بين مصر وتشيكوسلوفاكيا فى أكتوبر ١٩٥٥ ، أشير إلى أن الوثائق التى ظهرت حتى الآن ، من جانب أمريكا وإنجلترا وفرنسا وإسرائيل ، تكشف عن إحساسهم بخطورة هذه الصفقة ، وهذه الصفقة لم تكن كبيرة ، فقد كانت عبارة عن ٢٣٠ ذبابة و ٢٣٠ عربة مدرعة ، ولكنها هزت توازن القوى على المستوى العالمى ، وتغيرت كل القوانين التى كانت تتحكم فى نقل السلاح ، سواء من ناحية الكم أو الكيف .. ودخلت المنطقة منذ تلك الفترة فى حمى سباق التسلح .. وفى حمى الاستقطاب .

ويؤيد ذلك ماقاله كريستيان بينو فى جريدة الأهرام: «قرأت كثيرا عن اتهامات بأن همنا الأول فى هذه الأزمة ، كان الدفاع عن مصالح شركة قناة السويس الفرنسية والبريطانية وأؤكد لك أن هذا ليس له أساس من الصحة ، إذكنت أعلم من البداية أنه من الممكن الوصول إلى اتفاق على تعويضات مناسبة للشركة من خلال المفاوضات .. ولكن السبب الأهم كان يتعلق بالاستراتيجية

الغربية في ذلك الوقت ، وهو حرية الملاحة في القناة ، التي تهددت بظهور الاتحاد السوفيتي بعد صفقة الأسلحة الشبكية كقوة بديلة ، كان ذلك هو الذي يحدد موافقي خلال هذه الأزمة ، لأن الوضع الجديد كان من شأنه إعادة تشكيل الخريطة العسكرية للعالم كله .

لقد كان توازن السياسات قد اختل ضمن التحالف الغربي نفسه للمناقشة بين بريطانيا وفرنسا ، والدخيل الجديد وهو الولايات المتحدة ، التي كانت تهيئ نفسها لوراثة نفوذهما في المنطقة .

وكان توازن القوى المستقر بين البلاد العربية وإسرائيل على الصعيد الإقليمي كان قد اهتز بدوره .

وكما قلت فإن ميزان القوى هو القلب النابض لعملية الصراع .

الاستخدام التأمري للقوة :

في أى عمليات مشتركة تنشأ قيادة مشتركة للتخطيط والتجهيز وإدارة العمليات ، ولكن في العدوان الثلاثي ، لم يكن هذا ما حدث ، لأسباب لاداعي للخوض فيها ، فقد تم تشكيل قيادة مشتركة بين القوات البريطانية والفرنسية ، ولم تشترك فيها قوات العنصر الثالث في العملية ، والذي كانت له قيادته المنفصلة ، مع الاحتفاظ بضابط اتصال بين القيادتين . ومن الطبيعي أن تتسم هذه العمليات بالسرية ، فهذا من أهم مبادئ الحرب ، ولكن كانت الروح التأمريّة ، هي التي سادت تحضيرات هذه العملية التعيسة ، وحتى بعد نهاية العملية ، أصر الجميع على إنكار أى اتفاق مع إسرائيل ، لدرجة أن موشيه ديان حينما أصدر كتابه « يوميات معركة سيناء » كان خلوا من الحديث عن هذه المؤامرة ، ولم يتم تحرير محاضر عن الاجتماعات التي تمت في سيفر ، بل تم إحراق كل نسخ الاتفاق المكتوب ، بعد العدوان الثلاثي بقليل « ولم تعد هناك سوى صورة صغيرة للغاية من معنى الاتفاق عند بعض الذين أتيح لهم حضوره » كما يقول كريستيان بينو .

وأهم فقرات اتفاق سيفر هذا :

١- تشن إسرائيل هجوما واسع النطاق على مصر ، يوم ٢٩/١٠/١٩٥٦ ،
تحتل فيه سيناء حتى المضائق .

٢- توجه حكومتا بريطانيا وفرنسا نداء إلى الطرفين لوقف العمليات الحربية
وانسحاب قواتها عشرة أميال من القناة ، والسماح باحتلال القوات
الفرنسية والبريطانية لمنطقة القناة بصفة مؤقتة لتأمين حرية الملاحة .

٣- إذا رفضت مصر المقترحات ، يشن هجوم يوم ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ضد
القوات المصرية .

٤- بوسع إسرائيل احتلال الجزء الغربي من خليج العقبة وجزر تيران وصنافير
لتأمين الخليج بالنسبة للملاحة .

٥- تتعهد إسرائيل بعدم الهجوم على الأردن .

وفي نفس يوم اتفاقية سيفر ، وقع بورجيس مونوري وزير الدفاع الفرنسي ،
اتفاقا مع إسرائيل ، تتعهد فيه فرنسا بحماية المجال الجوي الإسرائيلي ، بإرسال
سرب ميسير مدعم إلى إسرائيل ، وكذلك حماية سواحلها بإرسال سفيتين
حربيتين إلى موانئ إسرائيل عند بدء العمليات .

وماذا كان يحدث على الجانب الآخر ، الجانب المصري ؟

ليس في نيتي ولو للحظة واحدة أن أؤرخ أبدا ، لفترة من أهم فترات مصر ،
وكل ما يمكنني أن أتحدث فيه هو إعطاء تصور للتفكير العام الذي كان يدور في
قمة القيادة العسكرية في ذلك الوقت . وقد كنت في المطبخ الداخلي لاتخاذ القرار
العسكري في تلك الفترة .

منذ قيام الثورة كانت الرياح تهب علينا من الشرق ، وقبل بداية المفاوضات
مع بريطانيا بفترة ، طلبت القيادة السياسية من العمليات الحربية ، تقدير الموقف

أثناء المفاوضات المصرية البريطانية ، وقد انتهى هذا التقدير إلى نقط تاريخية هامة :

١ - يواجه الجيش عدوين في وقت واحد ، بريطانيا في منطقة قناة السويس وإسرائيل على حدودنا الشرقية .

٢ - لا يمكن نجاح المفاوضات السياسية المقبلة إلا بمساندة القوة العسكرية .

٣ - لا يمكن لمصر خوض معركة دفاعية أو هجومية ضد إسرائيل ، بينما القوات البريطانية في منطقة القناة .

٤ - العدو الرئيسي في الوقت الحالى هو القوات البريطانية والعدو الثانوى هو إسرائيل .

٥ - لابد من اخلاء سيناء كلية من قواتنا العسكرية الرئيسية حتى لا يكون وجودها عامل ضغط علينا ونحن نخوض حرب التحرير في منطقة القناة وقد عقد مؤتمر في رئاسة أركان الجيش ، حضره كل من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر واللواء محمد إبراهيم واللواء على عامر والمقدم أمين هويدى ، وقد تقرر في هذا المؤتمر سحب قواتنا من سيناء إلى غرب القناة ، مع ترك وحدات رمزية في بعض المناطق الحساسة بغرض التبليغ وإظهار السيادة .

وقبل بدء المفاوضات ، أعطيت إشارة البدء لإخلاء سيناء ، بعد التصديق على الخطط الموضوعة ، وكان علينا أن تتم عملية الإخلاء بمفاجأة كاملة ، وفي أقصر وقت ممكن ، حتى لا نترك فرصة للقوات البريطانية لكي تتدخل ، وكانت العقبة الكأداء ، هي توفير وسائل النقل اللازمة ، للمعدات الثقيلة بالقطارات ، ولكن الترتيبات الجيدة ، ساعدت على تنفيذ الخطة بنجاح كامل .

وفي الوقت المحدد ، فوجئت القيادة البريطانية ، بسبل القطارات تعبر

كوبرى الفردان وقد أعيد التوزيع الاستراتيجي للقوات المسلحة تبعا لتقديرات الموقف المتابعة ، وقسمت مصر إلى عدة قيادات لكل منها قواته : القيادة الشرقية (سيناء ومنطقة القناة) وقيادة القاهرة والقيادة الشمالية وقيادة الدلتا .

وحيثما وقع العدوان ، يمكن القول أن التوزيع الاستراتيجي للقوات المصرية قد اتسم بالحكمة ، إذ وزعت في سيناء الفرقة الثالثة مشاة ، تحتل مواقعها في القطاعين الشمالي والأوسط من سيناء والذي يشمل رفح - العريش - أبو عجيبة .. وكان معها مجموعة مدرعة ، وكانت هناك الفرقة الثامنة الفلسطينية في غزة .. وإلى جانب هذا تم تشكيل قوات الحرس الوطني التي انتشرت في أنحاء الجمهورية .

أما الاحتياطي الخاص بالقيادة الشرقية ، والاحتياطي الاستراتيجي الخاص بالقيادة العامة للقوات المسلحة ، فكان محفوظا به جميعه غرب القناة .

وفي تقديري أنه حينما قامت العمليات يوم ٢٩ ، كان توزيع قواتنا الاستراتيجي ممتازا جدا ، ومرحاحا لنا ، ويوفر احتياطا كبيرا ، يمكن توجيهه لأي نوع من أنواع العمليات يمكن أن نفاجا بها .

وقد كانت المعركة السياسية بعد التأميم على أشدها ، وكان العدوان متوقعا بعد الأسابيع الأولى للتأميم ، ولكنه أخذ يتضاءل بمرور الوقت ، وكانت هناك شواهد كثيرة جلا تدل على أنه لن يكون هناك عدوان .

أما عن اشتراك إسرائيل في العدوان فكان مستبعدا ولو أنه كان في الحسبان . ولكن قيادة القوات المسلحة بكاملها ، كانت متوجسة خيفة طول الوقت ، إلى أن حصل العدوان ، وتقديرات الموقف المتتالية ، التي وضعتها القيادة العسكرية

توضح هذا ، فى تقرير للقوات المسلحة فى آخر سبتمبر ٥٦ ، يرجح قيام بريطانيا وفرنسا بالهجوم على مصر ، متصورا عمليتي انزال ، واحدة فى الإسكندرية وواحدة فى بورسعيد .

يوم ٢٩ أكتوبر

وأذكر ظهر يوم ٢٩/١٠/١٩٥٦ كنت الضابط النوبتجى فى العمليات الحربية ، وكان المقدم توفيق عبدالفتاح الضابط المناوب فى القيادة العامة للقوات المسلحة ، واتصل بى مؤكداً أن معلومات وصلت الآن تفيد أن جماعات إسرائيلية تقوم بقطع خطوط المواصلات السلوكية من سيناء بالقرب من ممر متلا ، وأن الحرب فعلا قامت بيننا وبين إسرائيل .

وكان السؤال المحير بعد قيام إسرائيل بإنزال قوات المظلات على الفتحة الشرقية لممر متلا هو لماذا فى الشرق وليس فى الغرب ، وكان رأيى أن هدف هذا هو تشجيع قواتنا للتمركز فى شرق القناة أى كمصيدة مدبرة لها .

وصدرت التعليمات إلى قوات الفرقة الثالثة على الحدود الشرقية للدفاع عن مناطقها لآخر طلقة وآخر رجل وكذلك الفرقة الثامنة .. وتسببت هذه القوات بتعطيلها تقدم القوات الإسرائيلية ، من تمكين باقى القوات المصرية ، من الإفلات من المصيدة ، ودفعت الفرقة الرابعة المدرعة شرقا فى صباح اليوم الثانى ، وقامت القوات الجوية بطلعات متعددة ، ووجهت المدمرة إبراهيم باشا إلى حيفا ، وصدرت التعليمات إلى اللواء الثانى مشاة بتطهير ممر متلا ، وإلى لواء الفدائيين بالدفاع عن بير عويب - المعادى كما جرى التفكير فى إسقاط عملية مظلات غرب نخل ، لقطع الطريق عن قوات المظلات الإسرائيلية .

وعندما بدأت الطائرات البريطانية والفرنسية عملياتها يوم ٣١/١٠ ، أيقنت القيادة السياسية والعسكرية فى مصر ، بوجود التواطؤ ، وصدرت أوامر

الانسحاب من سيناء ، تحت ستار المعركة الدفاعية المستميتة ، التي كانت قواتنا في الشرق تخوضها وياصرار ، حتى تعطى الفرصة لقواتنا التي اندفعت في الشرق ، بالانسحاب غربا إلى مواقعها الجديدة .

وأذكر أنني عدت ليلتها من قيادة المنطقة الشرقية في الإسماعيلية إلى القيادة ، وكانت عبارة عن صالة كبيرة جدا ، وفي ركن منها حجرة مغلقة عقد فيها الرئيس جمال عبد الناصر اجتماعا للقيادة العامة للقوات المسلحة ، وكان الشك في التواطؤ قد أصبح يقينا عند جمال عبد الناصر ، وقد رأى سحب قواتنا فوراً من سيناء لإنقاذها من الفخ الذي نصب لها . وكنا خارج الحجرة ، وبعد قليل وجدنا صلاح سالم خارجا باندفاع وسألته أين ذاهب ، فقال لي أنا توليت قيادة السويس . وبعد قليل خرج الرئيس مبتسما هادئا وهو يقول ، يبدو أننا وقعنا في مصيدة ، وقد أعطينا التعليمات لتنفيذ مجلدنا .

ولم أكن داخل الاجتماع لأعرف ما دار فيه ولكن سأقتل من مذكرات البغدادي قوله. « كان عامر يرى أن استمرار القتال سيدمر البلاد ، وأن الشعب سيكره النظام ، وهو يفضل ترتيبا على ذلك وقف القتال ، صلاح سالم أيد ذلك مضيفا أنه على عبد الناصر إعلان وقف القتال والاستسلام ، على أن يسلم جميع أعضاء مجلس الثورة أنفسهم لتريفليان السفير البريطاني » .

وقد وضعت خطة الدفاع عن بورسعيد ، وكانت الاستراتيجية العامة لمصر كالتالي في تلك الفترة :

١ - عدم قبول الإنذار البريطاني الفرنسي .. وكانت هذه أول صدمة لقوات العدوان .

٢ - إفلات القوات المسلحة المصرية من مصيدة سيناء بأقل خسائر ممكنة تحت ستار المعركة التي كانت قواتنا تقودها في الشرق .

- ٣- عدم الدخول في معارك جوية مع القوات المعادية .
- ٤- الدفاع عن مدن القناة لآخر طلقة وآخر رجل .
- ٥- تعطيل الملاحة في قناة السويس .
- ٦- صمود الجبهة الداخلية التي التفت حول قيادتها وخرج الشعب العربي من المحيط إلى الخليج في مظاهرات عارمة تؤيد مصر وقائدها .. وفشل العدوان .

الجلسة الرابعة
القسم الرابع :

مناقشات حول محاضرة تأميم القناة واستخدام القوة

شارك فيها :

محمد عبد السلام الزيات - محمد عودة - محمود عبد الفضيل

سيد يس - بهى الدين الرشيدى - أحمد عبد الله

- متى أصدر جمال عبد الناصر قرار الانسحاب قورا من سيناء لإنقاذ القوات من الفخ المنصوب؟
- ذروة الأزمة لم تكن عقد صفقة الأسلحة التشيكية ولكن النروة كانت عند رفض مصر الصلح مع إسرائيل .
- معنى ماكتبه والتزليجان منذ ٤٨ أن الولايات المتحدة أقامت إسرائيل لأنها قررت أن توجد في المنطقة بنفسها وليس عن طريق بريطانيا .

الأستاذ منصور حسن : نشكر الأستاذ أمين هويدى على هذه البيانات القيمة وهذا الحديث المفيد والممتع .. والآن هل هناك أى أسئلة ؟ .. اتفضل .. أنا باتوقع نتيجة لهذا الحديث أن يكون هناك كثير من الأسئلة والتعليقات فأرجو أن نعود إلى عرف كتابة الأوراق حتى لا يطول بنا الوقت .

الاستراتيجية .. والمبادئ .. والبدائل

د . أحمد عبد الله : شكرا سيادة الرئيس .. الحديث عن استخدام القوة في السياسة هو حديث في الاستراتيجية .. وللإستراتيجية مستوياتها المتعددة فهناك الإستراتيجية السياسية والاقتصادية والعسكرية .. وأى حديث عند أى مستوى من هذه المستويات الثلاثة يفترض بدوره أمر المبادئ وأمر البدائل .. فلا إستراتيجية بلا مبادئ ولا إستراتيجية بلا بدائل ..

خذ مثلا قضية الإستراتيجية السياسية لمجتمع من المجتمعات وليكن مثالنا المجتمع المصرى .. فى المجتمع المصرى قوى سياسية متعددة .. لها مبادئ مختلفة .. هناك مبادئ الوفد .. مبادئ الليبرالية .. مبادئ الاشتراكية .. اليسار الناصرى والماركسى .. مبادئ وسطية متعددة .. مبادئ الحركة الإسلامية ..

مبادئ من هى التى ستصنع إستراتيجيتنا السياسية ؟ ..

من هنا ياسيدى الرئيس حين كنا نتحدث عن الديمقراطية لم نكن نقوم تجربة عبد الناصر بقدر ما كنا نتحدث فى إستراتيجية المستقبل .

هذه واحدة ..

بخصوص الاستراتيجية الاقتصادية .. أى استراتيجية اقتصادية هي التي ستسود بلادنا؟ التنمية المعتمدة على الذات؟ أم التنمية التابعة للسوق الرأسمالي العالمي؟ استراتيجية إشباع الحاجات الأساسية؟ .. أم إحلال الواردات .. أم استراتيجية التصدير .. أم .. أم .. وعندنا الكثير من الشعارات في هذا الخصوص ..

الانفتاح الانتاجي .. الانفتاح الاستهلاكي .. وغدا سيكون الانفتاح الصناعي بدلا من الانفتاح التجاري .. وما إلى ذلك من شعارات علينا أن نحدد كيف سنختار من بين هذه البدائل الاقتصادية ..

ثم على المستوى العسكري أيضا ليست هناك استراتيجية واحدة .. هناك بدائل أيضا مطروحة ..

هناك مبدأ الاعتماد على النفس في صناعة السلاح على المستوى القومي مثلا .. وهناك مبدأ السلاح من مصدر واحد غربيا كان أو شرقيا .. وهناك مبدأ تنويع مصادر السلاح .. فهل درسنا كل هذه المبادئ وصغناها في شكل بدائل ليحدد أيها سنختار .. ومن سيختار .. هنا على المستوى المصري ..

فإذا نظرنا إلى المستوى العربي .. سنجد الأمر أكثر تعقيدا بخصوص صياغة استراتيجية عربية .. أى استراتيجية عربية ستسود؟ استراتيجية النظام الاقليمي العربي .. استراتيجية الدول العربية المستقلة بل والمتعادية .. استراتيجية المحاور العربية .. محور الخليج .. محور مصر وسوريا .. محور مصر وليبيا والسودان مثلا .. محور المغرب العربي .. أم استراتيجية الأمة الواحدة؟ .. أى استراتيجية ستثار؟! ..

هذه التساؤلات التي أطرحتها ياسيادة الرئيس .. أطرحتها لأطرح موضوعا أكثر أهمية من وجهة نظري .

ذلك أن الاستراتيجية إنما ترسمها عقول عالمة .. مثلما تفضل الأستاذ هوبدي

وأهني حديثه بهذه النعمة العظيمة .. وهذا يطرح قضية العلاقة بين المجتمع السياسي والمجتمع العلمي في بلدنا وفي العالم العربي كله ..

أقصد بالمجتمع السياسي مجتمع السلطة الحاكمة ومجتمع القوة السياسية الموجودة في الشارع ..

وأقصد بالمجتمع العلمي مجتمع الباحثين والمفكرين والعلماء والخبراء ..
ياسيدى الرئيس أتخيل أن العلاقة بين هذين المجتمعين في بلادنا هي علاقة من بينها برزخ لا يبغيان ..

هي علاقة مبتورة للغاية وقد آن الأوان أن نحدد دور : مراكز البحث والجامعات والخبراء والعلماء في صياغة استراتيجيتنا على المستوى المحلى المصرى أو على المستوى القومى العربى .. فبصراحة شديدة إن الاستراتيجية ترسمها عقول العلماء لا عقول الجهلاء ولو كانوا من الناحية السياسية على ولاء ..

شكرا سيادة الرئيس ، ، ،

الأستاذ أمين هويدى : لا أستطيع مجازاة الأخ أحمد عبد الله في السجعتين الأخيرتين .. لكن يعنى موافق .. والبحث لانهاية له ولا بد من إيجاد هذه العلاقة .. لا بد ..

ولا بد أن أيضا أن هناك واجب على المفكرين .. أنا لا أمل الحديث فيه .. في موضوع الاستراتيجى وموضوعات الأمن والحاجات دى كلها .. موضوعات الاستراتيجى والأمن وما إلى ذلك لا يمكن أن تستقى من مصادر أجنبية .. لا بد أن يكون هناك اعتماد على الذات .

ما ألاحظه لدى الكثير من مفكرينا الذين يكتبون في هذا الموضوع أنهم ينقلون عن الغير .. والغير لن يعمل لنا خطة أمن .. الغير يتحدث عن الأمن الأمريكى في البحر الأحمر .. حقه ..

يتحدث عن أى حاجة تخصه .. فالبعض ينقل هذا الكلام ويركبه على

سياستنا.. مايركبش.. يبقى شوية منظومات جنب بعض إذا وضعها أمام صاحب القرار لا يمكنه أن يأخذ قرارا .. فكما تطالب بهذا .. هناك مطالبات مشتركة .. علينا أن نعمل الفكر نخطى ونختلف ونتعارض ولكن لن يصيغ الاستراتيجية أو الأمن المصرى أو الأمن العربى إلا العقول العربية والمفكرين العرب ومراكز الدراسات العربية .. فيما علما بعض المراكز المحدودة جدا فى البلاد العربية .. لا توجد مثل هذه المراكز.. لا توجد .. وهذه .. ولا بد أن تنتشر مثل هذه المراكز والمعاهد وتشغل فى هذه الموضوعات وترى وترور ..

وإنى متأكد .. أن كثيرين ممكن يكتبون فى موضوعات خاصة بالأمن والاستراتيجى .. لم يزوروا الأماكن الهامة التى ممكن يستخدموها ليأخذوا عنها تصورا واقعيا .

الموضوع يحتاج خبرة .. ويحتاج تصور ويحتاج واقع .. ويحتاج نظرة على الأرض وقبل هذا وذلك يحتاج لقراءة وتطبيق هذا الكلام على حالتنا نحن .

الموضوع أكبر من الكلام الذى قلته ياأخ أحمد فى تقديرى .. ليس مجرد كلمتين ولا بد من تمهيد .. طبعاً أنا موافق على الاتجاه العام .. لكن أريد أن أقول لك إن العملية كبيرة .. وخطيرة جدا جدا .

وتحتاج فعلا إلى جهد مشترك .. من الناس ومراكز الدراسات والأبحاث أنها تتقدم .. لا يهم حجم الدراسة .. المهم أن تكون واقعية وتوضع أمام أصحاب القرار ليقتنعوا بها .. ولا بد أن تكون الاستنتاجات مركزة ..

وتتفق مع طبيعتنا ومشاكلنا وإمكانياتنا وتفكيرنا ونوع تعاملنا إلى آخره ..
وشكرا ،،،

عندما رفضت مصر الصلح مع إسرائيل

الأستاذ منصور حسن : الدكتور الزيات ..

الأستاذ محمد عبد السلام الزيات : سيادة الرئيس .. لقد أمضينا وقتا أو متعة من معلومات أو جرعات من معلومات كنا محتاجين إليها بعد الاستماع إلى الأخ أمين هويدى فى كلمته الوافية ..

يمكن لى ثلاث نقاط بارجو استيضاحها ..

النقطة الأولى : إن طبعا الفلسفة فى التعريف بين الأزمة والمعركة وهذا كله أنا موافق عليه طبعا لأنى لا أستطيع أن أصل إلى هذا المستوى من الفهم لكن جاء فى كلام الأخ الصديق أمين هويدى أن ذروة الأزمة وصلت بعد صفقة الأسلحة التشيكية .

أستطيع أن أقول إن ذروة الأزمة لم تكن عند صفقة الأسلحة ولكنها وصلت إلى الذروة عندما رفضت مصر الصلح مع إسرائيل .. لأن بعد صفقة الأسلحة كان هناك حوار فى الإدارة الأمريكية .. وكان هناك آراء أبدت فى الإدارة الأمريكية بأن من حق سيادة أى دولة أنها تتسلح .. أيضا دالاس وصل إلى ذروة الغضب بأن وجه إنذارا .. الإنذار الذى لم تستطع أمريكا أن تقدمه فعلا .. لأن الإنذار استخدمت فيه .. أرسل ألن الذى هو مساعد دالاس إلى مصر عشان يسلم عبد الناصر الإنذار فلم يستطع ألن أن يسلم الإنذار .. وأرسل مندوب من المخابرات الأمريكية .. فلم يستطع مندوب المخابرات الأمريكية أن يسلم هذا الإنذار إلى مصر .. إنما لما أحمد حسين تقابل مع ألن فى واشنطن .. ألن أضاف .. وأقول إنه بالون الاختبار بعد صفقة الأسلحة .. وهو الصلح مع إسرائيل .. يعنى وضع شرطا إلى جانب الشروط التى جاءت فى الإنذار .. ولم يسلم هذا الإنذار فعلا لعبد الناصر .. إنما جاء فى وثائق وكتب :

أولا : أن أمريكا ستسحب الممثل الدبلوماسى .

ثانيا : أن أمريكا ستوقف أى تجارة مع مصر إذا لم يبلغ الاتفاق الخاص بالأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا .

ثالثا : أنه عندما وصل أحمد حسين إلى وزارة الخارجية الأمريكية قالوا له لا .. نحن بنضيف شرط رابع .. هذا الشرط الرابع هو الصلح مع إسرائيل .

فرفض الصلح مع إسرائيل دائما لم يكن السبب في عدوان ٥٦ بل هو السبب في العدوان الذى أشار إليه الأخ الأستاذ أمين هويدى في بداية كلمته على ليبيا وسيكون هو السبب في أى عدوان آخر على أى دولة عربية ترفض الصلح مع إسرائيل ..

فأنا بأقول ذروة .. باستمرار .. ذروة الأزمة هى عدم الصلح مع إسرائيل .. أو عدم تحقيق ما يمثّل كامب ديفيد ..

النقطة الثانية أشير إليها عندما استمعت في جلسة الأمس وجلسة اليوم إلى المقاومة الشعبية ..

الواقع أن هذا الموضوع لم يأخذ ما يستحقه من الاهتمام لأن المقاومة الشعبية في الواقع كانت من العوامل المؤثرة في تحول دفة الأمور كلها .. مقاومة الشعب في بورسعيد صفحات خالدة كنا نأمل أن نستمع إليها ونأمل الآن أيضا أن نستمع إليها من الأخ أمين هويدى .. وكيف تم التنسيق بين المقاومة الشعبية والقوات المسلحة ..

النقطة الأخيرة .. وقد كان الأخ الصديق أمين هويدى في موقع المسئولية في ذلك الحين .. هو مدى الاتصالات التي جرت في ذلك الحين سياسيا مع أمريكا والاتحاد السوفيتي خلال فترات المعركة وخلال قبل المعركة وبعد المعركة . يمكن هذه هى النقط الثلاث التي أردت أن استفسر عنها من الأخ أمين هويدى .

• وشكرا ،،،،

الأستاذ منصور حسن : لو سمحت دكتور زيات تلخص الثلاث أسئلة في نقاط ..

الأستاذ أمين هويدى : سأبدأ بالسؤال الأخير لأنه سهل .. لأنه من قال لا أعرف فقد أفتى .. الاتصالات التي جرت بيننا وبين أمريكا والاتحاد السوفيتي في ذلك الحين لا علم لي بها أنا كنت أحد ضباط القوات المسلحة ورتبتي لم تكن كبيرة ولذلك لم أكن أعرف أى اتصالات سياسية ..

ذروة الأزمة أنا موافق الدكتور الزيات .. بس علينا ألا نخلط .. بين الغرض والهدف ..

الغرض يحوى على عدة أهداف ..

عندما نقول صلح مع إسرائيل .. فالصلح مع إسرائيل لن يتم إلا بالضغط ، كيف ..

عن طريق بوازن القوى وعن طريق السلاح ، فالشئ الأساسى هو اضعافنا حتى نصطلح مع إسرائيل إن عاجلا وإن آجلا .. فيمكن أنا نظرت للمسألة من ناحية الغرض .. الأخ الأستاذ الزيات من ناحية الهدف .. وبيها لي أنه لا تعارض ..

التنسيق بين القوات المسلحة والمقاومة الشعبية كان موجودا عن طريق ضباط الاتصال وعن طريق تحقيق المهام والأهداف ..

كثيرون دخلوا بورسعيد ، كان من ضمنهم الأخ الصديق محمد فايق .. وأظن أنه كان متكررا في زى صياد وقتها .. كان صياد .. ودخل بورسعيد وكانت التعليمات تصله من القوات المسلحة ولم يكن هناك تعارض ..

ولما دخلوا نفس بورسعيد .. ومن داخل بورسعيد كان التنسيق كامل بينهم وبين القوات المسلحة ..

أنا اشتغلت أيضا أركان حرب الحرس الوطنى عند انشائه ولظروف خاصة

سبت الحرس الوطني ورحت للعمليات الحربية ..
التسيق كان موجوداً .. وأقدر أقول إن موقفنا العسكري وموقفنا السياسي
كان متينا جدا ..

وعكس مايقال إن معركة السويس كانت معركة سياسية .. من يقول هذا ..
من يقول إنها معركة سياسية .. معركة مشترك فيها أساطيل وطائرات وفرق
وإسرائيل .. كل دى معارك سياسية .. سياسية إيه .. ماهى الحرب عبارة عن
السياسة امتداد للسياسة ولكن بوسيلة أخرى .. وأنا من أنصار ألا أفضل ..
لكن أقول إنها كانت حرب سياسية .. يعنى المئات اللي ماتوا والأسرى اللي
اتأسروا والمعارك اللي دارت .. معارك من الوزن الثقيل جدا جدا .. وواجهنا فيها
نحن الدولة الصغيرة بقواتنا الشعبية والحرس الوطني .. وقواتنا المسلحة ..
وأسلحتنا التي لم نهضمها بعد .. دول ثلاث كانت بتهجم علينا فى تلك الفترة ..
ولولا صمودنا العسكري .. المجهود السياسى لم يكن يثمر شيئا ..

لواحنا سلمنا يوم ٣٠ أو يوم أول نوفمبر مثلا .. لماذا كان الاتحاد السوفيتى
سيتدخل ويرسل إندارا ، ليه ؟ .. ولماذا كان مايكل فوت يقود المظاهرات ..
ولماذا كان انتونى ناتنج سيسقتيل .. لم تكونوا ستقومون بأى شىء ما دام العملية
انتهت ..

شكرا ، ، ،

مطلوب مركز عربى للدراسات الاستراتيجية

الأستاذ منصور حسن : الدكتور سيد يس .

الدكتور سيد يس : شكرا سيادة الرئيس .. أريد فى الواقع أن أعلق على
ملاحظة هامة التي ذكرها الزميل الدكتور أحمد عبد الله .. وتعقيب السيد أمين
هويدى عليه ..

القضية هامة .. لأنها تتعلق بالحاضر والمستقبل .. قضية مراكز الدراسات السياسية والاستراتيجية .. القادرة على الإضافة للمجهود الوطني والقومي في رسم استراتيجيات قادرة على التصدي للعدوان والتصدي للهيمنة الأجنبية ..

ليس دعاية لمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام .. لكن أقر .. المركز أصدر هذا العام التقرير الاستراتيجي العربي لعام ١٩٨٥ .. وهذا في حد ذاته أول تقرير استراتيجي عربي .. يحاول من وجهة النظر العربية القومية المتزمتة أن يقرأ الأحداث الدولية والأحداث العربية والتحليل المتعمق للمجتمع المصري في عام .. صدر هذا التقرير الأول مصدرا بمقدمة .. تعكس النقطة التي ذكرها الأستاذ أمين هويدى وعنوانها « نحو رؤية عربية للدراسات الاستراتيجية » .. ونعني بذلك أنه آن الأوان لكي تنتهى حقبة النقل المباشر من الكتابات الغربية وتنتهى حقبة الترجمات الرديئة أو الجيدة عن الدراسات السياسية الغربية .. وأن الأوان أن نبلور منهاجا عربيا للتعاقد مع الحقائق الواقعية في المنطقة ورصد التغيرات في النظام الدولي .. ورصد التغيرات في النظام الاقليمي العربي ..

وليس إصدار هذا التقرير سوى حلقة أولى في الواقع من خطة شاملة يعدها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية .. بالتعاون مع مركز الدراسات الاستراتيجية الذى أنشئ في الجامعة الأردنية .. وهذه الخطة تهدف إلى خلق ما يطلق عليه في الدراسات الاستراتيجية . Defece وال Community

Community¹ يتكون في الولايات المتحدة الأمريكية أو في إسرائيل من مكونات ثلاثة : العسكريون الحاليون والسابقون .. رجال وزارة الخارجية .. والباحثون المتخصصون في الدراسات السياسية والاستراتيجية ..

ليس لدينا حتى الآن في مصر مركز دراسات استراتيجية بهذا المعنى وليس لدينا على مستوى العالم العربي هذا المجتمع .. أو التجمع المهتم بقضايا الأمن القومي .

ويهدف مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية إلى خلق هذا التجمع في

مصر أولاً ثم على مستوى العالم العربي ثانياً .. وتم الاتفاق بالفعل مع مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية على أنه سيعقد في شهر يونيو القادم ما أطلقنا عليه «المؤتمر الاستراتيجي العربي الأول» نجمع فيه المتخصصين العسكريين والمثقفين والكتاب والباحثين في الدراسات الاستراتيجية ورجال وزارة الخارجية .

دفعاً لهذا التخطيط نرجو في السنوات القادمة أن نخلق هذا التجمع القدير على إبداع وبلورة نظرية استراتيجية عربية ..
شكراً سيادة الرئيس ، ، ،

الأستاذ أمين هويدي : لا يمكن لأي إنسان أنه يقدر يقلل من قيمة الجهد الذي يقوم به المركز الاستراتيجي بالأهرام .. وفعلاً أنا اطلعت على التقرير السنوي بتاعه وكنت أشعر بالفخر أن في يدي تقريراً مصرياً به المعلومات التي موجودة ..

ولا تعارض بين ماقلته وما قاله الأخ سيد يس .. على أساس أننا مازلنا بنحاول وأن الامكانيات مازالت غير متاحة .. وأنا سعدت جداً بالمحاولات والمستقبلية ولا يمكن للمرء إلا أنه يدعو لهذه المحاولات بكل توفيق .

ولكن ما أستطيع قوله إنه .. بيننا وبين هذا الموضوع مشاورات كثيرة خصوصاً في جانب الاحصائيات ..

وجميعاً نشعر إلى أي حد نعتمد في إحصائياتنا الخاصة إلى المصادر الأجنبية ..

وعندما كنت أعد كتابي عن صناعة الأسلحة في إسرائيل وتأثيرها على القرار السياسي .. وسافرت إلى « سبيري » معهد الدراسات في استوكهولم .. وأنا ذهلت من كمية المعلومات المتاحة والموجودة والإحصائيات التي تحضنها .

التأثر والدبلوماسية

السفير بهاء الرشيدى : كلمة الأستاذ أمين هويدى حملت لنا ، معلومات جديدة ومفيدة وقد سنحت الفرصة لكى يبين أن السياسة هى علم يعتمد على عاملين أحدهما القوة والآخر قد يكون وسائل أخرى منها الدبلوماسية ..

قد يزيل هنا بعض اللبس حول ما تحدث به الطيب الشاب الذى تحدث من قبل فأقول إن السياسة أو سياسة أى دولة تعتمد على القوة أحيانا .. وعلى غير القوة أحيانا أخرى .. على الدبلوماسية على وسائل الاتصالات على المخابرات على جميع الوسائل الأخرى ..

وإذن وأفرق هنا - هذا شرح نظرى أو فلسفى - أن السياسة قد تكون سياسة ثورية أو سياسة محافظة .. ده موضوع تانى .. يعنى السياسى قد يكون سياسى تأثر وقد يكون سياسى محافظ ..

التأثر - وليس بالضرورة أن التأثر هو الذى يعمد إلى القوة إلى الدم - التأثر هذا الذى يرغب فى التغيير .. المحافظ هو الذى يحافظ على الوضع القائم .. يجب التفرقة بين السياسى وبين التأثر وبين المحافظ وبين القوة وبين الوسائل الأخرى .. يعنى كل دولة لها سياسة .. وكل سياسة ممكن أن تعتمد على القوة وممكن أن تعتمد على غير القوة ..

وهذه السياسة إما أن تكون سياسة نائرة أو سياسة محافظة بالنسبة لوزارة الخارجية فى عهد عبد الناصر وفى سنة ٥٦ بالذات كان لها دور هام جدا .. وأنا أذكر أنه فى يوم تأميم القناة . اجتمع كل أعضاء السلك الدبلوماسى وهم لا يعرفون لماذا هم جمعوا .. وفوجئنا بإعلان قرار التأميم ..

وحدث من الجماعة الدبلوماسيين الذين قد يكونوا موضع النقد أحيانا .. الحماس والعاطفة وكل ما يمكن أن نتصور ..

بعد العدوان وقد تفضل الأخ الكبير وأستاذنا الأستاذ أمين هويدى وقال إنه

قد تم توزيع السلاح .. وأحد المشاركين وصف ذلك بأنه منتهى الديمقراطية ..
فأنا أقول إن في وزارة الخارجية بعد العدوان وكان كل المكلفين في وزارة
الخارجية وقتها يشغلوا صباحا ومساء وعاكفين على عملهم الدبلوماسي وهذا لم
يمنع من أن تشكل فرق للمقاومة الشعبية منا إجننا الدبلوماسيين .. وقد نزلنا إلى
الشوارع وكنا بتدرب في النوادي ونحمل السلاح وكانت فرق للمقاومة الشعبية
كغيرها من الفرق المسلحة التي كان عبد الناصر والقيادة السياسية يوزعونها في كل
مكان ..

كان كل واحد سواء في الوزارة أو كان في الحى بتاعه إذا كان يجب يتطوع
ونحمل السلاح الذى كان يتوزع وقتها ..

هكذا يمكن الجمع بين أن تكون دبلوماسيا وأن تكون ثوريا وهكذا يمكن أن
تكون سياسيا وأن تكون ثوريا أيضا .. وليس بالضرورة أن تكون سياسيا محافظا
أو دبلوماسيا محافظا .

فوزارة الخارجية وعلى رأسها أشخاص كثيرون منهم على سبيل المثال الدكتور
مراد غالب وكثيرون من الذين عملوا في عهد المرحوم السادات تركوا مواقعهم
بسبب مواقف سياسية مرموقة .. وكان لهم مبدأهم وكان لهم مواقفهم المشرفة
وحتى الجماعة اللى كانوا معروف عنهم أنهم متعاونين أو ميالين إلى الغرب والتعاون مع
أمريكا .. بعضهم كان له موقفه ولم يرض أن يوقع على اتفاقية كامب ديفيد وهذه
نقطة تذكر لهم بالخير ..

إذن لا مانع أن يكون الثائر دبلوماسيا .. ولا مانع أن يكون السياسى ثائر ..
والسيد أمين هويدى كان أصله ضابط من الضباط الأحرار .. والأستاذ محمد
فايق كان ضابط من الضباط الأحرار ثم أصبحوا سياسيين .. الأستاذ أحمد
حشروش سياسى ومؤرخ ..

والأستاذ هيكمل كان أصله سياسى ثم أصبح ثائرا .. إذا لاداعى للفرقة إطلاقا.

وشكرا ...

معركة السويس تبدأ من معركة أبي قير البحرية

الأستاذ منصور حسن : احنا بنشكر سيادة السفير وهو يعنى طبعا بعض السادة المتحدثين فى موضع الكلام لفتوا نظرنا إلى بعض الكتب المهمة لعل يكون فاتنا أن احنا نقراهم أو نتوقع نقراهم وطبعا كانت إضافة جيدة من سيادتك أن تنوه بوزارة الخارجية اللي ما اعتقدش أنه غايب عن حد الجهد .. مافيش إساءة أبدا حدثت لوزارة الخارجية من حد ..

الأستاذ عودة انفضل .. أظن الأستاذ هيكل لو كان هنا ما كان يسمح لك بالحديث مرتين ..

الأستاذ محمد عودة : لهذا أنا باستغل هذه الفرصة ..

هو فى الواقع طبعا من الصعب أن الواحد يتحدث عن الاستراتيجية بعد الأستاذ أمين هويدى وبعد الدكتور سيد يس .. لكن سأعطى نفسى الحق فى الحديث عن هذا الموضوع وأقول إنه هو أبسط بكثير مما نحن متصورين .. ولكى نفهم أو ندرك أن الاستراتيجية اللي لا بد أن نعتقها أو نطبقها لا بد أن نضع الاستراتيجية المضادة .. الاستراتيجية التى علينا أن نواجهها .. استراتيجية الطرف الآخر ..

ولكى نحيط باستراتيجية الطرف الآخر .. عنوان الندوة « ثلاثون عاما على تأميم قناة السويس » صحيح فات ثلاثين سنة على تأميم قناة السويس لكن هناك فرق بين تأميم قناة السويس وبين معركة السويس ..

أنا باعتقد أن معركة السويس ترجع إلى تاريخ قديم قديم قبل كده بكثير .. وأنا باعتقد أن معركة السويس ترجع إلى سنة ١٧٩٩ إلى معركة أبي قير البحرية بين نلسون و نابليون .. بعد هذه المعركة قررت بريطانيا أنه لا مناص من الاستيلاء على مصر ومن احتلال مصر .. لأن مصر هى أهم محطة على الطريق إلى الهند ..

وفوجئت مصر بعد جلاء الإنجليز بالثورة المصرية التي قادها محمد علي وابنه إبراهيم .. ودارت المعركة التاريخية بين محمد علي وبين بريطانيا .. هذه المعركة كانت إحدى المعارك الرئيسية في أوائل القرن التاسع عشر واستطاعت بريطانيا أن تعبئ أوروبا في المرة الوحيدة والأخيرة التي اتحدت فيها أوروبا كان للقضاء على هذه التجربة .. وأرسى بالمرستون وكان وزير خارجية ثم رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الحين .. الاستراتيجية التي مازالت مطبقة حتى الآن .. القواعد الأساسية لاستراتيجية العدو التي لازالت سائدة حتى الآن ..

إن مبادئ هذه الاستراتيجية أو أساسها .. قال إن لو كان محمد علي وإبراهيم عازمين يعملوا ولاية قوية أو غنية .. كان يمكن أن تتسامح فيها .. ولكنهم يريدون إقامة دولة عربية قوية عصرية .. تحل محل الامبراطورية المريضة وهذا أمر لا يمكن أن نسمح به في الطريق إلى الهند ولهذا فلا بد من القضاء على هذه التجربة ولا بد أن تعود مصر لريالة عثمانية .. يعنى دولة صغيرة داخل حدودها .. ولم تعبأ القوة العسكرية .. القضاء على القوة العسكرية المصرية .. لا بد أن تجرد مصر من القوة العسكرية .. بل وأكثر من كده تقرر وهذا كان السابقة الأساسية أول انفتاح في تاريخ مصر أو في تاريخ المنطقة تقرر سنة ١٨٣٨ وعقدت الامبراطورية البريطانية معاهدة الباب المفتوح مع الامبراطورية العثمانية لكي تدخل البضائع الإنجليزية إلى أسواق الامبراطورية وإلى السوق المصري مباشرة .. ليه .. لأنهم قالوا إن تصنيع مصر وتجريد الاقتصاد المصري الذي بدأه محمد علي سيؤدي إلى إغلاق أسواق الشرق أمام البضائع البريطانية والتجارة البريطانية .

إذن كان تجريد مصر من القوة العسكرية وتجريد مصر من البناء الاقتصادي وإعادة مصر إلى أن تكون محصورة داخل حدودها أصبحت هذه هي الاستراتيجية الأساسية التي وضعت في أوائل هذا القرن وظلت سائدة إلى الآن في صور متغيرة .

في أواسط القرن الماضي سنة ٦٠ أرادت مصر أنها تبني دولة داخل حدودها بس دولة متحضرة .. دولة أوربية .. اللي الخديو إسماعيل لما رفع شعار مصر

قطعة من أوروبا ماكانش عايز ينقل .. كان عاوز بيني دولة متحضرة بالتعاون مع أوروبا فغرقوا مصر في الديون وبعد كده فرضوا على مصر طريقة لتسديد الديون بأن يعين وزير مالية بريطاني ومراقب فرنسي ويتولى صندوق الدين ..

ميلاد الحركة الوطنية

الحركة الوطنية المصرية ولدت في ذلك العصر وولدت على أساس يعنى واضح وبسيط .. أى لا بد من إقامة نظام ديمقراطى يتولى تسديد ديون مصر وتسوية المشكلة الاقتصادية .. واستطاعت الحركة الوطنية أن تضع خطة كاملة لتسوية الديون وإقامة نظام ديمقراطى .. وتم إقامة هذا النظام ولكن تدخلت الدول ومنعت مصر .. وكل الجهود المصرية لتسوية المشكلة الاقتصادية - والوثائق موجودة والخطط موجودة - دفنت وفرض على مصر ألا تسوى ديونها ولا تصلح اقتصادها لكي يكون ده ذريعة لاحتلالها فيما بعد ..

هذا المضغط على مصر .. عن طريق تفويض الاقتصاد المصرى منع مصر من حتى أن تقوم حتى دولة متحضرة داخل حدودها أصبح تكلمة لتلك الاستراتيجية ..

أدى هذا إلى قيام الثورة .. التحام الجيش بالشعب هذه الثورة العرابية التي كانت تريد في نفس الوقت إقامة نظام ديمقراطى وإقامة اقتصاد وطنى .. ووجدوا أن تحول الدولة سواء في عصر محمد على أو في عصر إسماعيل كانت دولة .. ولكن في أيام عرابي تحول الأمر إلى ثورة فأصبح سابقة خطيرة لا يمكن القضاء على هذه الثورة إلا بالاحتلال وجه الأسطول البريطانى ستة آلاف ميل من بريطانيا .. وقف قدام شواطئ إسكندرية .. ولما حاولوا يصلحوا الطوابى الأسطول البريطانى أن هذه الطوابى تهدد أمن الأسطول البريطانى .. يعنى دى كانت أول حكاية من نوعها .. طلبوا أن يتوقف إصلاح الطوابى في ظرف ٢٤ ساعة .. وحينما لم يتوقف الإصلاح ضربت الإسكندرية واحتلت مصر ..

إذن هناك استراتيجية للخصم لازالت قائمة حتى الآن .. الاستراتيجية المضادة بدأها محمد على قال كلمة .. شعار مشهور : « إن الجهادية هي أساس العمارة » يعنى لابد أن تكون مصر قوة عسكرية أو قوة مقاتلة تستطيع أن تحوض متكافئة ضد خصم غير متكافئ ..

ولكن هذه الاستراتيجية لا تقوم على بناء جيش .. ولكن لابد أن تقوم على بناء اقتصادى سياسى ثقافى كامل .. لأن القوة العسكرية تكون ذروة بناء متكامل يستطيع أن يواجه قوة غير متكافئة ..

هذه القواعد البسيطة الأساسية طبعا لابد أن تكون واضحة لكى نستطيع أن نبني .. معاهد الأبحاث والأساتذة والمفكرين والأكاديميين يستطيعون أولا بدون أن يسترشدوا بهذه المبادئ الأساسية التى لابد أن نجعلها دليل البحث الذى تبنى عليه الاستراتيجية المتكاملة ..

. بعد .. أو فى خلال الحرب العالمية الثانية (تسمى أطول يعنى شوية يعنى دقيقة واحدة) خلال الحرب العالمية الثانية .. إيدن ..

يبتكلموا على أساس معركة السويس .. أساس معركة السويس ما بدأش سنة ٥٦ .. أساس معركة السويس بدأ فى ١٩٤١ .

إيدن كان السياسى الوحيد الذى كان عنده رؤية لمنطقة الشرق الأوسط .. وفى سنة ١٩٤١ إيدن قال التصريح الذى يعتبر أنه بداية قيام الجامعة العربية .. قائم على أساس تكتيل المنطقة العربية لأن بريطانيا كان بدأ يفتر حاسها للتجربة الصهيونية وبدأت ترى أنه من الأفضل أنها تكتل القوى العربية أو الأنظمة العربية الموالية لكى يظل الوجود البريطانى هو الوجود السائد فى الشرق الأوسط ..

صدر هذا التصريح سنة ٤١ ولم يكن مجرد صدفة أن يعقد سنة ٤٢ فى نيويورك مؤتمر بليمور الذى نستطيع أن نقول إنه ولدت فيه دولة إسرائيل .. إن

الولايات المتحدة الأمريكية كفضل مضاد لتصريح إيدن .. عقدت مؤتمر بلتيمور وولدت منذ البداية ولدت إسرائيل والحركة الصهيونية حولت ولاءها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وفي مقررات بلتيمور ولدت إسرائيل ..

ويتول الشرق الأوسط

وبدأ هذا الصراع ..

لكن إيدن كان يدرك أن الشرق الأوسط منطقة أساسية خصوصا فيما بعد الحرب العالمية الثانية بسبب البترول وسبب المشروع اللي قالوا إنا حنسيب الهند وحنعمل الامبراطورية الثالثة في أفريقيا والشرق الأوسط الخ الخ ... وكان يدرك بالأهمية الأساسية للوجود البريطاني في منطقة الشرق الأوسط .. وفي سنة ١٩٥٤ مشروع حلف بغداد كان مشروع دالاس ولكن إيدن كان يرى أن دالاس يتطفل على منطقة لا بد أن يكون الوجود البريطاني هو الوجود الأعلى والسائد فيها .. فاستطاع أنه يختلس مشروع حلف بغداد كما سمى .. وعقدت .. المعاهدة المصرية سنة ١٩٥٤ على أساس أن دى تسوية بين مصر وبين بريطانيا على أساس أن تكون مصر في إطار غرب .. مصر تظل في إطار الغرب .. ويظل الوجود البريطاني .. يعنى نرجع إلى أن الاستقلال مع علاقة الند للند مع بريطانيا .. تسوية بريطانية تحافظ على الوجود البريطاني في هذه المنطقة ..

وبدأ الصراع حينما وجد أن معاهدة ١٩٥٤ لم تؤد إلى ذلك وذهب عبد الناصر إلى باندونج وأعلن أنه لن يبقى في فلك الغرب ولن تبقى مصر في فلك الغرب بل مصر حثتجه إلى التعبئة العربية وإلى الالتحام بالعالم الثالث وليس البقاء في فلك الغرب وبدأت من ذلك الحين .. جذور السويس لا بد أن نستقطبها إذا كنا عايزين نعرف ونضع استراتيجيات ونضع مبادئ .. لا بد أن نستقصى أزمة السويس منذ معركة أبي قير سنة ١٧٩٩ ثم منذ تصريح إيدن سنة ١٩٤١ على السياسة البريطانية في الشرق الأوسط والصراع بين الهيمنة أو الوجود البريطاني .. والوجود الأمريكي ..

لما وجدت إسرائيل والترليمان المعلق الأمريكى الشهير قال إن الولايات المتحدة أقامت إسرائيل لأنها قررت أن توجد فى المنطقة بنفسها مباشرة وليس عن طريق بريطانيا ..

يعنى إسرائيل كانت تمثل الوجود المباشر والعضوى للولايات المتحدة فى المنطقة هنا .

والصراع بين ثورة يوليو وبين الامبريالية البريطانية من جهة وبين الامبريالية الأمريكية من جهة كان يجعل الأزمة لا بد أن تشير إلى ذروتها بصلدام عسكرى فى وقت من الأوقات .

لما جاء دالاس سنة ١٩٥٤ ، وذهب عبد الناصر سنة ١٩٥٥ إلى باندونج شعر دالاس أن هذه البثورة فى هذا الشاب لا بد أن تواجهه ، ورفض عرض السد العالى .. وثيقة رفض السد العالى كانت وثيقة إعلان حرب على النظام فى مصر .. نفس نص وثيقة رفض السد العالى فى الآخر كانت تحريض للشعب المصرى وتحريض على النظام فى مصر ..

ولما راح له سلوين لويد وكريستيان بينو فى المستشفى يزوروه قال لهم لماذا لم تقبضوا على عبد الناصر .. لقد منعى المرض أن أكون أنا سببا للقضاء على عبد الناصر ..

وبعد الحرب مباشرة دعى الملك سعود إلى أمريكا .. وايزنهاور فى كتابه يقول إن احنا سنخلق قيادة روحية فى المنطقة .. هذه القيادة الروحية ستولى قيادة المنطقة ..

يعنى أرادوا أنهم يعملوا من الملك سعود قيادة روحية بديلة لقيادة عبد الناصر .. وأعلن فى يناير عام ١٩٥٧ مشروع ايزنهاور الذى قيل فيه إن ده مشروع يملاً الفراغ الذى تركه سقوط الامبراطورية البريطانية والفرنسية فى المنطقة . يعنى عدم اعتراف بالشعوب .. ونهرو أيامها قال هذه أكبر إهانة وجهت إلى

شعوبنا .. وعبد الناصر رفض وقال مامعنى ملء الفراغ يريدون أن يجلوا ..
ونستبدل استعمارنا باستعمار تالى ..
وبدأت من سنة ١٩٥٧ .

يقولوا ايزنهاور أمر بجلء إسرائيل عن سيناء .. هو صحيح أمر بجلء إسرائيل
عن سيناء .. ولكن لأنه كان يبعد لمشروع ايزنهاور ولاقناع العرب والإسرائيليين
بأن أنا الحكم وأن أمريكا الآن أصبحت هى القوة المطلقة التى تستطيع أن تكون
الحكم فى المنطقة دى .

ومنذ ١٩٥٧ وإعلان نظرية ايزنهاور ورفض مصر لنظرية ايزنهاور بدأت
المعركة وبدأت معركة طويلة امتدت عشر سنوات وبلغت ذروتها فى حرب
١٩٦٧ واللى تصوروا أن قضية الشرق الأوسط زى ما قالوا جونسون قال الآن
انتهت قضية الشرق الأوسط .. ولكنها ما انتهت ولازلنا بنقاوم وأعتقد أن يعنى
قضية السويس أو معركة السويس لاتزال قائمة وستظل قائمة لمدة طويلة ..
النهارده الصبح قالوا على المبادئ أو الطرق أو الميكانزم الجديد للاستعمار
الجديد ..

الميكانزم الجديد للاستعمار الجديد يبدأ أولاً بتحرير القوى السياسية وتحرير
الإرادة السياسية ..

إحنا بالتنمية من سنة ٦١ إلى ٦٧ عملنا تجربة تنمية فى ظل أقصى الظروف
ولكن نفذت خطة .. ونفذت الخطة بعد عامين .. وأرست قاعدة صناعية الخ
الخ ...

من سنة ١٩٧٤ إلى الآن بنعمل خطة تنمية انفتاحية عندنا موارد لم تكن
لدينا .. السياحة المعتريين البترول لإيراد القناة .. ٣٧ مليار من القروض ..
المساعدات الأمريكية .. لكن أهملنا الإنتاج وعاشين عالية على العالم . ووصل
الاقتصاد إلى حالته ..

إذن إحتنا أول طريقة لمواجهة السويس القديمة ولمواجهة السويس الجديدة ..
هى تحرير الإرادة السياسية وأن الإرادة السياسية تكون هى المطلقة وأن قرارنا
السياسى .. الحقيقى يصدر من هنا لصالح الأغلبية. وليس لارتباطه بأى هيئة
أجنبية ..

شكرا ،،،

ماهو موقف صلاح سالم ؟

الدكتور عبد الفضيل : شكرا سيدى الرئيس أنا أعلم أن الوقت متأخر لكن
أعتقد أن بعض النقاط يجب أن تسجل باختصار ..

تميزت هذه الندوة بدرجة عالية من التوفيق والشهادات التاريخية التى تلقى
أضواء لأول مرة على أبعاد حرب السويس ومعركة السويس التاريخية ..

ولكن من خلال العرض الشيق والعلمى والموثق للأستاذ أمين هويدى هناك
نقطة تقلبنى حول الوقائع التاريخية خاصة ما دار فى الاجتماع أثناء غياب الأستاذ
أمين هويدى والذي اعتمد فى مرجعه على مذكرات السيد عبد اللطيف
البنغادى سواء المسألة التى تتعلق بموقف المشير أو بموقف صلاح سالم .. وإذا كان
صلاح سالم خرج متحمسا لقيادة السويس فكيف هذا يتسق مع أنه كان موقفه
استسلاميا .. ولأن هذه الندوة تميزت بإلقاء ضوء ومزيد من التوثيق والتحقيق
العلمى .. تلك نقطة ضعيفة لا بد أن تدقق وبشكل علمى حتى لا تكون نهبا
للأهواء وللتاريخ ..

دى نقطة ..

النقطة الثانية هى برضك غاب عن هذه الندوة بعد ذكر بأشكال مختلفة ..

ذكر دور القوات المسلحة .. دور القيادة السياسية .. الدور الرائع للقيادة
السياسية .. ذكر دور القوات الخاصة أو الضباط الذين أصبحوا فى ثياب مدنية

زى الأستاذ محمد فايق وغيره من الضباط الذين لعبوا هذا الدور التاريخي ..
ولكن غاب عن النقاش وعن التمثيل فى الندوة قوى سياسية لعبت دورا فى
بورسعيد تحديدا وكانت جزءا لا يتجزأ من عملية التعبئة الشعبية التى كانت فريدة
من نوعها .

وإذا عدنا إلى مقاله السيرانتونى ناتج حول أن لدى القيادة البريطانية كان
هناك سوء تقدير للـ Morale : فى الجيش والشعب الذى لعب هذا الدور فى
الـ Morale فترة النحام تاريخى لم تتكرر امتدت من ٥٦ إلى ٥٨ فى تاريخ مصر
حينما كان المدنيون فى ثياب عسكرية زى ما قال الأستاذ بالنسبة للخارجية .. وكان
العسكريون فى ثياب مدنية .

تلك الحلقة الرئيسية التى تحطمت عليها كل مؤامرات المستعمر .. وإذا كنا
نتحدث عن المستقبل .. لماذا انتكسنا بعد ذلك ؟ ! لأنه الكل أراد أن ينفرد
بالموقف المدنيون أو العسكريون .. أعتقد ذلك الدرس - وكان هناك مجال لورقة
من الذين - وهناك أسماء معروفة لا نريد أن نخوض فيها .. يمكن أن تستدعى لتلقى
خبرتها بالذات .. كيف نجحت فى تعبئة وقامت بأعمال تاريخية ..

طبعا هذا لاستكمال التوثيق .. لأن هذه الندوة فريدة فى نوعها .. سقى
حديث عن السويس .. من منظور تاريخى مستقبلى ..

أتفق مع الأستاذ عودة تماما أن معركة السويس لم تبدأ بقرار تأميم شركة قناة
السويس .. معركة السويس بدأت قبل حفر قناة السويس وهناك حديث لمحمد
على والى نصر - موثق فى كتاب الأستاذ أحمد لطفى السيد - أنه عندما طرح على
محمد على فكرة حفر قناة السويس رفضها وقال بجدسه التاريخى « إن حفر قناة
السويس كممر أساسى للتجارة الدولية إلى الهند هو الطريق إلى احتلال مصر
وسيحلق تعقيلها يتعلق بمستقبل مصر .. » .

فمحمد على منذ البداية .. وهو كان أيضا بداية النهضة المصرية وبناء مصر
الحديثة - كان واعيا إلى أن حفر قناة السويس هو بداية معركة السويس ..

فمعركة السويس بدأت بمحمد علي .. كانت الحلقة الأولى في الانتكاسة ..
ثم الحلقة الثانية عرابي ومعركة التل الكبير .. أيضا كانت في القناة على ضفاف
القناة .. ثم حرب السويس ٥٦ ثم حرب السويس القائمة الآن إلى ماشاء الله ..
وإذا كنا بقي نتحدث عن المستقبل وعن الاستراتيجية وعن الدراسات
والمعلومات أعتقد أن الحلقة الضعيفة في الموقف أن حينما نريد أن ننجز عملا
استراتيجيا مستقبليا .. القضية الأولية هي حماية تدفق المعلومات وتأمين
المعلومات ..

وأعتقد تلك قضية غائبة منذ مدة طويلة .. وسأذكر أمثلة عن نجاح الفترة
السابقة حينما قال السيد سكرتير عام هيئة قناة السويس الذي تحدث اليوم وقال
إنه من الثلاثة الذين قاموا بإدارة القناة لم يعلموا بالقرار إلا قبلها بخمسة وخمسين
ساعة يعني أقل من ثلاثة أيام قمة التخطيط والكتمان والسرية ..
حينما ذكر الأستاذ أمين هويدى أن تقرر عدم استخدام المكاتبات لتأمين
الاتصالات ..

الوضع اليوم في ظل الأقمار الصناعية ، وفي ظل كومبيوتر ، يمكن أن يتقل
كل مافيا بالتليفونات الدولية ..
كيف يمكن أن نؤمن بلدا في ظل هذه التكنولوجيا المتقدمة ، وهنا
التكنولوجيا قد تكون لعنة وليست نعمة للأسف الشديد .

وهي قضايا وإن لم نعكف عليها في سرية ودون مؤتمرات مفتوحة أعتقد أننا
سنكون مطعونين في الصميم في معركة السويس القادمة ..

وشكرا ، ، ،

الأستاذ منصور حسن : أعتقد بهذا يكون الموضوع قد انتهى .. وإلى اللقاء
غدا إنشاء الله في الجلسة الختامية الساعة عشرة صباحا .. بالإضافة إلى
الموضوعات الموجودة في البرنامج سيكون هناك موضوع عام أعتقد أنه مهم للغاية

وهو التعليق العام حول موضوعات الندوة .. كما قال الأستاذ أحمد خمروش إنه
سيكون هناك مفاجأة كبرى وسارة وهامة وأنا لا أعرف عنها شيئا ، ولكن فقط
أبلغ حضراتكم ..
وشكرا ، ، ،

الجلسة الرابعة
القسم الخامس :

تغير ميزان القوى العالمى وتأميم قناة السويس كلمة البروفيسور مارتن روبا

لم يكن هناك حتى تلك اللحظة أى بلد نام ، ووصل إلى ذلك المدى فى النضال المعادى للإمبريالية على الصعيد الاقتصادى مثلما فعلت مصر بتأميم شركة قناة السويس ، هل كان من الضرورى أن يكون الباب مفتوحا أمام الدول الإمبريالية لاستعادة المواقع الاستعمارية القديمة ، ذلك كان هو السؤال المطروح والذى دارت حوله الصراعات .

- تعليق ناحوم جولمان على اشتراك إسرائيل فى عدوان ٥٦ : « لقد ثبتت هذه المشاركة لدى العالم العربى إلى الأبد . صورة إسرائيل كحليف للقوى الإمبريالية »
 - وتعليق صحيفة تايمز اللندنية :
- إذا ما نصح عبد الناصر فى فعلته ، فإن المصالح البريطانية والمصالح الغربية الأخرى ستختفى فى منطقة الشرق الأوسط .

الأستاذ أحمد حمروش : السادة الضيوف .. الزميلات والزملاء ..

نفتتح الجلسة الخامسة من الندوة بمحدث وبحث يقدمه البروفيسور مارتن روبا
أستاذ التاريخ في أكاديمية العلوم بألمانيا الديمقراطية والكاتب البارز الذي أصدر
أكثر من كتاب حول القضايا العربية الراهنة. وخاصة في الصراع العربي
الإسرائيلي .. وهو أيضا رئيس جمعية الصداقة الألمانية المصرية ..

وأود هنا قبل أن يتحدث البروفيسور أن أئوه بالدور الذي تلعبه جمهورية
ألمانيا الديمقراطية في التعاون المبدئي الثابت مع مصر رغم ما قد يكون هناك من
خلافات أحيانا في وجهات النظر .. إلا أنها كانت دائما وفي ظل أحلك الظروف
تمد يدها بالمساعدة .. والتعاون والتضامن .. وهو موقف يذكر لجمهورية ألمانيا
الديموقراطية فيشكر ..

والآن البروفيسور مارتن روبا ..

بروفيسور مارتن روبا : شكرا سيدى الرئيس ..

أو أن أبدى بعض الملاحظات على موضوع معركة قناة السويس عام ١٩٥٦
الأحداث وخلفياتها ..

تمتلك مصر تاريخا غنيا حافلا بالنجاحات والانتكاسات مثلما هو عليه الحال
عموما بالنسبة لحياة الشعوب والأفراد .

إننا نكرم هنا سلسلة أحداث عام ١٩٥٦ ، ذات العلاقة بقناة السويس .
فهى لاتمثل حدثا بارزا فى التاريخ المصرى فحسب ، بل أيضا فى الصراعات

الدولية الجارية ما بعد عام ١٩٤٥ من أجل إعادة تكوين العالم . وقد اغتنمت جمعية الصداقة بين جمهورية ألمانيا الديمقراطية ومصر في برلين هذه الفرصة قبل حوالى أسبوع لتناول تلك السلسلة من الأحداث بالتفصيل من خلال ندوة خاصة بها . إننا نقبل بامتنان دعوة لجنة التضامن المصرية لهذا السيمينار ، وأود أن أعرب عن شكرى لها باسم جمعية الصداقة الألمانية - المصرية ولجنة التضامن في جمهورية ألمانيا الديمقراطية .

لقد كانت أحداثا مثيرة تلك التى وقعت عام ١٩٥٦ على ضفة قناة السويس وحوها . ففي يوليو/ تموز عام ١٩٥٢ استولى العسكريون الوطنيون المتحدون داخل التنظيم السرى « الضباط الأحرار » بقيادة جمال عبد الناصر ، على السلطة داخل الجيش والدولة في مصر . ومهدوا الطريق لقيام ثورة معادية للملكية والاقطاع والإمبريالية ، واستمر بذلك انهيار نظام الاستعمار الإمبريالى الذى كان قد بدأ في الأربعينات في آسيا . وقاموا في عام ١٩٥٦ بتأميم شركة قناة السويس التى كانت مازالت تشكل معقلا قويا للرأسمال الأجنبي في البلاد .

ووضعت الخطوة الآتية الذكر مقاييس في النضال من أجل التحرر الوطنى والاجتماعى . وقد ولدت ردود فعل متعاكسة . فقد رحبت بها كافة تلك الشعوب ، كما كتبت الصحيفة الهندية « ناشيونال هيرالد » ، « التى حررت نفسها في السنوات الأخيرة من السيطرة الأجنبية وأحرزت المساواة السياسية مع الأمم المتقدمة في الغرب والتي تسعى حاليا إلى المساواة الاقتصادية » وقد أعرب الطرف الإمبريالى عن دهشته وسخطه . فبالإضافة إلى الخسارة المباشرة التى منى بها ظهر الخوف من أن يبنى بما هو أسوأ منها . فقد تحدث رئيس الوزراء البريطانى انتونى إيدن عن عملية « سرقة » . وكتبت صحيفة « تايمز » اللندنية في ١ أغسطس/ آب عام ١٩٥٦ قائلة : « إذا ما نجح عبد الناصر في فعلته ، فإن المصالح البريطانية والمصالح الغربية الأخرى ستخفى في منطقة الشرق الأوسط » .

واندلعت معركة حول قناة السويس ، اتخذت في البداية طابعا دبلوماسيا وفيما بعد طابعا عسكريا .

وأرادت الدولتان اللتان كانتا متأثرتين بصورة رئيسية من هذه الخطوة وهما فرنسا وبريطانيا العظمى ، ابتزاز مصر ديبلوماسيا . ولهذا الغرض وجهتا الدعوة لعقد مؤتمر دولي في أغسطس/آب وسبتمبر/أيلول عام ١٩٥٦ في لندن . إلا أنها لم تحققا أى نجاح في ذلك .

وأوضحت المناقشات التي جرت في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في سبتمبر/أيلول وأكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٥٦ عدم التوافق في المواقف . وأبدت مصر استعلادها لضمان حرية الملاحة في القناة ، إلا أنها رفضت أى تدخل في سيادتها . وساند كل من الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا موقفها المبرر تماما . وتحدث وزير الخارجية السوفيتي قائلا بأن هناك قوى إمبرالية تريد إعادة الأوضاع الاستعمارية البالية في مصر تحت راية ما يسمى بتدويل قناة السويس .

وهذا ما كان عليه الأمر بالفعل . فلم يكن هناك حتى تلك اللحظة أى بلد نام وصل إلى ذلك المدى في النضال المعادي للإمبريالية على الصعيد الاقتصادي مثلا فعلت مصر بتأميم شركة قناة السويس . فهل كان من الضروري أن يكون الباب مفتوحا أمام الدول الإمبريالية لاستعادة المواقع الاستعمارية القديمة ، ذلك كان هو السؤال المطروح والذي دارت حوله الصراعات ؟

ومارست الدول الاشتراكية إضافة إلى تضامنها في الساحة الدولية ، تضامنا عمليا من أجل تقوية موقف مصر . فقد أرسل الاتحاد السوفيتي ٢٠٠,٠٠٠ طن من القمح . وأرسلت بعض الدول ومن بينها جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، مرشدين للسفن ، ساعدوا في استمرار عملية الملاحة في قناة السويس . ونظرا لعدم تمكن كل من فرنسا وبريطانيا العظمى من إحراز أى نجاح ،

حضرتا سوية مع إسرائيل للقيام بهجوم عسكري . ولم تريدا فقط استعادة السيطرة على قناة السويس بل فضلا عن ذلك توجيه ضربة قوية لحركة التحرر الوطني بمجملها . وكانت فرنسا مهتمة بالدرجة الأولى بخصوص الجزائر ، التي كان قد بدأ فيها الكفاح المسلح من أجل التحرير في عام ١٩٥٤ . وكان الفرنسيون مقتنعين ، كما كتب فيما بعد أنتوني نوتنغ ، وهو وزير دولة سابق في وزارة الخارجية البريطانية بأن « المقاومة الجزائرية ستهاجر في اللحظة التي يتم فيها القضاء على عبد الناصر » .

الحرب الباردة التي شنتها الإمبريالية ضد الدول الاشتراكية وضد قضية التحرر الوطني قد وصلت في تلك الآونة إلى ذروتها . وكان سياسيون في دول إمبريالية ما زالوا يعتقدون ، متأثرين بروح الحرب الباردة ، أن بإمكانهم العمل وفقا للطريقة القديمة للأسياذ الاستعماريين .

وهاجمت إسرائيل في ٢٩ أكتوبر/ تشرين الأول مصر في شبه جزيرة سيناء بعد أن كانت قد اتفقت مع حلفائها . وشاركت القوات الفرنسية والبريطانية بدعا من ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول في العدوان . وقامت بقصف المدن الكبيرة والمطارات المصرية من أجل مساندة الهجوم الإسرائيلي وتحطيم معنوية المواطنين المصريين .

ووقعت مصر في وضع حرج . إذ كان الأمر يتعلق بسيادتها كدولة كما كان يتعلق بمصير الثورة التي بدأت في عام ١٩٥٢ . وتوجه ناصر إلى الشعب المصري قائلا : « إننا سنناضل ولن نستسلم . إننا سندافع عن كل قرية وعن كل بلدة . إن كل مصري هو اليوم أحد أفراد جيش التحرير الوطني » .

وشجبت الحكومة السوفيتية في ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول العدوان الإسرائيلي . وطالبت الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة - تعذر انعقاد مجلس الأمن بسبب الفيتو الفرنسي والبريطاني - في ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني بالأغلبية الساحقة الطرفين المتحاربين بوقف إطلاق النار فوراً ، وعقد اتفاقية

لوقف إطلاق النار وسحب قواتها إلى ما وراء الحدود الأصلية .

وتجاهل المعتدون مطالب الأمم المتحدة وواصل الإسرائيليون تقدمهم واحتلوا من بين المناطق الأخرى شرم الشيخ . واتخذ الفرنسيون والبريطانيون موطئ قدم لهم في الجزء الشمالي من منطقة قناة السويس . وعرقلت أكثر من ٥٠ من السفن التي تم إغراقها ، الملاحة في قناة السويس .

وفي الخامس من نوفمبر/ تشرين الثاني بعد الظهر ، أثمرتداد رقعة المعارك وجه الاتحاد السوفيتي رسائل إلى كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وإسرائيل . وحذر بكلمات جديدة من مغبة استمرار الحرب ، التي وصفها بأنها حرب استعمارية سافرة . واتخذت دول اشتراكية أخرى ومن بينها جمهورية ألمانيا الديمقراطية موقفا حازما أيضا ضد العدوان وأعربت عن تضامنها مع الشعب المصري . وجاء في بيان بهذا الخصوص بأن حكومة جمهورية ألمانيا الديمقراطية « تدعم بكل حزم النضال العادل للشعب المصري » . وهي « تعلن عن تضامنها مع المطالب العادلة للشعب المصري ، وعلى الأخص مع مطالبته بإعادة السيادة الكاملة لمصر على أراضيها ، وهي ستقدم لها الدعم بكل ما يتوفر لديها من وسائل » . وتكونت في جمهوريتنا لجنة « المساعدة الودية لمصر » التي تولت تنسيق العمليات التضامنية لمواطني جمهورية ألمانيا الديمقراطية .

ووجدت البلدان النامية نفسها نتيجة لما حدث على ضفة قناة السويس بأنها في مواجهة التحدي بشكل مباشر . فقد كان الاستقلال عن الإمبريالية ، الذي كان الصراع يدور من أجله ، من صلب مهماتها .

وفي ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول بالذات أدانت الحكومة الهندية العدوان الإسرائيلي . وتحدثت عن انتهاك سافر لميثاق الأمم المتحدة ، يمكن أن يؤدي إلى اتساع رقعة الحرب .

وفي اليوم التالي أعلن جواهرلال نهرو بخصوص التصرف البريطاني الفرنسي قائلا : إنه لم يشهد من خلال خبراته التي اكتسبها في ميدان السياسة الخارجية ،

أى حالة أكبر من هذه العدوانية الغاشمة . إن الأمم المستقلة والواعية في آسيا وأفريقيا لن تسكت على مثل هذا الشيء . وفجر المناضلون الوطنيون في سوريا كتضامن فعلى مع مصر ، أنابيب النفط ومنشآت الضخ التابعة لاحتكارات إمبريالية . وقطعت العربية السعودية العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا وبريطانيا العظمى وحظرت شحنات النفط إلى البلدين . وفي العراق امتزج السخط ضد عدوان السويس بالاحتجاج ضد نظام الحكم المحلى الرجعى والمؤيد للإمبريالية .

واصطدم المعتدون أيضا بمقاومة في بلدانهم بالذات فقد قام بريطانيون بمظاهرات احتجاج لدى توارد أنباء الغارات الجوية على مصر ، فخرج الشغيلة إلى الشوارع واحتج نواب حزب العمال في مجلس العموم . وسادت أثناء المناقشة البرلمانية مظاهر اضطراب بحيث كان من الواجب قطع الجلسة - ولم يحدث شيء من هذا القبيل منذ ٢٠ عاما .

وكانت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى وإسرائيل على وشك إحراز انتصار عسكري . ولم يكن ذلك أمرا يبعث الاستغراب . إذ كانت القوى الثلاثة متفوقة من الناحية العسكرية ، وكان المصريون قد فوجئوا بالهجوم .

وكان المعتدون قد تهيأوا للاحتفال بالنصر . وتباهى ديفيد بن غوريون أمام الكنيست بأن الإسرائيليين قد احتلوا منطقة تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة بلدهم بالذات وذلك قبل أسبوع واحد . وأصبحت الحدود المتفق عليها مع مصر حسب اتفاقية وقف إطلاق النار عام ١٩٤٩ لاغية ، ولا يمكن لأى ضغط مهما كبر أن يزعزع تصميم إسرائيل على التمسك بالمواقع الحالية . ووصف صحفيون بورجوازيون الخطاب الذى ألقاه بن غوريون بأنه « خطاب النصر » .

ومع ذلك فقد أخطأ المعتدون الحساب . فالانتصار الذى ظنوا أنه بين أيديهم قد أفلت منهم . ومنوا بالهزيمة .

كيف حصل التحول المفاجئ؟

لقد تغير العالم بشكل حاسم عما كان عليه عندما كانت تتوج فيه الممارسات الاستعمارية القديمة بالنجاح . فقد قام النظام الاشتراكي . وكانت قوته الرئيسية الاتحاد السوفيتي بدرجة كافية من القوة بحيث تضع حدا للمعتدين الإمبراليين . وكان الانذار الذي وجهه محذرا من عمليات عسكرية ، حسب رأى نهرو ، عاملا حاسما أدى إلى قبول فرنسا وبريطانيا العظمى وإسرائيل بوقف إطلاق النار . وحطمت حركة التحرر للشعوب المستعمرة وشبه المستعمرة مدعومة من قبل الاشتراكية ، نظام الاستعمار الإمبريالي ، وجرى عام ١٩٥٥ بمشاركة وفد مصري برئاسة عبد الناصر مؤتمر باندونج الذي شكل علامة بارزة من خلال ولائه المعادي للاستعمار وكذلك من خلال إقراره لمبادئ التعايش السلمي . ولم تكن الحركة العالية شأنها شأن بقية القوى الديمقراطية في دول إمبريالية ، مستعدة للقبول بالعودة إلى الممارسات الاستعمارية القديمة .

وتبع ذلك منافسات بين الأطراف الإمبريالية .

وقد أرادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تحقق فائدة مضاعفة من هذا الوضع . فقد كانت تؤيد بصورة أساسية توجيه ضربة قوية لحركة التحرر الوطني بغية إضعافها . ومن هذا المنظار أيدت تصرف المعتدين الثلاثة . وكانت تريد في نفس الوقت أن تحتل في الشرق الأوسط مواقع القوى الاستعمارية « التقليدية » وهذه هي السياسة التي بدأت بوضع مخططاتها في عام ١٩٤٣ . وهذا ما جعلها تؤكد على تقاليد ديمقراطية خاصة بها وتندد بالاستعمار « القديم » . ويدخل في إطار هذا النهج ما أعلنه ايزنهاور في رسالة إذاعية بخصوص ما يدور حول قناة السويس ، بأن حكومته « لاتعتبر استخدام العنف ضربا من الذكاء وليس الشكل المناسب لحل أزمت دولية » . ولم يستطع المعتدون الثلاثة على هذا النحو الاعتماد على دعم الولايات المتحدة الأمريكية عندما أصبح الوضع حرجا بالنسبة لهم .

وأوقفت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى ، بعد أن كررت الجمعية العامة

للأمم المتحدة مطالبتهما بوقف إطلاق النار ، عملياتها الحربية في السادس من نوفمبر/ تشرين الثاني ، وقامت بسحب قواتها من الأراضي المصرية لغاية ٢٢ ديسمبر/ كانون الأول .

وتردد الحكام الاسرائيليون في البداية في التخلي عن المناطق المحتلة . إلا أنه وجب عليهم هم أيضا اتخاذ قرار بالانسحاب . وأعربت جولدا ماير فيما بعد عن أسفها لعدم قيام كل من فرنسا وبريطانيا العظمى بالتصرف السريع والحازم عسكريا بصورة كافية ، وبسبب ذلك ظهرت بوادر احتجاج في الرأي العام في الدولتين . « فلو كان هذا الهجوم الانجليزي - الفرنسي على السويس أكثر مفاجأة وفعالا لكان من المحتمل أن يهدأ تيار الاحتجاج في البلدين أمام الأمر الواقع . وكانت هذه الفكرة تشغلني مرارا منذ ذلك الحين » .

تعود الأحداث التي دارت حول قناة السويس عام ١٩٥٦ في هذه الأثناء إلى ثلاثين عاما مضت ، غير أن لها علاقة مع الوقت الحاضر من جوانب متعددة ، ولهذا السبب التقينا نحن هنا اليوم أيضا .

أولا : كان على الشعب المصري في عام ١٩٥٦ أن يجتاز مرحلة اختبار قاسية . فقد أطلت الثورة المضادة برأسها ، كما أكد ذلك عبد الناصر في وقت لاحق . وأردف قائلا : « وكان هناك خونة في ذلك الوقت ... لكن أمانة الشعب تغلبت عليهم ... لقد دافع هذا الشعب عن الثورة » . وقد نالت مصر الآن بالفعل استقلالها حسب تقييم السياسي والناشر البريطاني فينير بروكوي . وانهارت الهيمنة البريطانية نهائيا .

وانبتق عن الصراعات التي دارت حول قناة السويس واقع جديد تماما ، أثبت على أنه واقع دائم .

وأثبت عبد الناصر جدارته كمناضل وطني صلب على رأس شعبه وعلى رأس الثورة التي بدأت في عام ١٩٥٢ . وازدادت هيئته في مصر وفي كافة أنحاء العالم العربي بصورة سريعة . ولم يتجرأ أي رئيس دولة عربي آخر تقريبا على مهاجمته

بصورة علنية . وعندما تشكلت عام ١٩٦١ في بلغراد حركة 'دول عدم الانحياز' ، كان هو إلى جانب نهرو وجوزيب بروز تيتو من رموزها القيادية . إن القرن العشرين ما زال يدخر حوالى عقد ونصف من الزمن . إلا أنه يمكن القول منذ الآن : بأن عبد الناصر هو من بين أولئك الأشخاص الذين ساهموا مساهمة حاسمة في صياغته .

ثانيا : ظهر في عصرنا بأن هناك ارتباطا متزايدا ما بين الأحداث الوطنية والعالمية . فمقاومة مصر لقوتين إمبرياليتين ، كانتا سابقا رائدتين في التقسيم الاستعماري للعالم لم تكن ممكنة إلا لأن ميزان القوى العالمى قد تغير لصالح القوى الثورية والمعادية للإمبريالية ولأن المصريين حظوا بمساندة على النطاق العالمى من قبل قوى متباينة إلى أقصى حد في طابعها الاجتماعى أو السياسى - الأيديولوجى ، غير أنها كانت موحدة في تصميمها على حماية السلام والسيادة الوطنية لشعب من الشعوب . وساهمت الصلابة المصرية بدورها في مواصلة تغير العالم ، بعيدا عن هياكل الاستغلال والاضطهاد ، وصولا إلى المساواة السياسية والاقتصادية في تعايش الشعوب والدول . وتحسنت المواقع بالنسبة للوطنيين الذين كانوا مازالوا يناضلون من أجل الحصول على دولة خاصة بهم - كما هو الحال في الجزائر وفي شبه الصحراء الأفريقية - وحصلوا على تشجيع في نضالهم .

وهذا ما ظهر أيضا في الحركة الوطنية الفلسطينية التي كانت في طور التكوين من جديد . وكان الوطنيون الفلسطينيون كجميع العرب متأثرين أشد التأثير بالجزءة التي تحدى فيها عبد الناصر كلا من بريطانيا العظمى وفرنسا ، كما أعلن ذلك أبو إياد (صلاح خلف) وهو من بين مؤسسى حركة فتح . فقد أعاد الرئيس المصرى لشعبه ملكية مشروعة - إلا أنه أعاد في نفس الوقت أيضا لجميع العرب لابل لكافة شعوب «العالم الثالث» كرامتها وثقتها بالنفس .

ثالثا : في نوفمبر/ تشرين الثانى عام ١٩٤٧ صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة بغالبية الثلثين المطلوبة على تقسيم فلسطين وإقامة دولتين على أرضها هما

دولة عربية فلسطينية ودولة يهودية وكذلك تدويل منطقة القدس . وكان ذلك بمثابة حل وسط كان من المقرر أن يتم بواسطته إتاحة الامكانية للشعب العربي كما للشعب اليهودي في فلسطين ، لتحقيق حقها في تقرير المصير الوطني ، إلا أن هذا الحل الوسط لم يتحقق في ذلك الوقت . وتأسست في الحقيقة إسرائيل في مايو/ أيار عام ١٩٤٨ ، بيد أن الفلسطينيين ظلوا بدون دولة . وبذلك فشلت حينذاك مهمة منظمة الأمم المتحدة في إيجاد حل متكامل لأزمة فلسطين . وتولدت أزمة الشرق الأوسط كأزمة إقليمية .

وقامت إسرائيل بخطوة ذات عواقب وخيمة ، عندما وقفت في عام ١٩٥٦ إلى جانب كل من فرنسا وبريطانيا العظمى في الحرب في خضم الوضع المحتدم . وتظاهرت علانية على أنها بمثابة « قوة لحفظ النظام » موالية للإمبريالية في الشرق الأوسط . وأشار ناحوم جولدمان قائلا : « إن تلك العملية ثبتت لدى العالم العربي إلى الأبد صورة إسرائيل كحليف - للقوى الإمبريالية - . واتسع الشرخ القائم سلفا بين إسرائيل والدول العربية .

الجلسة الرابعة :

القسم السادس :

العلاقة بين معركة الجزائر ومعركة السويس كلمة : الجنيدى خليفة

فى ذلك الصيف الحار من سنة ٥٦ ، وبينما كانت القيادة المصرية تعد لتأميم شركة قناة السويس ، انعقد فى إحدى المناطق المحررة بالجزائر مؤتمر الصمام الشهير الذى كان أول لقاء شامل بين قادة الثورة لتنظيم الكفاح وتصعيده . وعندما كانت الثورة المصرية قيادة وشعبا تتصدى للعدوان الثلاثى بعد إعلان التأمين كانت شقيقتها فى الجزائر على أبواب دخول عامها الثالث من كفاحها المظفر وهى أشد كرامة وأقوى عزيمية من ذى قبل .

- نص المقال الذى نشرته مجلة المجاهد الجزائرية السرية بعد إعلان تأميم قناة السويس .
- مسئول بجهة التحرير الجزائرية وشاهد عيان يكتب فى مجلة المقاومة « ماآه فى القاهرة يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ .

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للبروفيسور مارتن روبا على كلمته القبمة
وأعتقد أننا في حاجة لسباع كلمة شعب الجزائر الذي نحتفل معه اليوم بعيد
انطلاق ثورته في الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ ..

يحدثنا الأستاذ الدكتور الجنيدي خليفة الأستاذ بجامعة الجزائر وأحد المناضلين
القدامى للثورة الجزائرية .. وصاحب مؤلفات عدة في قضايا الجزائر والعالم
العربي .. فليفضل الأستاذ الدكتور الجنيدي خليفة ..

الدكتور الجنيدي خليفة : السيد الرئيس .. سيداتي وسادتي ..

اسمحوا لي أن أبدأ كلمتي بأن أوجه الشكر الجزيل الصادق للأخوة الأفاضل
مسئولى اللجنة المصرية للتضامن على كرم الضيافة وحسن الاستقبال ونبل
العواطف التى ماتزال إلى اليوم يحظى بها الجزائر فى أرض الكنانة كما حظى بها من
قبل وأثناء ثورة التحرير وخلال مراحل الدراسة وفى غيرها من المناسبات ..

وإنه إذا كان الشىء من معدنه لا يستغرب كما يقول بحق مثلنا العربى القديم
فلا بد من أن أنوه بهذه الفرصة التى أتاحت لنا حضور مناسبة عظيمة كهذه ..
عظيمة من حيث موضوعها ومن حيث عناصرها الدوليين وشخصياتها الوطنية
الجليلة التى أسهمت فى مجريات الأحداث وتسييرها فتشبعت الندوة بثرء الفكر
وزخم الخبرة والمعاناة ..

وهل أنا فى حاجة أيها السادة إلى القول بأن كل هذا يأتى ونحن فى إحدى
الذكريات السنوية لثورة نوفمبر العظيمة .. وإذا كانت براعة تنظيم الندوة قد
جعلتها تختار هذا اليوم بالذات غرة نوفمبر .. موعدا للإلقاء كلمة الجزائر حتى

نشترك جميعا في إحياء المناسبة .. فإن الأحداث الفعلية هي التي اختارت ومنذ ثلاثين سنة أن تتزامن عبر الأسابيع والأيام والساعات موجات المد الثورى فى كل من الجزائر ومصر ..

فى ذلك الصيف الحار من سنة ٥٦ وبينما كانت القيادة المصرية تعد لتأميم شركة قناة السويس انعقد فى إحدى المناطق المحررة بالجزائر مؤتمر الصمام الشهير الذى كان أول لقاء شامل بين قادة الثورة لتنظيم الكفاح وتصعيده .. وعندما كانت الثورة المصرية قيادة وشعبا تتصدى للعدوان الثلاثى بعد إعلان التأميم كانت شقيقتها فى الجزائر على أبواب دخول عامها الثالث من كفاحها المظفر وهى أشد مراسة وأقوى عزيمة من ذى قبل ..

وفى كلتا المناسبتين .. وأيضا فى غيرهما كانت الجزائر وهى تصارع ببطولة قدرها تعيش من على البعد المكاني ما يعيشه أى وطنى فى أرض الشقيقة الكبرى .. الشقيقة الكبرى من الأسماء التى كان يستعملها الثوار فى نعت الشقيقة الكبرى كما لقبت بحق ولا تزال .. ما يعيشه من غضبة الأبى والاستعداد للتضحية وفرحة الانتصار ..

ولولا هذا البعد المكاني أو بالأحرى العمق الجغرافى والتهاب المشاعر لما ميز الجزائرى فى الجبال أو الفدائي فى المدن بين مايقوم به هو وما يقوم به إخوانه فى بورسعيد والإسماعيلية وغيرهما أثناء العدوان .

ومعركة الجزائر أيضا

وكل من يعرف تعطش الشعب الجزائرى للحرب ويعرف كذلك عواطفه تجاه ثورة ٢٣ يوليو وشدة تقديره للرئيس الراحل جمال عبد الناصر كرمز واعتزازه به وبمبادئه ومواقفه كبطل نادر للعروبة يعرف أو يستنتج متأكدا أن معركة تأميم القنال ومعركة العدوان الثلاثى كانت وبدون مجاز معركة للشعب الجزائرى .. وأن الانتصار الذى توجت به المعركتان هو انتصار له أيضا .

أکید أن هذه المشاركة كانت تشمل الوطنيين في أنحاء العالم العربي بل وفي أنحاء كثيرة أخرى من مواطن الشعوب المكافحة أو على المستوى الفردى والحزبى لشخصيات ومؤسسات جعلت من حياتها ومبادئها مناصرة الشعوب المكافحة من أجل السيادة والحياة الأفضل .

نعم .. هنا صحيح والندوة الموقرة تدل عليه بمواضيعها وإسهام بعض الشخصيات الدولية والعربية فيها .. ولكن اسمحو لى أن أضيف أن المشاركة من أرض المعركة هى إلى جانب التجاوب أو بالإضافة إلى التجاوب هى حضور حى للحدث معاناة وتقمصا وتحويلا إلى فعل يحمل مده الأول وتفاعلاته الجديدة معه ..

ولست أقول هذا من باب منافسة إخواننا العرب بالآخزين ولكن لكى أشير إلى أن العنوان الذى أعطى لكلمتى أى « موقف الجزائر مفهومه من تأميم قناة السويس والاعتداء الثلاثى » .. تكتنف معالجته صعوبات منهجية وعملية إذ أن العنوان يشير إلى إمكانية اختلاف أو تعدد فى وجهات النظر كما حدث مثلا فى موقف كل من أمريكا والاتحاد السوفيتى أو على الأقل كما يمكن أن يحدث بين الأصدقاء العرب والعرب أنفسهم من الوطنيين الثوريين .

وهذا بلاهة ليس واردا .. وقد سبقنى إلى التنبيه إلى ذلك أمس مساء الأخ ممثل منظمة التحرير الفلسطينية . ومن هنا فلم يكن للجزائر الثائرة من موقف آخر تجاه تأميم القناة وما تلاه من أحداث سوى موقف الشعب المصرى نفسه وقيادته الثورية ..

وحق بالنسبة للذى يجهل العلاقة الروحية بين الثورتين يمكنه أن يستدل عليها من واقع العدوان نفسه .. فسواء .. فسواء أكان ثالث الطرف الفرنسى جى موليه ولاكوست .. وبورجيس مونوريه يؤمنون فعلا .. أولا يؤمنون بأن إعانة حاسمة كانت تلتقاها ثورة الجزائر من مصر بحيث يؤدى ضرب مصدرها إلى القضاء على الفلاجه بين قوسين .. أقول بصرف النظر عن ذلك فإنهم يعلمون -

ولعل هنا هو مطلبهم الأساسي - أنه لو تم انتصار للعدوان لأصاب ذلك ثوار الجزائر بجرح عميق وربما يخفض معنوياتهم ..

كما أن أي انتصار في أي قطر عربي وخاصة في موقع الأحداث الساخنة بمركز الثقل : مصر .. سيرفع من هذه المعنويات ويمدهم بطاقة روحية جديدة ..

فليس من الوارد إذن أيها السادة أن أستعرض موقف الجزائر على النحو المشار إليه .. وإذا كان ولا بد من الاحتفاظ بجذر العنوان احتراماً للنسوة وبرامجها .. وليكن بدلا من موقف الجزائر .. وقفة الجزائر .. وقفة الجزائر مع معركة القتال .. لا أن هذا بدوره لا يخلو من صعوبة عملية ..

فالناس - لكي تتبع افتراضيا تلك الوقفة - فالناس في ذلك الوقت في الجزائر - حيث كانوا يصنعون التاريخ - لم يتسع وقتهم ولا اهتمامهم لكتابة مذكرات عنها أو البحث عما إذا كان من الممكن تسجيل الأحداث بالصوت الصورة .. على كل حال لم تتقدم هذه الوسائل إذ ذاك بعد .. وأغلب ما حصل ن ذلك على قلته كان يتم بواسطة الأصدقاء من صحفيي الخارج أو بواسطة أجهزة الاستعمارية نفسها التي تختار بطبيعة الحال ما تسجله أو تنشره .

ثم إن ردود الفعل لا تتمثل فقط في الظواهر المشاهدة .. فقد تكون المعاناة الداخلية أورم وأشد .. وعلى أية حال .. وبصرف النظر عن كل هذه الاعتبارات عملية فإن النتيجة الوحيدة لهذه الوثائق الافتراضية - أقصد لو أنها كانت موجودة - لن تؤدي إلى أكثر من البرهنة على بديهية .. أو كما مثل القدماء للجمله ير المفيدة : بالسما فوقا .. والأرض تحتنا .. أو تعريف الماء بالماء بعد الكد لعناء .. واستسمحكم في ذلك .

بلى .. قد يكون من المقبول منهجيا أن يحدد جانب من الموضوع ويدرس من وية معينة بالطريقة التي تناسبه .. لو كنا محتاجين إلى ذلك ..

مثلا : ماهو الطابع الأبرز الذى اتخذته العمل العسكرى والسياسى فى هذه الفترة ؟ أقصد فى الجزائر ..

هل تناقص أم ازداد مثلا معدل هذا النشاط ؟ وما هو نوع الارتباط مع معركة القنال ؟.. وماهى الدلالة الاجتماعية لانخفاض هنا أو ارتفاع هناك ؟.. وقد يكون الانخفاض عائدا مثلا إلى صرف مزيد من الوقت فى الاستماع إلى الإذاعات لالتقاط أخبار معركة القنال ..

لإ أن مثل هذه البحوث فضلا عن احتياجها إلى وقت طويل للإنجاز - وأنا حضرت كلمتى هذا الصباح - هى إلى الطرافة أقرب منها إلى ندوتكم الموقرة التى فهمنا من كلماتها ومناقشاتها وروحها السائدة أنها دعوة إلى النضال انطلاقا من نماذج رائعة فى النضال .. وأبعد ماتكون عن التمارين العلمية والاحصائية .. سيداتى سادتى ..

إنكم تعرفون عن جزائر الثورة وخاصة فى علاقتها الحميمة مع شقيقتهما الكبرى .. ما أعرفه أنا على الأقل .. أى ما يعرفه جيلى من المنتمين إلى الثقافة الوطنية .. وإذا كان البعض هناك فى الجزائر أو من الجزائريين قد يعرف أشياء إضافية بحكم الاحتكاك .. فلا شك أن الشخصيات الموقرة التى كان لها ارتباط بالثورة وبالقيادة الثورية فى مصر .. لتعرف - لام توكيد - المزيد وبالجملة فإنى أعتقد أن الهدف الأساسى من برجة عنوان الكلمة على النحو المذكور هو إلى الدلالة الرمزية أقرب .. ولا سيما وقد أشرت إلى ذلك بداية أنه يصادف الاحتفال بالذكرى السنوية لثورة غرة نوفمبر والذكرى السنوية لمعركة القنال .

وليس أبلغ رمزية .. وأوضح دلالة من أن تتعاقب المناسبتان وبهذا الجمع الموقر فى قاعة واحدة .. كما تعانقت من قبل احتفالات الانتصار على العدوان فى الاسماعيلية وبورسعيد .. والاحتفال بالانتصار على الاستعمار فى الجزائر .. طيلة ستين .. والاستعداد بعزم لاستقبال باقى سنوات الكفاح ..

وخلافا لما يوحى به الاعتقاد أو الفقرة الآتية .. فإنى إذا سمحتم سأواصل مع

ذلك كلمتى .. ليس فقط لأنه من غير المستساغ التكلم عدة دقائق للاعتذار عن الكلام .. وإن كان المنهج فى أساسه عزيزا بحكم المهنة .. ولكن أيضا لأن هناك مستوى آخر غير الشهادة الحية مقبول عالميا فى الاعتماد عليه كمرجع فى قراءة الأحداث واستدلال المواقف والاتجاهات التى تتخذ بصدها ..

هذا إضافة إلى أننا لانعرف سلفا نوع القارئ الذى قد تقع بين يديه هذه الكلمة إن هى أتيج لها الحفظ .. وقد يكون أجنبيا بعيدا أو شابا لم يعايش تلك الأحداث وبالتالي لايعرف تلك العلاقات الحميمة بين الجزائر الثائرة والقيادة المصرية الثائرة والشعب المصرى الثائر ..

بل لماذا لانقول إن كثيرا من الأحداث الوطنية إن لم تظل تتلقى التغذية والتعهد المستمر بطريقة أو بأخرى قد يعترها الإنكار أو حتى النسيان ..

من مجلة المقاومة الجزائرية

والمرجع الذى سأعتمد فى بيان موقف الجزائر مع كل التوضيحات السابقة هو مجلة المجاهد وهى اللسان المركزى لجهة التحرير الوطنى .. ومجلة المقاومة الجزائرية .. وهى لسان حال جبهة وجيش التحرير الوطنى ..

ويمكن إذا سمحتم أن أقسم المقتطفات التى سأقدمها بحسب نوعها إلى نماذج أربع ..

نموذج من التحليلات للموقف .. وثانى من المواقف المعلن عنها فى صيغ رسمية .. وثالث تعليقات ورابع شهادات حية ..

أما من حيث الموضوع .. فباستثناء تأميم القناة .. فإنه من الطبيعى أن يتداخل هذا مع موضوع العدوان الثلاثى والتصدى له والانتصار عليه ..

أولا : نموذج من التحليلات للموقف وأرجوكم المعذرة ..

إذن أولا التأميم .. وقبل حصول العدوان .. وإنما بعد الإعلان عن

التأميم .. تحت العنوان : بين قناة السويس والجزائر .. كتبت مجلة المجاهد في عدد رقم ٢ الصادر في يوليو ١٩٥٦ .. وعلى فكرة لا يوجد تاريخ صدور العدد وإنما استنتج بالتقريب من واقع بقية الأحداث الواردة فيه ..

لم يتعد البكباشي عبد الناصر - كلمة قديمة كانت مستعملة حتى هنا في مصر فيما أظن - لم يتعد البكباشي عبد الناصر بتأميمه قناة السويس أن استرجع لمصر ممتلكاتها كلفها تشييده مائة وعشرين ألف نسمة بشرية .. وكان استثماره وإبلا من الذهب على الرأسماليين الغربيين بينما لا تتقاضى البلاد التي يخرقها شيئا من محصولاته أو تكاد ..

ومن ناحية أخرى فقد كانت القناة بموجب أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية هي الداعى الأساسى لسيطرة الانجليز على مصر فقد كانت بريطانيا العظمى إلى هذه الأيام الأخيرة تفرض سلطانها على هذه البلاد ولم ينته هذا السلطان إلا بعد أن تخلص الشعب المصرى من حكم فاروق المزمى وأصبح شاعرا بإهانة الاحتلال الأجنبي وجوره ..

وتمضى الصحيفة قائلة : ثم استمر النفوذ الغربى لاسيما البريطانى معرقلا لكل نمو أو تقدم لمصر خصوصا فى الميدان الاقتصادى .. ومما زاد هذه العرقلة شدة موقف حكومة الرئيس عبد الناصر بعيدة عن كلتا الكتلتين المتنافستين - الملاحظ بين قوسين أن جريدة المجاهد فى طبعها العربية والفرنسية يتناقضان فهناك مشكلة الترجمة وقد لا تبدو الترجمة دائما سليمة - .

وعندما تعين على مصر تنمية امكانياتها الاقتصادية لصيانة استقلالها السياسى .. امتنع الانجلو ساكسون من تمويل سد أسوان دون شروط سياسية .. مع أن ما كان لهذا البناء من مقصد ثانى لم يترك مجالاً للشك ..

وبعد أن تقدم المجلة بعض الأرقام عن فوائد السد وعن الأرباح الطائلة التي يتقاضاها الرأسماليون الأجانب والقليل الذى يعود إلى مصر يلخص الشرعية فى التأميم كما يلى : (وكل الأقوال بالحرف الواحد) ..

فهل كان من الخارق للعادة أن يقع تأميم هذه الثورة لفائدة الشعب المصرى وتمويل أسوان بوجه أدق .. إنها عملية مطابقة للقانون وهى ترجع للسيادة الداخلية دون استثناء ولا يمكن إلا الترحيب بها حيث إنها لا ترمى إلى غير رفع مستوى المعيشة لسكانها وزيادة عن ذلك فإن المساهمين السابقين سوف تعوض لهم حصصهم كما يضمن لهم حق المرور .. أو كما يضمن عموماً حق المرور على القناة طبقاً للاتفاقيات الدولية والمصالح المصرية ..

وتنتقل الصحيفة إلى الموقف الاستعماري من التأميم فتقول :

ويتضح لنا أن هذه الحقيقة الجلية لا يمكن بحال أن تبرر حملة المقت الاستعماري والهستيريا الرأسمالية التي تشنها باريس ولندرة فإن هذين البلدين بما قاما به من السعي الجنائى البغيض ضد حق الشعب فى التصرف بترائمه الطبيعى قد بين لنا أوضح صورة لاستعمارهما التقهقرى ..

ويركز المقال بعد ذلك على تعلات فرنسا التي حاولت من خلالها تبرير حملتها الإعلامية والتحريض على مصر وفتح القوس للتذكير بأن المقال كتب بعد الإعلان عن التأميم ولكن قبل العدوان الثلاثى ..

تقول المجلة فى هذا المهرجان الصخب والتأليب والحملات الهستيرية فى هذا المهرجان تبدى فرنسا نشاطاً فائقاً فقد - نسبت خطأ - فيه إشارة إلى أنه يجب مراعاة الوقت ولكن لا أدري ما هو هذا الوقت .. لم يحدد لى سلفاً هذا الوقت .. فهل الوقت وكأنه جزء من الأبدية .. إذن لسه أمامنا وقت .. أنا لن أكون أبدياً .. يعنى إذا سمحت سأستعرض .. طيب ياسيدى شكراً .. أقول ويتضح لنا أقول فى هذا المهرجان كما تقول الصحيفة فقد نسبت خطأ أو كيداً لمصر نوعاً من الاشراف - وهذه نقطة قد تكون هامة فى المناقشة - فظنت أنها بمهاجمة القاهرة ستضع حلاً لرحلتنا التاريخى المظفر الذى لا يد فيه إلا بدنا .. ولا يحرك له إلا من صميم بلادنا .. والحكومة الفرنسية إذ تقوم بهذه العملية التفضيلية إنما تظهر إصرارها على خلع الرأى العام واخفاء هزائمها المريرة

بالجزائر .. والتصريحات التي تواردتها موليه ولاكوست ليست في الحقيقة إلا انتهاز فرصة التأميم لإخفاء جرائمهم وتعليل عمليات حساباتهم الفاسدة ثم حقدهم وحقاقتهم لسيادة البلاد يدفعهم إلى اتخاذ كل هذا .. يعني يدفعهم إلى اتخاذ تدابير صارمة في رأيهم ضد مصر .. ولو أدى إلى ذلك اشتعال حرب عالمية تغرق فيها حرب الجزائر ..

وتختتم الصحيفة هذا المقال بالإشارة إلى أن القضية حتى كتابته - أي المقال - مازالت في بدايتها مع التعبير عن الأمل في ألا يجرى الانجلوساكسون على مجارات الفرنسيين في موقفهم ..

سميت هذا موقفاً تحليلياً لأنه يعتمد على معطيات خارجية أكثر من اعتماده على انطباعات الكاتب مثلاً .

برقية لعبد الناصر

ثانياً : الموقف الرسمي وقد عثرنا على نموذج منه في مجلة المقاومة الجزائرية العدد اثنين كنا مرجع مكتوب ويتمثل في برقية من المسئولين إلى الرئيس عبد الناصر مع مقدمة من الجريدة تحت العنوان التالي :

« الجزائر الثائرة ومصر المحاربة » ولما للتقديم نفسه من صفة تعبيرية عن الموقف فإننا نشبهه بنصه مع البرقية .. النص : نص التقديم للبرقية :

أثار العدوان الانجليزي الفرنسي الصهيوني على مصر موجة سخط عارمة في جميع الشعوب المؤمنة بالحرية والمحبة للسلام مما أجبر المعتدين الآثمين على أن يتراجعوا مدحورين مذمومين أمام المقاومة البطولية التي أبدتها شعب مصر وجيش مصر بقيادة بطل العرب ومنقذ الكنانة الرئيس جمال عبد الناصر الذي حظيت سياسته الرشيدة بتأييد جميع الأحرار في العالم وأحرار الجزائر أعرف ما يكونوا بقيمة الحرية وتمدد الاستعمار .. ولقد أرسلت إدارة جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني نيابة عن الشعب الجزائري المناضل برقية إلى الأخ الأكبر - وهذا لقب

الرئيس الراحل المرحوم جمال عبد الناصر عند الثوار الجزائريين - إلى الأخ الأكبر
رئيس جمهورية مصر المكافحة تعرب له فيها عن تضامن أحرار الجزائر مع أبطال
وادي النيل وهذا نص البرقية :

المرسل جبهة وجيش التحرير الوطني الجزائري ..

المرسل إليه : السيد جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية ..

النص : إن الاستعمار العدو الألد للشعوب الطامحة نحو الحرية قد شن هجوما
شنيعا جديدا ضد الأمة العربية محترقا في ذلك جميع القوانين العالمية فباسم جبهة
وجيش التحرير الوطني الجزائري نعلن لكم عن غضبنا الصارخ ونرفع احتجاجنا
مع سائر شعوب العالم مجرمين هذا العدوان الغادر وتؤكد لكم تضامنا الايجابي
الكامل في هذه المحنة القاسية الرهيبة التي تجتازها مصر في بطولة ونعرب لكم عن
ثقتنا في انتصاركم السريع التام على المعتدين الآثمين » انتهى النص ..

ثالثا : تعليقات وأقصد بها الانطباعات الاجالية التي تدور حول حدث بارز
مازالت حرارته تتأجج أو هو في أوج الغليان مع إمكانية الاستعانة بما يناسب
الموقف من أقوال الآخرين صحف أو شخصيات بارزة ..

وطبعا الحدث البارز الذي يدور عليه التعليق - سأسرع يا أستاذ حمروش -
هو معركة القنال وتفاعلها وقد أخذت صدفة تقريبا مثلا بعنوان « هزيمة فرنسية
أخرى » وتحت عنوان بخط أصغر : « معركة السويس هي ديان بيان فو شمال
أفريقيا » وطبعا مصر من شمال أفريقيا .. أو يجوز أن تعتبر كذلك جغرافيا وإن لم
تشتهر بهذا الوصف ..

والصدفة والاختيار في هذا المقال هو أنه قد نشر في الصفحة الأولى من مجلة
المقاومة الجزائرية العدد ٣ أول ما فتحت وجدلت الواحد فكان هذا صدفة وكان
اختيارا .. وفيما يلي مقتطفات منه :

نص : عندما كانت الحكومة الفرنسية تعاني سكرات الاخفاق الهائل في

حملتها العسكرية على مصر لم تجد أمامها من وسيلة سهلة تصرف بها الأنظار عن هذا الإخفاق إلا إثارة الضجيج المصطنع حول مسألة المجر - معروفة في ذلك الوقت - ولما كان حبل الكذب قصيرا فإن السياسة الفرنسيين لم يستطيعوا أن يمددوا كثيرا في نفس الصخب المجرى واضطروا إلى السكوت عنه في النهاية والاهتمام بالحقائق التي أخذ شعبهم يعيشها في مرارة في حياته البيتية وفي متجره المتواضع - واحد من الشعب يعنى - وفي مصنعه الضخم وفي وسائل تنقله وأسفاره الجوية نتيجة للحروب والمعاناة التي أدت بفرنسا إلى الانهيار الاقتصادي على الأقل ..

والهزيمة العسكرية والسياسية التي منيت بها في مصر والتي سماها أحد ساستهم « نصف هزيمة ونصف نجاح » - تابع الكلام للنص - هي في الواقع ثالث هزيمة تاريخية تصاب بها فرنسا في مدة لاتزيد عن خمسة عشر عاما وهي هزيمتها في السويس هزيمتها أخيرا في السويس أمام مقاومة الشعب المصرى .. وهزائمها الأخرى أمام الشعوب المختلفة .

بل يذهب المقال إلى أن هزيمتها - هزيمة فرنسا في قناة السويس قد تفوق كل هزائمها الأخرى ويورد في ذلك ما قالته جريدة لاموند الفرنسية : إنه من النادر جدا أن نجد في التاريخ سياسة أفلست بمثل هذه السرعة وبمثل هذا الكمال وبمثل هذا الثبوت (المقصود اليقينية) وبمثل هذا الثبوت الذى لاشك فيه فهي إذن في رأى هذا التعليق أكبر هزيمة حتى ذلك الوقت - أى قبل انتهاء ثورة التحرير الجزائرية - قد أصيبت بها فرنسا ..

ويعد أن يتطرق المقال إلى الموقف التحريضي على الاعتداء الذى وقفه سياسيون بين قوسين مزيفون وعلى رأسهم بطل المدلس يقصد لاكوست - وينتهى المقال بالعبارة التالية : أما الجزائر التي كانت محور المؤامرة كلها فستظل واقفة في حلق لاكوست وأذنا به إلى أن يهوى على ركبتيه أمامها كما هوى من قبل الجبابرة المدلسين في التاريخ .

وهذا اليوم يشهد على صدق النبوءة .

رابعا وأخيرا : من الشهادات الحية .. سأقتصر هنا على فقرة واحدة تمشيا على مبدأ المنهجية الذى حاولت أن ألترم بصرامته ..

شاهد عيان

فالشهادة إذا كانت موضوعية فهى لاتعبر عن موقف وإن كانت مزورة فهى ليست بشهادة .. ولكننى مع ذلك أثبت نموذجاً منها بسبب نشرها فى المجلة الرسمية للجيش والجهة معا أى « المقاومة الجزائرية » العدد ثلاثة فى ٣ ديسمبر ٥٦ .. وبسبب أن الذى قدم الرواية عما شاهدته بالقاهرة كان أحد مسئولى جهة التحرير الوطنى كما جاء فى المانشيت بتاع المقال ..

يقول المسئول نقلا عن المقال المثبت فى المرجع ..

كنت بالقاهرة حينما كانت أسراب الطائرات البريطانية الفرنسية تشن غاراتها الواحدة تلو الأخرى فى الأربع والعشرين ساعة حتى أصبحنا لكثرة الغارات لانفراق بين صفارة الإنذار وصفارة الأمان ولكن فإذا كانت حالة الشعب المصرى أمام هذه الغارات هل ارتبك وخارت قواه ؟! .. هل خاف وتملكه الدعر وهل نغم على جمال عبد الناصر كما كان يرجو المغيرون واغتم هذه الفرصة للتخلص منه .. كلا .. فالروح المعنوية للشعب المصرى كانت عالية جدا ومازادتها هذه الغارات الوحشية إلا حماسا واندفاعا نحو معسكرات جيش التحرير لحمل السلاح والوقوف صفا واحدا فى وجه الطغاة المغيرين وما زادتهم أبواق الدعاية التى كانت تنبعث من لندن وباريس ومن صوت بريطانيا بقبرص .. غير زيادة التعلق بشخص عبد الناصر والاسمات فى الدفاع والمقاومة وليس أدل على ذلك من الهتافات التى كانت تتصاعد من حناجر الجماهير الشعبية المنادية بحياة جمال عبد الناصر وهو يشق طريقه بينهم فى سيارة عارية من غير حارس .. كان هذا فى أخطر أيام مصر وفى الوقت الذى كانت فيه الغارات الجوية على أشدها ..

كان هذا يوم الجمعة ٢ نوفمبر ١٩٥٦ أى فى اليوم الخامس من بدء العدوان
الغادر على مصر.» انتهى النص .

سيداتى سادتى

لقد قلت فى تقديم النص أنه رغم الاحترازات المنهجية لا يخلو من تمثيل
للموقف الجزائرى وقد يضاف إلى هذا الآن .. وقد يضاف الآن إلى هذه
الاحترازات أنه فى فحواه تعبير عن الموقف المصرى وهذا أيضا صحيح ولكن ألم
أقل من قبل إن موقف ثوار الجزائر وثور مصر فى معركة القنال وفى غيرها من
معارك العروبة هو موقف واحد فعلى إذن أن أكون قد حاولت فى عجلة من
الوقت أن أبرز نماذج من ذلك ومابقى كما يقول أندريه جيد فهو عندك ..
شكرا على حسن الاستماع ..

الأستاذ أحمد حمروش : أشكر الأستاذ الدكتور الجنىدى خليفة على كلمته
القيمة التاريخية التى أوضحت لنا موقف شعب الجزائر خلال فترة تأميم وأزمة
السويس وأمامى بعض طلبات للأسئلة والتعقيبات اسمحوا لى أن أطلب وأرجو
من الأخوة المصريين أن يتساهلوا قليلا فى طلباتهم حيث إن ضيق الوقت يحول
دون مزيد من الحديث .. ولو أنى سأشير إلى ماقدم من طلبات .. السفير عبد
المنعم النجار الملحق العسكرى السابق بباريس اشترك فى مساعدة الثورة
الجزائرية عندما كان فى مدريد من ٥٤ إلى ٥٨ .. وكان سفيرا لمصر خلال عهد
ديجول وكان له علاقة وطيدة بالجزائر وأظن .. هذا يعطينا لمحة لما كان سيحدث
عنه فعدرة للسفير عبد المنعم النجار ..

الأخ عصام الجمل عضو نقابة الصحفيين ومدير مكتب صحيفة الوطن
الكويتية فى القاهرة يرجو إعطائه الكلمة للتعليق - حسب تعبيره - على هذا
الجهود العظيم للندوة التى تحولت إلى برلمان عربى عالمى ونقدم له الشكر على هذه
التحية وأعتقد أن فى هذا تعبير عن رغبته فشكرا للأخ عصام ..

الأستاذ أحمد طه طلب بالأمس الكلمة من الأستاذ هيكل وأظن مرة أخرى من الأستاذ منصور حسن ويسمح لي الأستاذ أحمد نيابة عنه أن أوجل كلمته أو أعطيها له إذا كان هناك مزيد من الوقت .

ألمانيا الشرقية وإسرائيل

سؤال من الأستاذ محمد سعد هجرس إلى البروفيسور زوبا يقول : نعرف أن ألمانيا الديمقراطية من البلاد التي لم تقم علاقات دبلوماسية رسمية مع إسرائيل منذ إنشائها على عكس معظم البلدان الاشتراكية .. يسأل ما هي الأسباب لهذا الموقف المتميز ..

الإجابة للبروفيسور زوبا ..

البروفيسور زوبا : ألمانيا الديمقراطية لها علاقات دبلوماسية مع كل بلاد العالم ، أما بالنسبة لإسرائيل فهي تقوم بالعدوان على جيرانها الدول العربية ولهذا العلاقة بين ألمانيا الديمقراطية وبين إسرائيل لم تقم حتى الآن .. ومن المعروف أن ألمانيا الديمقراطية لها هدف سلمي في الشرق الأوسط واعتقد أنهم في انتظار أن تحسن إسرائيل علاقاتها مع جيرانها من الدول العربية وأن تسلمهم وأن الفلسطينيين يحصلوا على وطنهم الخاص بهم في فلسطين واعتقد أنه إذا تم تحقيق المطالب .. أقصد تحسين العلاقات بين إسرائيل والدول العربية ففي هذه الحالة سيتم إقامة علاقات دبلوماسية بين ألمانيا الديمقراطية وإسرائيل .

ويذكر البروفيسور مارتن أن كلنا نعيش في عالم واحد وكلنا نبغى السلام على أساس أن السلام يشمل كل العالم ولا أحد يعيش وحده في العالم ولهذا ندعو أن تعيش كل الشعوب في سلام مع بعض ..

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا جزيلا للبروفيسور مارتن زوبا ومرة أخرى أكرر الاعتذار للأخوة المصريين محمد شطا وحلمي شعراوي وأحمد طه وأمامي

رغبة من الأستاذ محمد لطفي الصباحي أمين عام مجلس القضاء الأعلى في اليمن العربية عضو مجلس السلم والتضامن وعضو مجلس الشعب وعضو لجنة التقنين الشرعية وعد بأن يتحدث خمس دقائق فقط . فليتنفضل ..

أول مظاهرات في اليمن

الأستاذ الصباحي : بسم الله الرحمن الرحيم .. السلام عليكم والسلام على الأمان طبعاً أولاً وقبل كل شيء اللجنة لجنة التضامن الآسيوية الأفريقية وعلى رأسها الأخ الأستاذ أحمد حمروش لا على دعوتي أو دعوة اليمن للتمثيل ولكن أولاً وقبل كل شيء وأرجو ألا يتشاغل بالكلام مع من بجانبه لیسمعی علی الأقل لیسمع شكري .. أرجو ذلك شاكرًا فأنا أقدم له أجزل الشكر لا على الدعوة ولكن على إقامة الندوة لأهميتها وجدواها العظيمة في اقتناعي ..

أما موضوع الموعد الذي تكلم عنه فهو شرط له شرطه على قبل أن أتكلم فأنا كقاض والقضاء يعني الوضوح دائماً يعني الدوغري كما تقولون في مصر وأنا قبلت بالشرط على أساس أنه التسامح والتجاوز بين الخمس والعشر دقائق ولذلك لا أطيل ..

لی تعليق عام أو تعقيب عام أولاً قد يكون التعليق والتعقيب على شخصي فأولاً أنا لست بروفيسورا ولا دكتوراً ولا سياسياً ولا صحفياً ولا زعيماً يعني من زعماء الفكر أو زعماء هذه كلها الصحافة وغيرها بل أنا كما عرفني الأستاذ مشكوراً أحمد حمروش ..

أولاً بعد الشكر .. الكلام عن موضوع الساعة أو موضوع الندوة وهو الكلام عن تأميم قناة السويس بما تحويه من كل الجوانب أنا أعتقد أن كل ما قد قيل وإن كان في رأيي ليس كما يجب ليس كما ينبغي إن لم يكن كما يجب وأنه لم يوف التأميم حقه ..

أولاً أتكلم عن موقف بلادي فقد لا تصدقوني إذا قلت لكم إن أول ما

عرف في بلادى التظاهر أو الخروج بالمظاهرات كان من أجل قناة السويس وقد لاتصدقوا ما حصل ولأنه هذا لأول مرة وأيضا لاتصدقونى إذا قلت لكم إنه كان إلى ذلك التاريخ يعنى ما قبل قيام الثورة أنه لاتوجد أى مدرسة حديثة في بلادى اليمن سوى ما كان من مدرسة واحدة ثانوية في العاصمة فقط بل كان نظام التعليم هو نظام بدائى قديم يعنى لايزال نظام القرون الوسطى فهو يتمثل في الكتاب وفيما نسميه بالمعالم ثم يعنى في التدريس في المساجد في الجوامع الخ ...

لذلك كان من المستغرب جدا أن ترج هذه المظاهرات من دون مدارس من غير يعنى أشكالها كانت كلها تأييد وكانت النتيجة بعدها أن أخذ من مواطنى مدينة إب في المنطقة الوسطى للجمهورية العربية اليمنية التى تمثل ما بين شمال اليمن وما بين جنوبه أخذوا هؤلاء الأطفال إلى السجن وأين في القلعة أو في السجن الحربى العسكرى وهذه السجن تعرفون يعنى من طراز يعنى خاص .. أخذوا على السيارات وبوسائل لا أريد أن أصفها لكم لثلا أرفعكم .. فكانت وسائل يعنى قد أقول إنها جهنمية لأنها أغلال في الأعناق وأغلال في الأيدي وأغلال .. إلى آخره إلى آخره ..

هذه النقطة الأولى عن موقف بلادى ..

ثانيا أنى أريد أن ألمح لحة عن انطباعى الشخصى واستفادتى .. فانطباعى الشخصى هو يتمثل في شيئين الأول : الاعجاب .. والثانى : الاستفادة فأنا قد أعجبت جدا جدا من هذه الندوة ومن كل ماجرى فيها سواء ما اتفق معه أو ما لا اتفق معه والذى لا أتفق معه لأنى استفدت منه وأعترف بأنى استفدت لأنى كما قدمت عن نفسى خاوى الوفاض خالى الذهن من كل ما يعنى ذكرته لكم ..

أما الإعجاب ويتركز إعجابى واسمحو لى ولاتظنوا أنه إعجاب انتماء أو إعجاب ولاء . لأنه .. إنما هو إعجاب شخصى فكرى فقط .. هذا الإعجاب تركز أولا على شخصين هما مايكل فوت إن كنت قد استطعت أن انطق الاسم

والثانى انتونى ناتنج هكلنا لا أدرى إذا كنت قد وفقت إلى نطق الاسم تماما فأنا أيضا خالى من اللغة اللاتينية ..

هذان الشخصان برغم مجيئها من - أرجو أن يركبا سماعه على الأقل حتى أستريح يعنى يسمعا كلامى الاثنين .. أو يقول لهما واحد يركبوا سماعه - هذان الشخصان سجلا موقفين عظيمين تاريخيين مع الحق ومع العدل لا مع شخص أو أشخاص . مع حق الشعوب ومع الدول ووفقا أمام حكومتيهما ومع من ؟ مع من يعتبر حيثئذ عدو على الجهة وعلى خط النار ..

وهنا ألمح لمحّة بسيطة .. أتساءل هل يوجد فى عالمنا - مش العربى بل العالم الثالث والشرق الأوسط كله من يستطيع أن يقول لى إن أحلنا يستطيع موقفا من هذه المواقف ثم يعنى يظل بصراحة حيا يرزق حتى يأتيه الهرم زى هؤلاء الشيخين فنحن نعرف أوضاع يعنى عالمنا الثالث وأنا نتلاحق وتتابع من بلد إلى بلد للتصفيات وال .. الخ ..

قد لا يعجب البعض كلامى ولكنه كما قلت لكم كلام قاض وكلام القاضى طبعا يجب أن يكون دوعرى ..

عبد الناصر ورفاقه

أنا لم أنظر إلى الساعة وأنا ما أدرى هل كلامى معجب وإلا انسحب - هل استمر أولا أستمرو ..

الأستاذ أحمد حمروش : الكلام عظيم وبس ..

الأستاذ الصباحى : بس لو سمحتم عناوين ..

الأستاذ أحمد حمروش : طيب اتفضل ..

الأستاذ الصباحى : العنوان الأول زعامة عبد الناصر لا خلاف فيها لكن لامع التفريط ولا مع الافراط .. الزعامة هذه فذه فعلا .. وقد بدأ عبد الناصر فنا وانتهى فنا .. وكل إنسان لابد له أن يكون له جانب مشرق جانب مضىء

وجانب على العكس أو له سلبية وله إيجابية وهذا يكفى ..

فلست مع من يقول بالكمال المطلق فالكمال المطلق لله وحده .. ليس لأحد من هؤلاء المخلوقين .. ولست مع من يشكك فى زعامة عبد الناصر أو يستقصها أو يقلل منها .. لست معه أيضا ولكن مع الوسط انطلاقا من تعاليمنا الإسلامية «كنتم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ..» .

.. و

خير الأمور الوسط حب التناهى غلط
ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

ثانيا : تأكيد الأحداث العظيمة .. الأحداث العظيمة هذه مثل قناة السويس وقرارات عبد الناصر معظمها أحداث عظيمة غيرت مجرى التاريخ .. هذه أيضا أنا لست مع من ينسبها ويسندها إلى شخص واحد .. أبدا .. لأنه تعرف الثورة قامت بحوالى ما أدرى ٢٨ أو ٣٠ عضوا كلهم كان له دور يعنى إيجابى بقدره طبعاً أن الزعامة وشخصيتها الجليلة لا بد أن يكون لها دور ..

لهذا أصحح وأؤكد أنه ليس لشخص واحد لماذا .. لأن رأيان أفضل من واحد ورأى الثلاثة لا يتقبض .. وكما تقول العرب : المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه .. والرئيس عبد الناصر هو وإن كان ربما الجزء الأول من الحكمة لا ينطبق عليه قليل بنفسه لأنه كان شخصا عظيماً وكان اسماً ينطبق عليه والناس ألف منهم كواحد .. وواحد .. كالألف ..

إلا أنه لا بد ولا بد .. وعلى رأى المثل المصرى اليد الواحدة ما تصفقش ولا بد أن نعتبر الجميع وأن يكون لكل دوره .. ولا نهضم أحداً سواء من رحمه الله فتوفاه أو من بقى وقده على جنب إلى آخره ..

فهو وراء تحرير الشعوب العربية .. اليمن يعنى قامت بثورات لم يتحقق لها النجاح إلا لما يعنى كان يعتبر عبد الناصر مبعوث العناية الإلهية الذى جاء إلى

الين وجيشه وشعبه وتضحياتهم ، ودماؤهم التي نسجل لها هنا كل الإكرام كل التقدير الإجلال ..

ولولا أن الله يعنى سبحانه هو الذى منَّ بها علينا لما نجحت الثورة ولكانت فى سائر الثورات التى ذهبت بالرءوس والعمائم والبيوت والأموال إلى آخره ..
ثالثا : أذكر على أن الاختلاف لا مفر منه وأن المطالبين الذين قاموا وطلبوا هذا اعتبروه تعقيب تعليق .. أنا قلت لكم أنا مش دارى هو كلام .. لكن أظن أنه كلام مفهوم ..

إن الاختلاف مطلقا أمر لا مفر منه .. فلا نستطيع أن نقول إن نتفق على سياسة استراتيجية واحدة موحدة لا سيما مع الديمقراطية التى لا أقول نتشوق بها ولكن أقول إننا نرفع شعاراتها .. يعنى فى العالم الثالث كله ..

أما ما يطالب بالعكس فهو كالمطالب بالجمع بين التقيضين طبعا مع الديمقراطية كمكلف الأشياء ضد طباعها وتمايم البيت هذا وتطلب بالماء جذوة نار ..

كمكلف الأشياء ضد طباعها كمتطلب فى الماء جذوة نار .. هل يتصور أن يجد فى الماء جذوة نار؟! .. لا أعتقد أن هذا يحصل ..

وكما أنه أيضا قد جاء فى الآية الكريمة « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » واختلفوا على خلقهم فيه أقوال فى اسم الإشارة هنا ذلك إلى ماذا يعود؟ هل خلقهم للرحمة أم خلقهم للاختلاف أم لها معا؟! .. أعتقد أن الصحيح أنه لها معا .. والمرحومين هم القلة .. والمختلفين هم الكثرة والأغلبية ..

ولاسيما قد جاء الاختلاف أولا من بين الأنبياء بين ولدى آدم كما تعرفون وبين أبناء يعقوب إلى آخره ..

لهذا يعنى اعتقد مع الديمقراطية لا بد أن يكون أن يجمع أن يكون الحكم

شموليا والنظام شموليا وكله شموليا شموليا مافيش يعني أنه بعد الواحد وحده
لا ..

أختم أيضا بتسجيل موقفي وإعجابي بهذين الشخصين وتعليقي على من عقب
عليهما بشيء من الحدة أو بشيء مما لا أدري ماذا أسميه لأننا كعرب وتقاليدنا
وعندنا مثل في اليمن يقول « تحت الحشبة » .. إلا إذا كان الآن ما عادش فيه
حشبة وكله مسلح .. واختلف الوضع ما أدري ..

إنما الشخص إذا كان تحت الحشبة وكان ضيفا .. يعني هنا له حقوق عربية
على الأقل يكون الكلام من نوع كلامه .. فقد كان كلامها الذي أعجبت به في
الطرح والأسلوب والأعصاب الإنجليزية التي نعرفها المثلجة الجيدة .. واحنا
الأعصاب العربية اللي يعني مستغرة ومنفعلة .. هنا في رأيي إعجاب وأرجو ألا
يظن أنني يميني أو غربي .. أنا لا شرقي ولا غربي لا أنا يعني ربما جنوبي ولا شمالي
ولا واحد من دول كلهم على الاطلاق .. لذلك أرجو أن تتحملوني وأن يعذرني
الأستاذ حمروش إذا كان يراقب الساعة أننا لم أراقبها لثلاث أخرج وأخرجه ..

وشكرا لكم على استماعي وربما على ثرثرتي إن كانت يعني ثرثرة وإن كنت قد
بدأت بالسلام والسلام يعني أمان من التعليقات والتعقيبات الحادة والتي انتقدتها
لكيلا تصب على ولكن أنا آمن أن الوقت قد فات وكله فات .. ولا أدري ان
كان هنا من سوء حظي أو حسن حظي ليكون الكلام مختصرا والسلام عليكم
أخيرا كالسلام عليكم أولا ..

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا جزيلا للأستاذ محمد الصباحي على كلمته
المعبرة ..

والآن نستريح عشر دقائق فقط لنبدأ الجلسة الختامية حيث أن السادة
الضيوف مرتبطين بموعد محدد يجب أن يغادروا فيه هذه القاعة ..

عشر دقائق وتلتقي هنا مرة أخرى ..

الجلسة الرابعة
القسم السابع :

مستقبل قناة السويس

بحث : للمهندس محمد عزت عادل
رئيس هيئة قناة السويس

لدى قناة السويس حاليا مشروع تخطيطى كامل لازدواج المجرى الملاهى للقناة بكاملها ، وذلك بتوصيل الأجزاء المزدوجة فى القناة ببعضها لنخلق قناة مزدوجة بالكامل ولكن هذا لن يحدث على مرحلة واحدة ولأن المستقبل القريب ، وكذلك فإن الرؤية البعيدة لإدارة القناة الحالية أدت إلى التنسيق والربطة بين مشروعات القناة ومشروعات تطوير الموانئ الرئيسية التى ترتبط بالقناة مثل موانئ البحر الأحمر والبحر الأبيض والشرق الأقصى .

- مكلنا كانت تخطط شركة القناة للضغط على الحكومة المصرية لمد الامتياز بعد عام ١٩٦٨ .
- ٢٣ مليون جنيه كل المبلغ الذى حصلت عليه مصر منذ افتتاح القناة وحتى التأميم سنة ١٩٥٦ .

سجل التاريخ أن الإنسان المصري هو أول من شق قناة صناعية عبر أراضييه لتيسير تبادل التجارة بين الشعوب .. وكان ذلك في عام ١٨٧٤ قبل الميلاد حينما قام سنوسرت الثالث أحد ملوك مصر في عصر الرخاء لحفر قناة تربط ببحر الشمال (البحر الأبيض المتوسط) وبحر أروتري (البحر الأحمر) مستخدما نهر النيل وفروعه ..

وعلى مر العصور تعرضت تلك القناة للإهمال أو الردم ثم إعادة الفتح عدة مرات ..

وفي بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر استطاع فردينان دى لسبس إقناع والى مصر حينئذ محمد سعيد باشا بإنشاء قناة السويس واستصدر منه فرمان الامتياز الأول في ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ بإنشاء القناة ..

واستطاع دى لسبس بشتى الأساليب المشروعة وغير المشروعة أن يجعل حكومة مصر تسوق أكثر من ٢٠ ألف عامل مصري شهريا لحفر قناة السويس تحت نير السخرة وفي ظل أقسى الظروف الجوية والمعيشية .. واستمر الحفر أكثر من عشر سنوات أستشهد خلالها أكثر من ١٢٠ ألف مصري بسبب القهر وتفشى الأوبئة خلال عمليات حفر القناة ..

وافتحت القناة للملاحة الدولية في ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ في احتفال لم يشهد له العالم مثيلا وسط مظاهر في البذخ والإسراف أدت إلى تفاقم الديون على مصر لصالح إنجلترا وفرنسا ونتج عن ذلك بيع أسهم مصر في شركة القناة (٤٤٪ من الأسهم) لانجلترا وأطلق على تلك الصفقة صفقة القرن .. وفي عام ١٨٧٩

ميلادية تنازل الخديوى توفيق حاكم مصر عن حصة مصر فى الأرباح السنوية للشركة وكانت تساوى ١٥٪ من صافى الأرباح وفاء لبعض ديون مصر التى اتخذتها إنجلترا إحدى ذرائعها لاحتلال مصر فى أغسطس ١٨٨٢ مستخلمة فى ذلك قناة السويس .

وبعد ٦٨ عاما .. وفى ١٩٣٧ قررت شركة قناة السويس منح مصر مليون ونصف مليون دولار سنويا من عائدات القناة استبدلت فى عام ١٩٤٩ بحصة قدرها ٧٪ من الربح السنوى للقناة ..

وخلال إدارة الشركة للقناة وعلى مدى ٨٧ عاما قامت الشركة بتنفيذ سبع مشروعات لتطوير وتحسين القناة وكان آخرها إنشاء تفرعة البلاح عام ١٩٥١ وامتنعت الشركة عن إجراء أى تطوير أو تحسين للقناة أو مراقبتها بعد ذلك إلا إذا حصلت على موافقة على مد امتيازها الذى كان ينتهى عام ١٩٦٨ ..

كما تميز أسلوب إدارة الشركة للقناة بالفرقة فى المعاملة بين المصريين والأجانب وكانت ترفض باستمرار تطبيق القوانين واللوائح المصرية ..

وفى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر تأميم الشركة العالمية لقناة السويس .. وكان لى الشرف أن أكون من القلة التى علمت بقرار التأميم قبل تنفيذه ومن المجموعة التى نفذت عملية التأميم ..

ويحدر بالذكر أن مصر لم تستول على القناة دون مقابل ولكنها عوضت حملة الأسهم بقيمة أسهمهم وفقا للأسعار العالمية المنشورة بالبورصة الدولية فى اليوم السابق للتأميم ..

التحديات التى واجهت الإدارة المصرية للقناة :

ولقد واجهت الإدارة المصرية بعد تأميم الإدارة الأجنبية عدة تحديات أسجلها بترتيبها الزمنى وهى : انسحاب كل المرشدين الأجانب فيما عدا سبعة مرشدين يونانيين و ٤٠٪ من الموظفين والفنيين الأجانب دفعة واحدة ليلة ١٥/١٤

سبتمبر ١٩٥٦ .. أى بعد ٥٠ يوما من التأميم لتثبت للعالم أن مصر وحدها غير قادرة برجالها على إدارة القناة . ولما فشل ذلك المخطط حدث العدوان الثلاثى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ وإغلاق القناة نتيجة إغراق بعض الوحدات البحرية فى البحرى الملاحة للقناة ثم كانت عملية تطهير القناة بمعاونة أجهزة هيئة الأمم المتحدة من ٦ يناير ١٩٥٧ وحتى ٩ أبريل ١٩٥٧ .

– العدوان الإسرائيلى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وإغلاق القناة لفترة استمرت ثمانى سنوات خسرت مصر خلالها ١٥٠٠ مليون جنيه كإيرادات للقناة بالإضافة إلى تدمير منشآت وورش ومعدات قناة السويس وتدمير المرافق والمنازل بمنطقة القناة والى بلغت خسائرها ١١٢ مليون جنيه وتهجير $\frac{٣}{٤}$ مليون نسمة من منطقة القناة إلى عمق مصر ..

وقد خسر العالم خلالها ١٤ مليار دولار كنفقات زائدة فى تكاليف النقل البحرى ونتيجة تعطل مئات الألوف من العمال بموانى أوروبا وإصابة موانى البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وشرق أفريقيا بالكساد وانخفاض التبادل التجارى بين آسيا وأوروبا بنسبة ١٦٪ سنويا ..

– وعقب انتصار مصر فى حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وفى أوائل عام ١٩٧٤ أعطت القيادة السياسية لمصر توجيهات لهيئة قناة السويس ببدء تطهير القناة وإعدادها للملاحة الدولية ..

وقد كان ذلك تحديا واجهه إنسان قناة السويس وانتصر عليه فى فترة قياسية بالنسبة لحجم الأعمال التى أنجزها خلال عمليات التطهير ..

– وأعيد فتح القناة فى ٥ يونيو ١٩٧٥ لتسهم فى رفع المعاناة الاقتصادية عن كاهل الشعوب وانطلقت هيئة قناة السويس بأقصى طاقتها وقدراتها لتطوير القناة لتستوعب عبور ناقلات البترول التى تضخمت أحجامها إبان فترة إغلاقها ولمواجهة التطوير فى سفن البضائع والى اتسمت بالسرعة فى إنجازها واستطاعت هيئة قناة السويس تنفيذ أضخم مشروع لتطوير القناة شهده

مجرى ملاحى فى التاريخ فى غضون خمس سنوات من ١٩٧٥ حتى نهاية عام ١٩٨٠ .

وفى بداية عام ١٩٨١ دخلت القناة عصر الناقلات العملاقة وارتفعت معدلات الحمولات العابرة وزادت أحجام السفن المستخدمة للقناة وتضاعفت إيراداتها .

واقضى تطوير القناة وتوسيعها رفع حقول الألغام من الضفة الشرقية وإزالة خط بارليف ونقاطه الحصينة على امتداد الضفة الشرقية للقناة .. وأصبح كل ذلك حاليا مغمورا بمياه القناة بعد توسيعها ..

وثمة تحد آخر واجه هيئة قناة السويس وهو الحرب الدائرة الآن بين العراق وإيران وضرب الناقلات المتجهة إلى دائرة الصراع العسكرى فى منطقة الخليج العربى .. ومما لاشك فيه أن هذه الحرب تؤثر على القناة وتؤدى إلى انخفاض كميات البترول العابر بها من منطقة الخليج إلى أوروبا ودول جنوب البحر المتوسط .

وكان آخر تحد للقناة هو بث الألغام البحرية فى المدخل الجنوبى للقناة بـخليج السويس فى يوليو ١٩٨٤ مما أثار الذعر فى الأوساط السياسية الأمر الذى اقتضى الاستعانة ببعض الأساطيل البحرية العالمية لإزالة هذه الألغام التى أُلقيت لضرب شريان اقتصادى هام لمصر .. وبفضل الله تم التغلب على ذلك المخطط فى أقصر وقت ممكن واستعادت القناة أهميتها .

مصر .. وشركة القناة

ويهنئ فى هذا المجال أن أذكر بعض الملاحظات حول استرداد مصر لقناتها بقرار التأميم الذى اتخذته الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ وهذه الملاحظات يجب أن تلقى كل عناية حينما تُقيم ذلك القرار الوطنى .. وهى :

أولا : أن شعب مصر هو الذى حفر القناة .. وهو الذى استشهد فى سبيلها على

مر العصور .. وهو الذى تحمل عبء الديون التى واكبت حفر القناة وافتتاحها .

ثانيا : مصر لم تحصل على أية إيرادات من القناة منذ افتتاحها وحتى عام ١٩٣٧ أى لمدة ٦٨ عاما .. ومن عام ١٩٣٧ وحتى عام ١٩٥٦ حصلت مصر على ٢٣ مليون جنيه من الشركة المؤتممة .. فى حين كانت مصر تدفع رسوم عبور سفنها .

ثالثا : لم تحترم الشركة المؤتممة حقوق السيادة المصرية ولم تطبق القوانين المصرية ولم تفتح أبوابها لعمل المصريين إلا فى أضيق نطاق .. ولم تعط للعاملين المصريين أية حقوق إلا بعد عام ١٩٤٨ حينما لجأ العمال المصريون بالقناة إلى لجان التحكيم والتوثيق التى أصدرت قرارا بمساواة المصريين بالأجانب فى الحقوق وليس فى المرتبات ..

رابعا : يخطئ البعض إذا ظنوا أن الشركة الأجنبية التى كانت تدير القناة قبل التأميم كانت ستسلم القناة إلى مصر فى عام ١٩٦٨ عند نهاية امتياز إدارتها للقناة لأن التاريخ يقول « إن الشركة المؤتممة بمساندة حكومات بعض الدول كانت تبذل الجهود لمد امتياز القناة مستخدمة فى ذلك شتى وسائل الضغط وكانت تسعى فى حالة فشلها فى مد الامتياز إلى تسليم القناة إلى لجنة دولية أسوة بـ لجنة الدانوب والدليل على ذلك التصريح الذى أدلى به مسيو فرانسوا شارل رئيس مجلس إدارة شركة قناة السويس فى عام ١٩٥٠ والذى جاء فيه ضرورة إدارة القناة بعد عام ١٩٦٨ بواسطة لجنة دولية تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة .

ولذلك أنشأت الشركة مكتبها لها فى نيويورك للاتصال المستمر بالحكومة الأمريكية وبممثلى الدول الأعضاء فى هيئة الأمم المتحدة .

كما جندت عددا من الكتاب والصحفيين لبت رأى عام فى أوروبا

وأمریکا يزعم بأن إدارة القناة ستكون إرثا ثقيل الحمل على كاهل مصر..

خامسا: لو استمرت الشركة المؤممة فى إدارة القناة حتى عام ١٩٦٨ وفشلت كل الجهود فى مد الامتياز أو سلب القناة من مصر مرة أخرى فإن الشركة المؤممة كانت ستسلم القناة لمصر دون مستوى التطور فى سفن النقل البحرى العالمى عام ١٩٦٨ والدليل على ذلك أن الشركة المؤممة لم تقم بأية تحسينات للقناة منذ عام ١٩٥١ وأعلن رئيسها صراحة فى عام ١٩٥٥ بأنه لا يمكن أن يطلب أحد من الشركة وقد دنا أجل امتيازها أن تنفق أموالا ضخمة يستحيل استردادها..

لذلك فقد كان من المتوقع أن تتسلم مصر قناتها بعد إنهاء الامتياز وهى دون مستوى الوفاء بمتطلبات الملاحة الدولية بكثير..

سادسا: إن إدارة مصر لقناة السويس جعلتها منذ التأميم وحتى الآن فى مقدمة الممرات الملاحية الدولية التى تضمن أمن وسلامة السفن العابرة بها نتيجة للمشروعات الضخمة التى أنجزتها الإدارة المصرية ونتيجة للتطوير المستمر سواء فى المجرى الملاحي للقناة أو بالنسبة للمساعدات الملاحية التى تعاون السفن العابرة..

سابعا: إن الشركة المؤممة لم يكن لها أى دور فى تنمية وتطوير الإنسان والمرافق فى منطقة القناة بينما هيئة قناة السويس تقوم بواجبها الوطنى فى هذا المجال منذ التأميم وحتى الآن.

وقد وضعت إدارة قناة السويس نصب عينها دور قناة السويس الهام للتجارة البحرية الدولية وفى نفس الوقت استمرار وزيادة دور قناة السويس فى دعم الاقتصاد المصرى وذلك عن طريق اتباع سياسة حكيمة لتحديد رسوم العبور بالقناة وتطوير دائم لها وزيادة طاقتها الحجمية والتصريفية لضمان استمرار

مواكبتها لتطور الأسطول العالمى ، كذلك زيادة مساهمة القناة فى إنشاء الشركات والمشروعات التى تخدم الاقتصاد المصرى .

نظرة مستقبلية :

لضمان استمرار قناة السويس فى أداء دورها البناء فى خدمة التجارة الدولية فلا بد من دراسة مستمرة لحركة هذه التجارة وتوقع حجمها فى السنين المقبلة وكذلك التطورات المنتظرة فى الأسطول العالمى لنقلها بين الدول المختلفة وخصوصا تلك التى تؤثر على قناة السويس . وبصفة عامة يمكن تقسيم البضائع المارة بالقناة كالتالى :

بضائع بترولية وبضائع غير بترولية

كما هو معروف أنه فى عام ١٩٦٦ (آخر عام ملاحى كامل قبل عدوان ١٩٦٧ وإغلاق قناة السويس) كان حوالى ٧٥٪ من مجموع الحمولة التى مرت بالقناة مواد بترولية والباقى مواد غير بترولية .

عام ١٩٦٦

بضائع بترولية	بضائع غير بترولية	المجموع
٢٠٦,١	٦٨,١	٢٧٤,٢
مليون طن صافى		

وبعد إعادة الملاحة للقناة فى ٥ يونية ١٩٧٥ تغير الوضع كثيرا وأصبحت المواد البترولية المارة بالقناة عام ١٩٨٥ تمثل حوالى ٣٥٪ فقط من مجموع الحمولات .

نسبة الحمولة الصافية للناقلات إلى مجموع الحمولات الصافية لجميع أنواع السفن :

العام	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥
النسبة %	٤١,٥	٣٤,٣	٢٩,٨	٣٢,٨	٣١,٦	٣٩,٥	٣٧,٥	٣٦,٤	٣٥,٤	٣٤,٨

عام ١٩٨٥

بضائع بترولية	بضائع غير بترولية	المجموع
١٢٢,٧	٢٢٩,٩	٣٥٢,٦ مليون طن

بمقارنة كميات البضائع غير البترولية التي مرت بالقناة في عام ٨٥ و عام ٦٦ نجد أنها تضاعفت ٣,٣ مرة وهذا يتفق ومعدلات الزيادة في حركة التجارة العالمية المنقولة بحرا .. وذلك نتيجة أن القناة بعد تطويرها أصبحت قادرة على استقبال كل السفن التي تحمل بضائع غير بترولية بحمولاتها كاملة .

وبالنظر إلى نوعيات وحمولات هذه البضائع وأماكن شحنها وتفريغها نجد أنها متنوعة بشكل كبير وتبدأ بالمواد الخام وتنتهي بالمهمات المصنعة وعلى الرغم من التغير الملحوظ الذي حدث في نوعيات وكميات البضائع غير البترولية التي مرت بالقناة خلال السنين الماضية وتبادل الأهمية النسبية للأنواع المختلفة علاوة على التغير الكبير في أماكن التصدير والاستيراد والذي صاحب عمليات التنمية والتصنيع في منطقة الشرق الأقصى إلا أنه من الملاحظ أنه توجد دائما زيادة في مجموع حركة التجارة الدولية المنقولة بحرا وأيضا زيادة مضطردة في نصيب قناة السويس من هذه الحركة .

وعلى ذلك فيمكن القول أن حمولات البضائع غير البترولية المنتظر عبورها بقناة السويس سوف تزايد باستمرار مع السنين القادمة ولكن مع تغيير في النوعيات وأماكن الشحن والتفريغ وأكبر اتجاه يبدو حاليا هو تناقص الأهمية النسبية لسفن البضائع العامة التقليدية مع تزايد الأهمية للسفن النشطة وخصوصا سفن الحاويات ومن المتوقع استمرار هذا الاتجاه مستقبلا .

كذلك فإن أهمية سفن البضائع الصب تزايدت ومن المتوقع استمرار هذا

الاتجاه ، كما وأن الأهمية النسبية للخامات والمعادن والقمح والفحم والأسمدة والأسمتت تتزايد أيضا مع الوقت ..

أما بالنسبة للمواد البترولية فنجد أن الأمر يختلف كثيرا ، فمقارنة الكميات من هذه المواد التي كانت تمر بالقناة قبل عدوان ١٩٦٧ ، بمثلاتها بعد عودة الملاحة للقناة عام ١٩٧٥ وحتى أوائل الثمانينات (قبل الانتهاء من تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع تطوير القناة) نجد أنه على الرغم من الزيادة الكبيرة التي حدثت لكميات البترول المنقولة بحرا من الخليج العربي لشمال غرب أوربا نجد أن نصيب قناة السويس من هذه الكميات كان محدودا للغاية ، ولكن ابتداء من عام ١٩٨٢ زاد نصيب قناة السويس من التجارة العالمية للمواد البترولية ويرجع السبب الرئيسي لذلك هو الانتهاء من تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع تطوير القناة والذي يهدف إلى زيادة طاقى القناة الحجمية والتصريفية .

ومن المتوقع استمرار هذا الاتجاه حيث أنه من المعروف أن أوربا الغربية وأمريكا الشمالية سوف تحتاج إلى استيراد كميات كبيرة من البترول المطلوب في المستقبل لاستكمال متطلباتها من البترول سواء لأغراض الصناعة أو كمصدر للطاقة . إذ على الرغم من الانخفاض المستمر في استهلاك البترول كمصدر من مصادر الطاقة إلا أنه مازال أكثر أنواع الطاقة المطلوبة على الأقل حتى سنة ٢٠٠٠

والجدول التالى يوضح كل مصدر من مصادر الطاقة فى عام ٨٤ وتقدير ذلك فى عام ٢٠٠٠

عام ٢٠٠٠	عام ١٩٨٤	
٤٠%	٤٨%	البترول الخام
٢٢%	١٩%	الفحم
١٨%	١٨%	الغازات الطبيعية
٢٠%	١٥%	بقية أنواع الطاقة

ومن المعلوم أن الاحتياطي الثابت المعلن بمنطقة الشرق الأوسط والتي يتنظر أن يستمر من ٩٠ - ١٠٠ سنة وباعتبار معدلات الإنتاج المتوسط نجد أن منطقة الخليج العربي سوف تستمر كمصدر للبتروك لأوروبا الغربية وأمريكا الشمالية لعدد كبير من السنين القادمة ، ومع شكل الأسطول العالمى الحالى لنقل البترول واحتمالات تطوره والتي تشير إلى الاستغناء كلية عن ناقلات البترول فوق العملاقة تشير إلى أن قناة السويس سوف تستمر صالحة وآمنة لمرور معظم سفن الأسطول العالمى بما فيها ناقلات البترول .

مما سبق يمكن القول بأنه بالمتابعة المستمرة لحركة التجارة العالمية وسفن الأسطول العالمى بأنواعه المختلفة تتبع قناة السويس سياسة حكيمة وعادلة لتحديد رسوم العبور بالقناة حتى تستمر قناة السويس الشريان الحيوى الهام فى خدمة التجارة العالمية المنقولة بحرا .

وبالنسبة لمشروعات تطوير قناة السويس فى المستقبل فإن ازدواج القناة أمر وارد ولكن على مراحل وسوف يفرض نفسه بالنسبة للأجيال القادمة إذا زاد المعدل اليومى للسفن العابرة باستمرار بحيث تجاوز الطاقة القصوى الحالية للقناة وهى ٧٨ سفينة يوميا ... ولدى قناة السويس حاليا مشروع تخطيطى كامل لازدواج المجرى الملاهى للقناة بكامل طولها وذلك بتوصيل الأجزاء المزدوجة من القناة ببعضها لنخلق قناة مزدوجة بالكامل .. ولكن هذا لن يحدث على مرحلة واحدة ولا فى المستقبل القريب .

وكذلك فإن الرؤية البعيدة لإدارة القناة الحالية أدت إلى التنسيق والربط بين مشروعات القناة ومشروعات تطوير الموانى الرئيسية التى ترتبط بالقناة مثل موانى البحر الأبيض والبحر الأحمر والشرق الأقصى ..

ولقد بدأت أولى الخطوات فى هذا الاتجاه بالتنسيق بين مشروعات تطوير موانى إيطاليا بمشروعات المجرى الملاهى للقناة .. وهذا يؤكد دائما بأن الفكر

المصرى فى قناة السويس يتحرك فى دائرة رحبة تحتوى الخطوط الملاحية العالمية
المستخدمة للقناة .. ولذا ستظل القناة بإذن الله هى أهم شريان ملاحى عالمى
يربط بين الشرق والغرب سواء فى تجارته أو الاتصال بين الحضارات ونماء
الشعوب .

الجلسة الخامسة والأخيرة
القسم الأول :

العمل المشترك بين أمريكا وبريطانيا لمواجهته عبد الناصر كلمة : كيث كايل

في سبتمبر ١٩٥٥ بدأت مرحلة صفقة الأسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا .
وأستطيع أن أقول إن عبد الناصر قد لعب دوره ببراعة ، مستخدما تكتيكات
العلاقات العامة . فقد دأب خلال الأيام القليلة التالية على إعلان الصفقة - بل
وخلال أسابيع بعدها - على أن يؤكد بوضوح أن هذه الصفقة مامى إلا مجرد
صفقة يتيمة وحيدة ، ليس فى النية عقد صفقات أخرى ماثلة لها . وأنه مازال مهتما
وحرصا على حسن العلاقات مع الغرب .

- أسرار « بان الفا » مبادرة إيدن السرية بتسوية نهائية للقضية الفلسطينية
- وأسرار جديدة عن مؤتمر سيفر .
- فى محاولة يائسة من إيدن لإقناع أمريكا بتمويل السد العالى يكب لايذناور : إن ماسوف تقرره نحن الإثنان خلال
اليومين أو الثلاثة القادمين سيحدد مصير أفريقيا لؤمن بعيد .
- الفرق بين تقدير المخابرات الأمريكية وتقدير المخابرات البريطانية لعبد الناصر .

الجلسة الختامية

عقدت الجلسة مساء أول نوفمبر ١٩٨٦ وكانت برئاسة الأستاذ أحمد حمروش

الأستاذ أحمد حمروش : الزميلات والزملاء .. نبدأ الجلسة الختامية بحديث يقدمه مستر كيث كاييل من المعهد الملكي للعلاقات الخارجية .. كان مراسلا للايكونوميست سنة ١٩٥٦ في واشنطن ويعد حاليا كتابا عن تأميم قناة السويس ..

الأستاذ محمد حسنين هيكل : أريد أن ألقى بكلمة قبل أن يتكلم هو ..
الأستاذ أحمد حمروش : والأستاذ محمد حسنين يقول كلمة قبل أن يبدأ ..
الأستاذ محمد حسنين هيكل : في واقع الأمر أن ما سوف أدلى به ليس كلمة ، وغاية الأمر هو أني أريد راجيا من كل الإخوان هنا والأخوات طبعا قبل الإخوان ، أن يصغوا إلى الكلام الذي سيقوله كيث كاييل باهتمام شديد ، لأنه هو في وضع فريد حسبا أعتقد .. لأنه يعمل بإعداد كتاب عن السويس .. سيصدر في العام القادم .. وكتابه معتمد على الوثائق البريطانية والأمريكية والإسرائيلية ، ويكاد يكون هو الوحيد من بين الذين كتبوا عن السويس ، الذي أتاحت له الفرصة - وبكل التسهيلات - لكي يقرأ كل الأوراق بما فيها مجموعات الأوراق الخاصة التي لم تتح لأحد منا جميعا .. أقصد الناس الذين كتبوا عن السويس .. وهذا بطبيعة الحال كان سببا من الأسباب التي جعلتهم يدعونه أيضا إلى الندوة التي عقدت في إسرائيل .. لأنه - ونستطيع أن نقول ونحن مطمئنون - أنه واحد من أكثر الناس الذين يمكن أن يبقى عندهم معرفة بفضايات ما دار في الكواليس في السويس .. ولأنه فوق هذا قرأ الأوراق التي طبعت كلها من مجلس

الأمن القومي الأمريكي .. وقرأ كل ما هو متاح في إنجلترا .. أخيرا كانت عنده الفرصة وهو موجود في إسرائيل أن يرى الأمور ويسمع عنها .. من مصادرها الأصلية مباشرة ..

ومن ثم فإنني أعتقد أن من واجبنا جميعا أن نصغى إليه باهتمام لأن حديثه فيما أعتقد يكتب وزنا خاصا .. حينما قلنا له : المرة القادمة أن يتكرم ويقول لنا شيئا عما رآه في إسرائيل ، وعن الندوة التي نظمت في إسرائيل .. حول الموضوع ذاته .. وأنا طلبت منه أول أمس أنه يعطينا فكرة عما كانوا يتحدثون فيه ، بصورة سريعة .. لكن الحقيقة أننا فكرنا في ختام هذه الندوة ، وأنه يوجد من أتاحت له الفرصة ، لكي تكون لديه هذه الحصيلة ، فليفضل بالحديث إلينا ، ليس عما شاهدته في إسرائيل فحسب .. بل الموضوع .. صورة الموضوع ، وبالتالي فإنني أردت بإذنكم أن أضيف هذه الإضافة ..

كيث كايل : السيد الرئيس ..

كما تلاحظون فإنني الآن أتناول الموضوع كمؤرخ على نفس الأرض التي تابعت أحداثها في الماضي كصحفي .. ولا بد أنكم تلاحظون الفارق بين نظرتي في الحالتين ..

ولكي نتفهم تطور أزمة السويس واستفحالتها من وجهة النظر البريطانية فإنني واثق أن السير أنتوني ناتنج قد عرض عليكم بدقة صورة الأحداث في اليوم الأول من هذه الندوة والذي لم أكن فيه حاضرا لسوء الحظ ..

لقد أبرز لكم الدور الذي كان يعيشه أنتوني إيدن في ذلك الوقت وكيف أنه كان شخصية بارزة ومتألقة على صعيد السياسة الدولية .. وكنجم النجوم على المسرح الدبلوماسي الدولي .. كانت المكانة التي أحرزها عظيمة بالقياس إلى الأحداث التي سبقت .. ذلك أن عام ١٩٥٤ كان عام الانجازات الرائعة بالنسبة لأنتوني إيدن .. قد أحرز فيها نصرا إثر نصر .. كانت أغلب هذه الانتصارات - مقارنة بما كان يجري لأمریکا في فيتنام - كانت في اتجاه إقامة سياسة خارجية

لبريطانيا مستقلة لا تخضع لسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية .. وفي نفس الوقت كانت هذه السياسة الخارجية لايدن ترمى إلى استعادة إقرار السلام في جهات مختلفة من العالم ولا تماشى سياسة الحرب الباردة ..

وفهم هذه الخلفية أمر ضروري لكي نستطيع متابعة الأحداث التي انجرفت في تجاه أزمة السويس ..

وباقتراب نهاية هذه السنة .. سنة ١٩٥٤ التي يمكن أن تسمى سنة المعجزات لدبلوماسية لايدن .. فإن لايدن قد أقدم على مبادرتين في الشرق الأوسط .. واحدة منها كانت في العلن .. والثانية كانت في الخفاء والسرية ..

وأعتقد أنه يمكن الحكم على هاتين المبادرتين بأن كلا منهما بمفردها كان لها ما يبررها وكان ممكنا أن تحقق له النجاح .. ولكن خطأ لايدن أنه أقدم على المبادرتين معا .. فأما تلك التي كانت في العلانية فهي تأييده للحلف الذي سمي فيما بعد بحلف بغداد .. وكان حلقا إضافيا بين تركيا والعراق ..

مبادرة بان ألفا

والمبادرة الثانية التي كان يتابعها لايدن في سرية مطلقة والتي لم تعرف إلا هذه الأيام بسبب الافراج عن وثائقها حديثا .. كانت تعرف باسم «بان ألفا» .. وكانت نتيجة اقتراح من لايدن قدمه للدالاس .. لكي يعمل الاثنان سويا في جهد مشترك لتدعيم تسوية نهائية للقضية الفلسطينية .. وشكل لهذه الغاية فريق مشترك من المفاوضين البريطانيين والأمريكيين .. وكان السير إيفيلين تشاك هو العضو الرئيسي عن الجانب البريطاني .. وفرانسيس رسل العضو الرئيسي عن الجانب الأمريكي .. وكان الاثنان مخولان للعمل بمعزل عن وزارة الخارجية الأمريكية ووزارة الخارجية البريطانية .. وكانت معظم الأجهزة الدبلوماسية العادية في البلدين معزولة تماما عن هذه الخطة .. وأعني بذلك على سبيل المثال أن نشاطها

قد حجب حتى على السفراء العاملين في المنطقة .. واتصل العمل في هذه الخطة عام ١٩٥٥ وحتى عام ١٩٥٦ ..

ومفهوم ضمنا أن هذه الخطة كان لها الأولوية على أية تطورات جرت في تلك الفترة .. فقد أعطت القيادات السياسية العليا في كل من البلدين الأولوية المطلقة لهذا الهدف ألا وهو الوصول إلى تسوية نهائية للتزاع العربي الإسرائيلي ..

وفي رأبي إذا ما أعدنا النظر في هذه العملية بإمعان أن هذه المحاولة كان مقضى عليها بالفشل لأنها كانت محاولة غاية في التعقيد .. وهناك في الملفات والوثائق الكثير عن هذه العملية يصل إلى أدق التفاصيل الدقيقة حول التسوية الفلسطينية الممكنة تشمل اللاجئيين .. والأراضي وكل شيء .. ولكن مشكلة المشاكل في هذه القضية أنها افترضت تعديلات في الأراضي والحدود كان من المستحيل - من وجهة نظري - أن تتقبلها إسرائيل ..

كانت الفكرة الأساسية أن يكون تناول المشكلة على غرار الطريقة التي سويت بها قضية تريستا .. وقد اسميت بالفعل «نمط تريستا» لأنه قد بدا لهم أن هذه القضية تشابه تعقيدا وعمقا مع قضية تريستا والتي أمكن الوصول فيها إلى تسوية بين يوغوسلافيا وإيطاليا ..

وكانت الخطة أن بريطانيا وأمريكا في عملهما المشترك كان عليهما قبل كل شيء أن يتناولا معا التعامل مع أحد أطراف الصراع وأن يحاولا أن يساويا على مطالبه حتى يصلا بهذه المطالب إلى أقصى حد أدنى لها .. ثم ينتقلا بعد ذلك إلى الطرف الآخر في التزاع لكي يصلا معه بدوره إلى الحد الأدنى للمطالبة .. على أن تتم هذه الاتصالات تحت أقصى درجات السرية المطلقة ..

كان الزعيم المعبر عن العالم العربي في تقديرهما هو الرئيس ناصر ..

وكان الرئيس ناصر في نظرهما هو الشخصية الوحيدة في العالم العربي التي تستطيع أن توقع اتفاقية سلام دائم مع إسرائيل وأن تضمن لهذا السلام أن يبقى ..

ولكى يوفرنا فرصة النجاح لخطه «بان ألفا» فقد أصبح اهتمام بريطانيا وأمريكا منصبا على تدعيم مركز ناصر وتقويته سياسيا ..

ولكن في نفس الوقت كان إيذن متورطا في العزل في مبادرة حلف بغداد وكان هذا لسوء الحظ متعارضاً مع أهداف خطة «بان ألفا» .. ليس من الناحية النظرية فقط وإنما أيضاً من الناحية العملية .. لأنه بإدخال العراق بزعامه نوري السعيد في حلف دفاعي كان ذلك معناه اتخاذ إجراءات تتعارض مع المصالح السياسية للرئيس عبدالناصر ..

وصحيح حقيقى أن بريطانيا والعراق كانتا مندفعتين لتحقيق الاتفاق العراقى التركى .. ولكننى أعتقد أن الدفع والضغط لتعجل تحقيق هذا الحلف كان من جانب تركيا .. فخلال عام ١٩٥٥ كانت تركيا تدفع بعنف متواصل الأطراف الأخرى للسير قدما فى إجراءات تشييد الحلف ومؤسساته .. وكانت باستمرار تهتم هذه الأطراف وخاصة بريطانيا بأنها تتعاس وتبباطأ وقد أفلحت بالفعل فى أن تدفع بريطانيا إلى القيام بأفعال لم تكن تريد أن تقوم بها طواعية .. ولقد أفلحت تركيا أيضا فى حث الخطى نحو استكمال العضوية لحلف بغداد .. واستكمال مؤسساته وتعيين مجلس الحلف ودفعه قدما .. واضطرت بريطانيا رغم إرادتها أن تذهب إلى آخر المدى لكى تظهر أنه مازال لها الحضور والمكانة فى المنطقة ..

كانت تركيا قد فازت بعضوية حلف الاطلنطى وكان ذلك شرطها المسبق التى طالبت بتحقيقه قبل أن تباشر أى دور يطلب منها فى الشرق الأوسط .. كانت تريد قبل كل شىء أن تدعم مصداقية أنها دولة أوربية فى الأساس .. وكانت فى سبيل ذلك مستعدة بجنون أن تفعل أى شىء فى الشرق الأوسط .. وكانت تركيا هى التى صممت على إلحاق إيران بحلف بغداد .. وكانت هى التى أصرت على فرض الحلف على الأردن .. الأمر الذى أدى فى نهاية ذلك العام إلى تلك النتيجة التى تعرفونها .

مغزى صفقة الأسلحة التشيكية

وسأقفز فوق الأحداث التي تعرفونها حرصا على الوقت لنصل إلى سبتمبر نهاية
سبتمبر ١٩٥٥ .. تلك كانت مرحلة صفقة الأسلحة بين مصر
وتشيكوسلوفاكيا ..

وأظن أن الوقت لا يسمح لى بتناول التفاصيل والأسباب وأعتقد أنكم
تعرفونها الغارة على غزة وخلافه ..

ماذا كان رد فعل هذه الصفقة على وزارة الخارجية في لندن .. أنتم تعلمون
بأمر هذه الصفقة .. وبعض ردود الفعل .. وقد تناوها السير أنتوني ناتنج فقد
كان هو هناك في الوزارة حيث لم أكن .. ولكن من قراءة الوثائق أعتقد من المثير
أنه أهم ردود الفعل لنبا هذه الصفقة يتمثل في أمرين :

أولها : أن الاستمرار في تحقيق التوازن بين البلاد العربية وإسرائيل قد أصبح
أمرا لا معنى له ولا يمكن الاستمرار فيه لأنه لم يعد في مقدور القوى الغربية أن
تحكم حركة التسليح في المنطقة بأسرها ومن ثم لم يعد ممكنا أن نتحكم في
حصص السلاح التي تحصل عليها كل دولة .. وأنه لم يعد في استطاعة بريطانيا
أن تواصل دورها كمحكم بين البلاد العربية وإسرائيل وأن على بريطانيا إذن أن
تنحاز إلى مصالحها الوطنية الأمر الذي يعنى أن تنحاز إلى جانب العرب ..

والأمر الثاني : أن من المحتمل أن عبد الناصر قد تجاوز الحد في اتجاه الاتحاد
السوفيتي وأنه قد ذهب بعيدا .. إلى حد أنه أصبح إما عميلا للاتحاد السوفيتي أو
على الأقل أداة في أيديهم .. وأنه أصبح من الصعب استرجاعه من هذا
الاتجاه .. ومن ثم فقد وجبت الاطاحة به وازاحته من السلطة ..

كانت هاتين التيجتين هي خلاصة ما وصلت إليه إدارات الخارجية
البريطانية فور تلقيها نبا الصفقة ..

وأستطيع أن أقول إن عبد الناصر قد لعب دوره ببراعة مستخدما تكتيكات

فن العلاقات العامة .. فقد دأب خلال الأيام القليلة التالية على إعلان الصفقة - بل وخلال أسابيع بعدها - على أن يؤكد بوضوح أن هذه الصفقة ما هي إلا مجرد صفقة يتيمة وحيدة .. ليس في النية عقد صفقات أخرى مماثلة لها .. وأنه مازال مهتما وحرصا على حسن العلاقات مع الغرب .

ولقد كان غريبا حقا أنه وقد تمت هذه الصفقة في أواخر سبتمبر ، فإن أنتوني إيدن ظل حتى آخر نوفمبر .. يحاول بجهد مستميت يائس أن يحمل واشنطن على اعتماد القرض اللازم لبناء السد العالي .. وكانت هناك مداورات تدور في واشنطن منذ مدة ليست بالقصيرة .. مداورات متأنية ومتروية بين الولايات المتحدة والبنك الدولي حول تقديم عرض لمصر لمساعدتها على بناء السد .. ولكن الضغط لكي تذهب الأموال إلى مصر جاء من جانب أنتوني إيدن .. وكان أنتوني إيدن يؤكد في رسائله إلى واشنطن أن دوافعه سياسية وأن السد العالي أمر سياسي بالدرجة الأولى وأن مساعدته في بناء ذلك المشروع ستضمن ربط مصر اقتصاديا بالغرب رغم صفقة الأسلحة السوفيتية ..

ورغم المعارضة القوية في واشنطن إلا أن إيدن استطاع أن يكسب دالاس إلى جانب رأيه بل وفي آخر الأمر تمكن من اقناع ايزنهاور نفسه ..

ولكن المعارضة في الأروقة التي تملك الكلمة كان قويا .. كان جورج همفري وزير الخزانة الأمريكية والذي كان شخصية لها وزنها المؤثر إلى جانب أنه كان مقربا جدا إلى ايزنهاور .. كان جورج همفري ضد المشروع وكان يعارضه معارضة قوية منذ البداية .. كذلك كان هربرت هوفر الأصغر والذي كان له نفوذ سياسي قوى في مثل هذه الأمور ..

وهكذا منذ البداية واجه المشروع متاعب سياسية قوية في الكونجرس .. وعلى أية حال فإن ما يهمنا من هنا هو أن أنتوني إيدن كان يريد أن يربط مصر أكثر وأكثر بالغرب وذلك عن طريق مساعدتها اقتصاديا ..

وفي رسالة تكاد تكون يائسة أبرق بها إيدن إلى ايزنهاور قال :

«إن ما سوف نقرره نحن الاثنان خلال اليومين أو الثلاثة القادمين سيحدد مصير أفريقيا إلى زمن بعيد ..» بهذه الكلمات المتوسلة كان مدى تقدير إيدن للسد العالى ..

رأى المخابرات الأمريكية والموقف من عبد الناصر

ومرة أخرى مراعاة للوقت أقفز على هذه المرحلة إلى ما بعدها .. فقط أود أن أركز على مدى التذبذب والتناقض الذى اعترى السياسة البريطانية ذلك الوقت فن رد فعلها تجاه صفقة الأسلحة السوفيتية إلى مسانبتها لمشروع السد العالى .. ثم بعد شهر أو اثنين .. إذا بها تعدل نهائيا عن تأييد ناصر ..

وأنتم تعلمون الأحداث التى وقعت .. الاضطرابات والمظاهرات فى الأردن حول حلف بغداد وطرد الجنرال جلوب إلى آخر هذه الأحداث ..

كانت المخابرات البريطانية أكثر رسوخا فى الشرق الأوسط فى تلكم الأيام عن المخابرات المركزية الأمريكية .. وكانت المخابرات البريطانية قد حسمت موقفها تجاه الرئيس ناصر فى تقييم نهائى .. وهناك برقية بتاريخ أول إبريل ١٩٥٦ من ويلبور ايفلاندر .. عميل المخابرات الأمريكية والذى كان مفروضا أن مقره كان دمشق .. ولكنه كان يبعث بتقاريره من لندن ... عن مجموعة من المحادثات الخطيرة التى جرت بين خبراء الـ «م ١٦» أى المخابرات البريطانية وبين خبراء المخابرات المركزية الأمريكية ..

كانت المخابرات البريطانية تعرض وجهات نظرها واكتفى مندوبو المخابرات الأمريكية بالاستماع ونقل تقاريرهم إلى ألن دالاس فى واشنطن ..

كانت وجهة نظر المخابرات البريطانية فى أول أبريل ١٩٥٦ .. وأول أبريل دائما مناسبة هامة فى غير الأمور السياسية - أن ناصر قد أصبح : «أداة طيبة كلية» فى يد الاتحاد السوفيتى .. وأن نواياه هى تحطيم إسرائيل نهائيا .. وأن يحرز سيطرة كاملة على العالم العربى .. وأنه ليس هناك أى أمل البتة فى استرجاع ناصر

للصداقة مع الغرب .. وقد استندت المخابرات البريطانية في تقييمها الجديد هذا عن الرئيس ناصر والذي جاء في البرقية المرسلة إلى واشنطن .. إلى مصدر جديد على المستوى .. يحتل مركزا مهما في دائرة المسئولية الضيقة المحيطة بالرئيس ناصر .. وقالت البرقية إن هذا المصدر العالى المستوى أطلق عليه الاسم الكودى « Luelly Breale » وأن هذه المعلومات أمكن الحصول عليها اعتبارا من نوفمبر ١٩٥٥ وهو الذى أدلى بهذه المعلومات على شكل وثيقة جرى تهريبها من القاهرة إلى لندن .. وأن هذه الوثيقة اعتبرت من الوثائق السرية للحكومة المصرية وأن المعرفة بمحتوياتها لم تخرج عن الحلقة الضيقة في قمة السلطة في مصر .. وأن هذه الوثيقة يقال إنها تكشف عن الالتزام الكامل للرئيس ناصر ومستشاريه بنحط السياسة السوفيتية ..

وواضح من البرقية أن هناك اختلافا كبيرا وعميقا بين المخابرات البريطانية والمخابرات الأمريكية وأعتقد أن الكثيرين منكم يعرفون أنه كانت للمخابرات المركزية الأمريكية صلات قوية بالرئيس ناصر ..

كانت هناك اتصالات غير رسمية على المستوى الشخصى بين بعض مندوبى المخابرات الأمريكية والرئيس ناصر .. وكانت تتم هنا في القاهرة لقاءات ودية وشخصية بين الرئيس ناصر وبين عملاء المخابرات الأمريكية وتجرى فيها المناقشات وتبادل المعلومات على أسس من العلاقة الشخصية الودية والوثيقة والحارة .. وكان هؤلاء العملاء الأمريكيون مقتنعون تماما بفكرة تدعيم مركز الرئيس عبد الناصر ورفعته حتى تصبح له القيادة والزعامة في العالم العربى في الشرق الأوسط ويصبح الزعيم الناطق باسم العرب القادر على أن يعطى التعهدات باسمهم ..

هذا في الوقت الذى كان فيه تقدير المخابرات البريطانية مختلفا .. وكانت إعادة تقييمها للرئيس ناصر مبنى في الأساس على وجهات نظر نائب رئيس المخابرات البريطانية في ذلك الوقت جورج كيندى الأصغر .. وكان هذا التقييم

يلقى معارضة ذات اعتبار .. ولقد التقيت حديثا بواحد من خبراء المخابرات البريطانية الذين عاصروا هذه المرحلة وقد تناقشت معه حول هذا الموضوع فقال لي إنه كان يعتقد أن تقدير الموقف البريطاني وفق مفهوم ذلك التقييم كان ضريبا من الغباء المجنون ..

ولقد طرحت أمور عديدة على بساط البحث وكان البريطانيون يعدون لعديد من المبادرات .. وأود أن أؤكد أنه إذا ما كانت المخابرات البريطانية قد وصلت إلى هذه النتائج فإن هذا لا يعني أن الحكومة البريطانية قد تبنت وجهة نظرها ولا يعني أنها أخذت بنصائح المخابرات واقتراحاتها .. وأنه من المهم .. المهم جدا أن أشد انتباهكم إلى أنني عندما أشرت إلى التقييمات البريطانية فإنما كنت أقصد تقييمات المخابرات لا تقييمات الحكومة البريطانية .

ولقد اقترحت المخابرات البريطانية اتخاذ مجموعة من الخطوات في الشرق الأوسط .. كان من بينها إحداث انقلاب في سوريا وفي السعودية وقالوا إن الإجراء الذي ستقوم به ضد الرئيس ناصر سيتوقف على رد فعله تجاه هذه الأحداث ..

ومن بين الأشياء المثيرة التي جرت في اجتماع أول إبريل هذا عام ١٩٥٦ .. أنهم توقعوا أن ردود فعل الرئيس ناصر ربما تضمنت الاستيلاء على قناة السويس وأنه من الضروري أن يعرفوا ماذا سيكون عليه رد فعل الحكومة الأمريكية تجاه مثل هذه الخطوة ..

والآن .. أكرر مرة أخرى - وأنا آسف لهذا التكرار ولكنني أظن أنه ضروري وهام - أن هذا كله قد دار في اجتماع بين جهازى المخابرات البريطانى والأمريكى وأن هذا لا يعنى أن الحكومة قد أخذت بوجهات النظر التى دارت فيه ..

ويغض النظر عن هذا كله .. فإن هناك بعض الدلائل .. وعلى الأخص تلك التى أوردها السير أنتونى ناتنج فى حديثه .. والتى تبين أن الروح التى سادت هذا التقرير المشار إليه فى اجتماع أول إبريل هذا .. هذه الروح لم تكن بكليتها

متعارضة مع ما كان يضمه رئيس الوزراء إيدن ومع ما كان يتامى فى نفسه من
نوايا ..

ومعروف جيدا أن رئيس الوزراء كان قد أمر بأن يرسل إليه فى مقر رئاسة
الوزارة . داوننج سترت .. ليس فقط الملخص العادى لتقارير المخبرات وإنما
كان يطلب نسخة من النص الكامل لكافة تقارير المخبرات الواردة من الشرق
الأوسط ..

دالاس والسد العالى

وأتحرك بسرعة من هنا .. لأورد رواية أعتقد أنها صحيحة إلى أبعد
الحدود .. فقد عرفتها من مراسلنا فى واشنطن وهى واحدة من الحكايات العديدة
التي لانهاية لها والتي عرفتها بصفة شخصية ..
كان دالاس فى الحقيقة يواجه متاعب سياسية عديدة ومعقدة نتيجة تعهده
بتمويل السد العالى ..

كانت هناك معارضة قوية للمشروع من جانب الأعضاء السناتورز عن
ولايات الجنوب والغرب والذين كانوا يريدون الاعتمادات المالية لبناء سدود
ومنشآت فى ولاياتهم ورفضت طلباتهم من جانب الإدارة الجمهورية المحافظة ..
ولم يكن هؤلاء السناتورز ليستطيعوا أن يفهموا. لماذا بحق السماء يجرمون من
الأموال لمشاريع ولاياتهم .. ثم يذهب جانب ضخم من الأموال الأمريكية لبناء
سد فى بلد بعيد يزرع القطن المنافس لما تنتجه ولاياتهم ..

كان كثير من هؤلاء المعارضين من ولايات منتجة للقطن فى أمريكا .. وكان
هناك هذا النوع من المعارضة .. وكان واضحا جليا أن الإدارة ستواجه صعوبة
فائقة فى تمرير اقتراح دعم مشروع السد العالى ..

ثم جاءت بعد ذلك أحداث عديدة أدت فى النهاية إلى انقلاب دالاس ضد
المشروع .. من بين هذه الأحداث كان اعتراف مصر بالصين الشعبية .. كانت

هذه الضربة تعنى بالنسبة لدالاس نوع من الاذلال والتجاهل لمشاكله السياسية ..

هنا كان هو يصارع معارضييه لتسوية الأمور من أجل مصر لتبنى سدها .. وها هو رئيس مصر يتصرف هكذا فيضيف شريحة جديدة من أعضاء الكونجرس إلى صف المعارضة .. فلم يكن خافيا أن هناك جانبا كبيرا من أعضاء الكونجرس في صف شيان كاي شيك وكانوا ضد أى عمل من أى نوع مع الصين الشعبية .. كذلك كان هناك شيء آخر .. كان جون فوستر دالاس يعيد تقييم ما يجرى داخل الاتحاد السوفيتي .. الذى كان يتطور بسرعة .. كان ستالين قد مات .. وأصبح خروشتشيف ويولجانين هم الحكام الجدد .. وكان الاتحاد السوفيتي قد بدأ وللمرة الأولى أن يعطى اهتماما لتقديم المساعدات الاقتصادية للشعوب خارجه ..

وكانت نظرة دالاس للمشكلة أنه إذا ما أصبحت القوتين الأعظم تزاولان عمليات تقديم المساعدات الاقتصادية فما الذى يمنع قوى العالم الثالث من أن تضرب إحدى القوتين بالأخرى وتلعب على كليهما في سبيل الفوز بمغرم أكبر .. ولقد قرر دالاس أن يجعل العرض المقدم لمشروع بناء السد العالى بمثابة خطوة استطلاعية .. وفي مرحلة مبكرة من الاجراءات .. أوضح بجلاء تام .. أن أمريكا لن تقبل المزايدة في مثل هذا المزاد العلني العالمى ..

وكانت وجهة نظر دالاس أنه إذا ما سحب العرض فإن مصر ربما لجأت إلى الاتحاد السوفيتي وهنا سيحدث واحد من أمرين : فإما أن يتراجع الاتحاد السوفيتي عن التورط في هذا المشروع وفي هذه الحالة سيفقد الاتحاد السوفيتي الكثير من مكانته وهيبته .. وإما أن يتورط الاتحاد السوفيتي في المشروع وعندئذ سيجد نفسه قد غرق إلى أذنيه في مستنقع من المشاكل والمتاعب المتعلقة بالتعامل مع الشرق الأوسط إلى جانب مشاكل ومتاعب آليات ومتطلبات هذا المشروع الضخم .. وتصور دالاس بهذا .. أنه هو الرابح في الحالتين .. سواء تملص

السوفيت من المشروع أو تورطوا فيه .. ومن ثم فقد أراد أن يتصر على السوفيت بهذه اللعبة .. وبالفعل سحب عرضه بتمويل السد العالى عاملا متعمدا بهذه الطريقة الفجة الباردة .. المهينة .. وهو لم يقصد أن يتعمد الإهانة .. ولكن تصرفه بدا فى مصر مهينا ..

وكانت النتيجة بالطبع .. الأمر الذى لم تتوقعه واشنطن على الاطلاق .. هى تأميم شركة قناة السويس ..

والآن نتقل إلى رد فعل بريطانيا .. والذى أصبح اليوم غاية فى الوضوح فى الأوراق والوثائق التى كشف عنها روبرت جيمس فى كتابه «حياة انتونى إيدن» حيث قال إن مجلس الوزراء البريطانى قد اجتمع لدراسة الاقتراح الأمريكى لعقد مؤتمر للقوى البحرية .. وقد قرر المجلس قبول هذا الاقتراح ولكن على أساس أن تتقدم فيه بريطانيا بمجموعة من المطالب .. تكون بمثابة إنذار نهائى بأن هذه المطالب إما أن يقبلها جميعها الاتحاد السوفيتى .. أو يرفضها .. وأنه لن يكون هناك أى مناقشة .. أو تباحث بشأن هذه المطالب .. وكان التوقع فى المجلس أن استخدام القوة وارد .. كان هذا واضحا وواردا حقيقة منذ الدقيقة الأولى التى بدأ مجلس الوزراء البريطانى يستعرض فيها أزمة السويس ..

كان هارولد ماكميلان الذى كان وزيرا للخزانة وأصبح وقتها وزيرا للخارجية وبعد ذلك بقليل أصبح رئيسا للوزراء بعد إيدن ..

كان هارولد ماكميلان منذ البداية يدعو إلى استخدام إسرائيل ضد مصر .. ولكن هذا الاقتراح رفضه إيدن بشدة وحزم فى ذلك اليوم بالذات وهو الثالث من أغسطس ١٩٥٦ ..

تعرفون طبعاً أمر مهمة متريس وعملية التفاوض التى جرت من بعد فى نفس الوقت كان واضحا أن ايزنهاور منذ البداية كان معارضا تماما لاستخدام القوة فى هذه القضية .. أما دالاس الذى كانت قد تجمعت عنده الأسباب للنفور من

الرئيس ناصر .. لم يكن أبدا معارضا لأية إجراءات تؤدي إلى التخلص منه .. ولكنه كان على يقين من أن رئيسه ايزنهاور لن يؤيد استخدام القوة .. ومن ثم كان كل ما فعله هو أنه حاول أن يكسب الوقت وأن يورط البريطانيين والفرنسيين الذين كانوا « يطفحون الدم مع الدبلوماسية » واستمر على طريقته هذه ..

فرنسا وإسرائيل

كان الفرنسيون يرون أن البريطانيين قد أصبحوا بلا حيلة وقد وقعوا في شرك متهاتات الدبلوماسية مؤتمرات ومباحثات وأفكار .. لذلك اتجه الفرنسيون إلى إسرائيل ..

كان العامل الأساسي والفعال في العلاقات بين فرنسا وإسرائيل هو بالطبع قضية الجزائر التي خلقت بينها مصالح مشتركة .. ولكن من المهم أيضا أن نتذكر أن هذه الحكومة الفرنسية بالذات كان يسيطر عليها عناصر كانت بارزة في حركة المقاومة الفرنسية لألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية وكان أغلبهم شبابا في ذلك الوقت .. ومن ثم لم يكن هناك أدنى شك أنه ما أن بدأ الفرنسيون في الاتصال بالاسرائيليين حتى تحركت عوامل نفسية عميقة بين الجانبين جعلت التفاهم بينهما تلقائيا وأحس كل منهما تجاه الآخر بألفة وأمان .. كان بروجيس مانورى هو الذى قام بالمبادرة الأولى في هذه الاتصالات .. كان وقتها وزيرا للدفاع وأصبح بعد ذلك رئيسا للوزارة ..

بروجيس مانورى كان واحدا من العناصر القيادية للمقاومة الفرنسية ضد الألمان ..

أخذ الفرنسيون يستفسرون من الاسرائيليين عن عدة أمور ..

كم من الوقت يلزمكم إذا ما هاجمتم سيناء .. وكم تستغرقون من الوقت لبلوغ قناة السويس .. وكان رد الاسرائيليين أنه يلزمهم ستة أو سبعة أيام ..

وكانت هذه مفاجأة للفرنسيين الذين قال لهم الخبراء .. إن تلك العملية تستغرق ثلاثة أو أربعة أسابيع .. ولكن الإسرائيليين أصرروا على تقديمهم .. ودارت مباحثات عسكرية بين الفرنسيين والإسرائيليين .. شارك فيها الجنرال ديبان .. والذي تعرفون أنه إلى جانب أنه عسكري فإنه على درجة عالية من الثقافة والفكر .. وسرعان ما كان له تأثيره على الجانب الفرنسي واستطاع اقناعهم بأن في إمكانه أن يقوم بالعملية ..

اجتماع التواطؤ

وسأعبر نتائج هذه المرحلة لأنكم تعرفونها وأصل إلى اجتماع التواطؤ الذي كان بالطبع موضع استغراب شديد سواء في بريطانيا أو في غيرها ..

كانت هناك طائرة أمريكية قدمها الأمريكيون إلى الجنرال ديجول كهدية .. فأرسلها الفرنسيون لاستحضار بن جوريون من إسرائيل ليحضر اجتماع «سيفر» وهي إحدى ضواحي باريس .. وعقد فيها الاجتماع تحت قيود من السرية عالية ..

حضر بن جوريون إلى الاجتماع وهو مهبور إذ يشعر أنه لأول مرة تعامل إسرائيل معاملة الند في لقاء دولي وأراد أن يبدأ الاجتماع باستعراض رئيسي للحدود الإقليمية في الشرق الأوسط .. ومن أجل هذا قدم عدة اقتراحات كان من بينها تقسيم لبنان لإقامة دولة مسيحية فيها .. وأشياء أخرى من هذا القبيل .. كتقسيم الأردن أيضا بين العراق وإسرائيل وهلم جرا ..

وهنا تدخل بروجيس مانورى وقال «إنه لا الوقت مناسب ولا المكان مناسب لمناقشة مثل هذه الأمور .. فإذا أردت أن تشارك في هذه العملية إذن علينا أن نتدارس جوانبها .. ولا نستطيع الآن أن نتناول مثل هذه الأمور الجغرافية» .

وعلى الرغم من أن البعض قد أضفوا أهمية كبيرة على دور بن جوريون في أنه هو الذى دفع قدام هذه الخطوة الكبيرة ولكن الحقيقة أنه لم يسمع منه شيء جديد خلال مناقشة باقى جوانب الخطوة ..

ولكن العبء الأكبر ..

هنا أود أن أقول إنه رغم أن هذا المؤتمر فى حد ذاته كان مؤتمرا بين أطراف ثلاثة .. إلا أن الحقيقة أن طبيعة العلاقات بين المجتمعين كانت متباينة ..

كانت العلاقات بين إسرائيل وفرنسا فى هذا الوقت قد أحرزت بالفعل تقدما جوهريا على أساس أن فرنسا قد استمرت فى توريد السلاح لإسرائيل فى الوقت الذى عزفت فيه باقى الدول الأوروبية عن مدها بالسلاح ثم إلى جانب هذا يضاف هذا التجاوب النفسى والتقارب الذى نما بين رجال المقاومة الفرنسية ضد النازى وبين الإسرائيليين ..

أما العلاقات بين إسرائيل وبريطانيا فكانت دون ذلك بكثير .. بل إنه فى حقيقة الأمر فإن بريطانيا قبل أسابيع من هذا اللقاء كانت قد وصلت إلى حافة الحرب مع إسرائيل ..

ومن المثير للدهشة والاستغراب أنه عندما يتفحص المرء أوراق لجنة هيئة أركان حرب العمليات البريطانية فى الستين السابقتين على عام ٥٨ أن يرى كم من الوقت استغرقته هذه الهيئة فى دراسة كيف تشن بريطانيا الحرب على إسرائيل بسبب التزام بريطانيا بالمعاهدة البريطانية الأردنية من ناحية وبسبب سياسة إسرائيل فى تكثيف غاراتها الانتقامية ضد الأردن وخلق مشاكل مع الأردن على الحدود .. الأمر الذى بدا أنه يشكل خطرا حقيقيا ومهددا إلى درجة أن البعض كان يساوره الجزع من أن بريطانيا سرعان ما تضطر إلى التورط فى حرب ضد إسرائيل ..

ومن هنا يمكن أن يقال إن العلاقات بين بريطانيا وإسرائيل فى ذلك الوقت

لا يمكن أبدا أن تكون وثيقة .. هذا إلى جانب أن بن جوريون لم يكن .. على أقل تقدير .. يرى في إيدن السياسي البريطاني المقبول إلى نفسه .. كان بن جوريون يحمل عليه أنه هو الذى دفع إلى تأسيس الجامعة العربية .. بل إن بن جوريون فى خطاب له فى نوفمبر ١٩٥٥ قد وصف إيدن بأنه يشجع على مطالبة إسرائيل بتقديم تنازلات أرضية لتعديل حدودها مع العرب .. بل إنه طالب إسرائيل علنا بذلك فى إحدى خطبه .. وعلى أية حال فإن أقل ما يمكن أن يقال هو أن بن جوريون كان يرى أن إيدن هو آخر السياسيين البريطانيين الذى يمكن الميل إليهم ..

ولذلك يمكن القول باطمئنان إن الفرنسيين فى اجتماع سيفر قد بذلوا جهدا كبيرا فى اقناع الإسرائيليين بأنه يمكنهم الثقة فى البريطانيين .. وأنه لا يمكن للفرنسيين أن يقوموا بهذه العملية دون أن تشترك فيها بريطانيا .. وأن الإسرائيليين إذا لم يكونوا مستعدين أن يضعوا قدرا من ثقتهم فى بريطانيا فإنه عليهم أن ينفضوا أيديهم من الأمر كله .. ومن ثم فإن على الإسرائيليين أن يخففوا من غلواء مطالبهم وشروطهم وأن يجعلوها فى حدود المعقول ..

كان سلوين لويد حاضرا فى اجتماع سيفر .. وهناك كثير من التفاصيل عن طريقة حضوره وكيف أنه وضع شاربا مستعارا وهو فى طريقه إلى الاجتماع لكى يخفى شخصيته متتكرا .. وقد عرضت تفاصيل الترتيبات التى توصلوا إليها فى الاجتماع على مجلس الوزراء البريطانى الذى اجتمع عدة مرات فى الأسبوع التالى لاجتماع سيفر .. وقد استخدم إيدن نفسه كلمة «ذريعة» فى وصفه لسيناريو العملية .. وقال «إننا لن نجد ذريعة أفضل من هذه لتسوية أمورنا نهائيا مع ناصر» .. ومن المناقشات التى دارت فى المجلس لم يكن هناك أدنى شك على الإطلاق فى أن الإطاحة بالرئيس ناصر كانت الهدف الرئيسى والأساسى للعملية كلها .. إلى درجة أن سلوين لويد قال أمام المجلس - وقد قال نفس الشيء فى اجتماع سيفر - إنه رغم ما أمكننا القيام به فى مفاوضاتنا بنيويورك تحت رعاية داج همرشولد بوصفه السكرتير العام للأمم المتحدة .. فإن لقاءنا بوزراء الخارجية

وبوصولنا إلى المبادئ الستة التي تم الاتفاق عليها بين هؤلاء الوزراء .. فإنه من الممكن أن نصل إلى اتفاق بخصوص قناة السويس ولكن العيب الوحيد أن هذا الاتفاق لن يوفر الاطاحة بالرئيس ناصر..

وأخيرا قرر المجلس في النهاية المضي قدما في تنفيذ العملية .. بالطريقة التي تعرفونها جميعا .. ولكن المجلس لم يحط علما باجتماع سيفر .. ولم يعرفوا أن سلوين لويد كان حاضرا مع بن جوريون ..

كل ما أحيطوا به علما هو أنه أصبح من الواضح أن إسرائيل ستقوم بهجوم على مصر.. وقال إيدن في هذا الاجتماع : إنه من المحتمل أن نتهم جميعا بالتواطؤ .. وكان إيدن نفسه هو أول من نطق بكلمة «تواطؤ» في هذه المناقشات ثم أردف بعد ذلك بملاحظة أرى أنها كانت بارعة فقد قال : «وعلى أية حال فإننا سنتهم بالتواطؤ لأن مجلسنا قد أعلن خلال قراراتنا السابقة أننا مستعدون لاستخدام القوة من أجل الموضوع الرئيسي لهذه المشكلة وهو من الذي سيدبر ويشرف على قناة السويس .. وإذا ما نحن تدخلنا وفق هذا السيناريو فإن إسرائيل ستتدخل حتما لتستغل هزيمة مصر في الحصول على مكاسب لها وأن تستولى على أجزاء من أرض سيناء .. وهكذا فإن من المحتمل أنه كنتيجة للأحداث التي تعقب تحقيق الهدف الأساسي من تدخلنا لإقرار تأمين وإعادة ترتيب عملية إدارة قناة السويس .. فإن ذلك سوف يؤدي إلى توجيه تهمة التواطؤ لنا .. وهكذا ترون أن اتهام التواطؤ سيوجه إلينا مهما عملنا .. ولكن سيكون الموقف أفضل بالنسبة لنا لندفع عن أنفسنا هذه التهمة إذا ما كنا نتدخل كمحايدين للفصل بين قوتين متنازعتين ..

وهكذا .. وعلى أساس هذا التوضيح .. وافق مجلس الوزراء البريطاني على تأييد العملية ..

، ، وشكرا ، ،

الفا وأوميجا

الأستاذ أحمد حمروش : نشكر السادة الضيوف الأعمام الذين وفدوا من دول أجنبية وتجمهروا مشقة السفر.. نشكرهم على أن لهم كلمات سوف تثرى هذه الجلسة الختامية ..

قبل أن يبدأوا في الحديث الأستاذ محمد حسين هيكل له تعقيب سريع على الكلمة التي قبلت الآن ..

الأستاذ هيكل : الحق أنى لم أكن أريد المغالاة في التدخل .. ولكن من المفروض أننا في هذه الندوة ، وفي هذه الجلسة الأخيرة ، نخرج وقد تمثلنا جميعا صورة قريبة مما حدث ..

إن صديقنا العزيز كاييل أفضى بسرعة بأمر كثيرة جدا ، وبعضها يستحق التوقف ، ولكن هناك وراء جميع هذه الأمور خلفيات ، لذلك طلبت الكلمة لإيضاح بعض الخلفيات ، من أجل أن توضع في مواقعها على وجه الدقة ..

إنه حينما نتحدث مثلا عن مجموعة «ألفا» وقال راسل ، فإن هذا الكلام قد لا يبدو مفهوما لأول وهلة .. على الأقل لبعض إخواننا ، خصوصا الشباب .. وعفوا فأنا أتحدث كثيرا جدا عن الشباب ..

ماذا حدث ؟ .. تماما كما قال هو أنه في أول مجيء إيزنهاور ، كانت الفكرة العامة ، أن قضايا أوروبا بشكل أو بآخر قد سويت على الأقل ، أو في طريقها للتسوية في أوروبا الغربية ، وحلف الأطلسي والحدود ، وبدأت تبقى مناطق العمل واضحة إلى حد ما ..

الشرق الأوسط كانت نقطة مفتوحة تماما .. وهم حريصون عليها بالأهمية المتزايدة طبعا للطاقة .. وبأهمية الموقع الاستراتيجي إلى آخره .. في هذا الوقت

ايزنهاور ألف مجموعة في البيت الأبيض أطلق عليها «مجموعة ألفا» رأسها الذي قال عنه إن اسمه راسل .

مجموعة «ألفا» تألفت بعدها بمجموعه اسمها «مجموعة أوميغا» .. ومجموعة راسل الأولى كان هدفها أن تعمل بالتنسيق مع الحلفاء على تحقيق تسوية في الشرق الأوسط .. أما مجموعة أوميغا فقد أنشئت فيما بعد ، وكان رئيسها ريموند هير الذي كان بعد ذلك سفيرا عندنا ، وكان هدفها تسوية الأوضاع بوسائل أخرى .. وطالما لم تنجح عملية الوصول إلى تسوية فإنه يبقى الدخول في عمليات أخرى ..

سوف أبدأ بعملية ألفا : عملية ألفا وضعت تصور .. هم تصوروا .. وكان التصور بالغ الدقة ، وهو أن المشكلة الفلسطينية هي أساس كل الأزمة في الشرق الأوسط .. وبالتالي لا بد من تحقيق صلح بين العرب وإسرائيل .. المجموعة ألفا .. أول عمل من عملها أنها اقترحت .. أنكم تذكرون إلى اسمه Joluston Plan التي هي مشروع توزيع مياه الأردن ..

حينما جاءت هذه المجموعة أوحين بدأت تشتغل .. بدت تشتغل باعتبار- وقد كان هذا بعد الثورة لو تفتكروا ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ .. ايزنهاور انتخب في نوفمبر ٥٢ .. تولى الرئاسة في ٢٠ يناير ٥٣ .. أنه حينما جاء كانوا بدأوا يعملوها .. كان فيه اتصالات مع مصر .. من الأول ..

موضوع ال CIA موضوع الحقيقة يستحق أن يقال فيه كلام بوضوح .. لأن المنطقة خرجت من الحرب العالمية الثانية والسيطرة فيها بريطانية .. وأمريكا تحاول أن ترث ، ولكنها لا تريد أن تبدو على السطح على أنها طرف وارث بهذا الشكل .. وبالتالي فهي تستخدم أساليب خفية للاتصال ، ومن هنا بدأ قدم أوائل المبعوثين إلى هنا ..

ومن قبل الثورة كان هناك كيرميت روزفلت وآخرون ..

كيرميت روزفلت كان موجودا في محطة في مصر .. مقره بيروت وقد أصدر

وقتها كتابا وكان كتابا ناجحا إلى حد بعيد ، وهو بدأ يجرى اتصالات ، وجاء إلى مصر قبل الثورة ، وقابل الملك فاروق عدة مرات وقابل عددا كبيرا من الزعماء ، وقابل سراج الدين .. وقابل أناسا كثيرين جدا في مصر ..

وفيما بعد الثورة ، استطرد كيرميت روزفلت في عمله . وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية تتصور أن جمال عبد الناصر شأنه شأن غيره من العسكريين الشبان .. المغامرين الذين يصلون للاستيلاء على السلطة ، وأن من الممكن استخدامه في هذا المشروع ..
كل هذا كان غائبا لكن ..

وحيثما حضر كيرميت روزفلت إلى هنا ، واستطرد نشاطه .. بدأ يتضح لجمال عبد الناصر أن هناك تناقضا أمريكيا إنجليزيا ..

كان له أسلوبه في العمل ، وهناك الكثيرون ممن يشهدون على ذلك الأسلوب .. إذ كانت لديه طريقة تقسيم المسائل ، بمعنى أنه إذ يعالج مسألة لا يتطرق منها إلى غيرها .. ينجز واحدة ، ثم يدخل في واحدة أخرى ..

فالإنجليز - على سبيل المثال - حينما رغبوا في ربط الدفاع عن الشرق الأوسط بالجللاء .. كان رافضا ، إذ قال : لا .. أنا أبحث موضوع الجللاء ، وعندما انتهت منه إلى نتيجة ، أتكلم في موضوع الدفاع عن الشرق الأوسط ..

كانت هناك محاولة لربط مشروع الشرق الأوسط بالصلح مع إسرائيل .. ولكنه كان يقول « لا أنا لا أتكلم في موضوع إسرائيل .. أنجز موضوع الجللاء عن مصر .. ثم أتكلم عن الشرق الأوسط .. وحينما ننجز موضوع الدفاع عن الشرق الأوسط أتكلم في موضوع إسرائيل .. إلى آخره ..

كان ينتهج سياسة ثابتة حريصة على عدم اختلاطها ببعضها وكل الاتصالات مع أمريكا كانت موجودة .. تحدث وتتكشف باستغلال التناقض البريطاني الأمريكي في هذا الوقت بين امبراطورية ذاهبة .. وبين قوة جديدة صاعدة ..

وفي اعتقادي أن هذه السياسة أدت إلى نتائج كبيرة جدا .. والذي يقرأ المحادثات والمراسلات الموجودة في هذا الوقت بين واشنطن ولندن يرى إلى أي مدى كان هناك ضيق شديد جدا من جانب الانجليز ، سواء في السفارة البريطانية ، أو النشاط الذي يقوم به كيرميت روزفلت ..

إنهم كانوا على أي حال يتصورون أن جمال عبدالناصر ، خاصة وقد تزايدت شعبيته ، هو الذي يقدر على أن يقود العالم العربي إلى صلح مع إسرائيل ..

هذا التصور لدى الأمريكيان بدأ يلاقي عدة صدمات - أنا لا أريد أن أطيل - حيث أتى باختصار .. أعرف أن هناك كثيرين ، سوف يتكلمون ، ونحن نريد جعل هذه الجلسة ثرية فعلا ، لكي تكون الصورة كاملة ، ومن أجل ذلك لا أريد احتكار الحديث ..

هناك ثلاثة أو أربعة أمور بدأت تصدم الأمريكيان .. هم أنهم ساعدوا كثيرا على عقد اتفاقية الجلاء .. قوى .. وقاموا حسب اعتقادي بدور توضح الوثائق كلها أنه كان دورا رئيسيا في الضغط على الانجليز لكي يخرجوا - لكن كانت هناك عدة أمور تثير قلقهم ..

أول صدمة كانت .. كانت باندونج .. التي كانت صدمة للسياسة الأمريكية بما فيها خطط مجموعة ألفا ، وقد تمثلت في ذهاب جمال عبدالناصر إلى باندونج ، ومقابلته لشوان لاي ..

الأمر الثاني .. كان صفقة السلاح التي قلبت موازين القوى في المنطقة فعلا كما قال الأخ هويدى أمس ..

مهمة أندرسون

والأمر الثالث .. كان فشل مهمة أندرسون ، وهذه مسألة هامة جدا ، لأن مهمة أندرسون كانت في أعقاب ما راح الرئيس الأمريكي يردده لكل المبعوثين

القادمين والرائحين إلى المنطقة عن عدم جدوى نشاطهم حيث الطرف الآخر يسخر منهم .. ومن ثم قال إننا في مرة واحدة وإلى الأبد نريد وضع جمال عبد الناصر على المحك .. تقولون لنا إن نواياه طيبة نحو الغرب ، ونحن نرى تصرفات ذهابه إلى باندونج وصفقة السلاح .. هذا كلام غير معقول ..

وبالتالى بعث الرئيس الأمريكى بيجون أندرسون على الفور .. حيث إنه بالضبط كما قال كيث كايل إن موضوع السد العالى قد تحمس له إيدن لأنه كان رغبة منه فى اللحاق بسير الأمور لاسترداد مصر إلى الخطيرة واستبقاء لنفوذهم .. لقد أوفد ايزنهاور أندرسون ، وطلب منه إبلاغ عبد الناصر بأن عليه أن يختار موقعه فهنا الورق الموجود للصلح مع إسرائيل .. وهذا مشروع معاهدة .. وهذا مشروع إعلان مبادئ .. وهذا مشروع خطاب ترسل به للبنك الدولى ..

كان طبيعياً أن تعثرت المباحثات .. وطبعاً رفض جمال عبد الناصر أنه يوقع على أى شىء ، وكان أن رأينا السياسة البريطانية بدأت تأخذ منحاً جديداً بعد سقوط جلوب فى الأردن .. إذ راح الإنجليز ينتهبوا لما قالوه عن السد العالى ومحاوله اللحاق بسير الأمور قبل أن تقع مصر .. ثم بدأوا يغيروا وجهة نظرهم فى هذا الشأن .. وبدأ الأمر ينتقل من إيدن ومن الساسة - فى اعتقادى - إلى ال M16 وإلى SIS وبدأ يتولى الموضوع واحد مثل سينكلر ، وواحد مثل أئحينا المنحون يونج ، لأن كلامه فى المحاضر يوضح أنه فقد عقله .. حتى البرقية التى يتحدث عنها كيث كايل ، واللى أرسلت من لندن إلى واشنطن ، تدل على أنه فعلاً خارج عن وعيه ..

جاء أندرسون إلى مصر .. ورفض جمال عبد الناصر كل ما جاء به .. ليس هذا فقط .. ذلك أنه فى الوقت الذى كانوا يحرون فيه إعادة تفكير .. فيما كان لديهم من أفكار .. وأحلام .. وتصور .. رفضه جمال عبد الناصر فى النهاية فى مواجهة واضحة ..

وقد حدث خلال الفترة التى كانوا يحرون فيها إعادة تقدير موقف حدث

تطوران أو حدث تطور مهم جدا .. وهو الاعتراف بالصين الشعبية .. وكانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير ..

انتقل الموضوع عندئذ - سواء في لندن أو في واشنطن - من مجال العمل السياسي إلى مجال عمل المخابرات .. حيث نجد اجتماعات المخابرات وقد بدأت تعقد في لندن وبطريقة مكثفة .. كلها أو بعضها في لوكاندا اسمها لوكاندا كونوت .. ويحضرها ممثلون من مخابرات هنا ومخابرات هنا ..

وماذا كان يحدث ؟ ! ..

دخل صديقنا يونج يقول « إن جمال عبد الناصر واضح أمامكم جميعا » أنه يقول « إنه يريد سيطرة على العالم العربي ، وأنه لن يعقد صلحا مع إسرائيل .. فإذا كان يريد يوحد العرب وأن يقيم إمبراطورية عربية جديدة .. لن يعقد صلحا مع إسرائيل .. فإنه سوف يعتمد إذن على الاتحاد السوفيتي .. وليس لديه حل آخر .. وإذن لابد من ضربه ومواجهته بالأساليب القديمة بهذه الطريقة .. لقد فعلتم ما فعلتم ومارستم ضغوطكم إلى آخره .. ثم نجيء مندوب الصحيفة الذي بعث بالبرقية الموجودة هذه - وهي على فكرة في الأهرام - بعد ٣ أو ٤ أيام .. يقول إنه هو فزع حينما سمع ممثل المخابرات الانجليزية يتحدث . إن المندوب يقول .. لقد جرت العادة حينما يتحدث المخابرات عن أنها تريد الخلاص من أحد ، أن تستخدم .. تعبيرات مهذبة ، بمعنى أن تقول تصفيته .. إزاحته .. لكن هذا الراجل كان داخلا يتحدث عن القتل .. حتى أن ممثلي المخابرات الأمريكية أصابهم الفزع كانت أول مرة في اجتماعات المخابرات تستعمل كلمة القتل .. اقتله ..

في هذا الوقت قامت أمريكا من جانبها بتأليف مجموعة أوميجا بصلد الموضوع .. ولم يبق حديث عن عقد صلح .. وإنما بق موضوع أوميجا هو الخلاص من عبد الناصر .. لكن كان فيه خلاف على الوسائل .. فبينما كان التفكير الإنجليزي يحوم حول عملية القتل وعملية الضرب وعملية الغزو .. خاصة

حين ثارت موضوعات الحملة المتبادلة الفظيعة الى أعقبت سقوط جلوب .. فسار الإنجليز في موضوع المواجهة العسكرية والقتل وما إلى ذلك من أمور .. أما الأمريكان فقد بدأوا يجرون تصورا آخر .. يقوم على أخذ الملك سعود أولا من جمال عبد الناصر .. لأنهم كانوا يتصوروا الحلف الشرير الموجود في الشرق الأوسط والذي يفسد كل مخططات الغرب .. هو جمال عبد الناصر - ومصر طبعا - وسوريا والفوران الذي فيها المستمر والدائم .. والتمويل السعودي .. وكان أول اتجاه إلى أخذ التمويل وإبعاده .. ثم إحداث انقلاب في سوريا .. وقد بحثوا موضوع الانقلاب في مصر ، وراح كيرميت روزفلت ثم عاد ليقول آسفاً أنه هو الذي أجرى تجربة إيران .. لكن ما حدث في إيران غير قابل للتكرار في مصر لأن جمال عبد الناصر شخصية قوية جدا في مصر ، ولديه سيطرة كاملة على القوات المسلحة .. ولا وجود لأحد من أمثال زاهدى .. ولا وجود لما كان يتحدث به إلينا سيرانتوني .. إذ ليس هناك أحد مثل زاهدى ولا وجود لجيش على استعداد لما يريد ، ولا وجود لزعامات بديلة ، إلى آخره .. هذا هو موضوع مصر .. أنا الذي قمت بتجربة إيران .. وما حدث في طهران غير قابل للتكرار في القاهرة .. ومن هنا بدأت السياسة الأمريكية تتصور : أخذ الملك سعود ، إحداث انقلاب في سوريا ، إبقاء مصر وحدها .. وطبقا لتعبير ايزنهاور فإنه لو ظل على هذا النحو ، وقد أخذت منه السعودية ، وأخذت منه سوريا بالانقلاب ، فإنه سوف يسقط إذا ما دفعه أحد ..

لقد وددت الإدلاء بهذا العرض ، حتى يبقى ما سمعناه من كلام في حدوده .. وأنا آسف إذا كنت قد أطلت .. ورجائي أن يأخذ السيرانتوني ناتنج الكلمة ..

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للأستاذ هيكل والكلمة الآن لصاحب السعادة السير أنتوني ناتنج .

الجلسة الخامسة والأخيرة

القسم الثاني :

بعد الحوار .. نتائج وتوقعات

شارك فيها :

مايكل فوت - انتوني ناتنج - ستيفن جرين - ديمتشنكو -

كلود جوليان - أحمد حمروش

- بعد ثلاثين عاما وبسبب تولى أمريكا توحيد الأمور في الشرق الأوسط فإن النظرة العامة إلى تحقيق السلام تبدو مليئة بالغيرم.
- علينا جميعا الالتزام المطلق بالعمل نحو استعادة الاحترام الكامل واللائق لميثاق الأمم المتحدة
- « فوت »
- إن مالم نتعلمة من أزمة السويس هو أننا اعتمدنا على الولايات المتحدة كي تتدخل وتصلح الأمور . ولكن هذه الأيام التي كان فيها تدخل الولايات المتحدة يصلح الأمور أيام مضت بغير رجعة .
- « جرين »
- شكرا للسيد حمروش لدعوته لى لزيارة القاهرة وللجنة المصرية للتضامن الأفريقي الآسيوي وقد كانت الندوة مفيدة للغاية فقد فتحت صفحة جديدة في مناقشات صريحة ومفتوحة حول عدد من القضايا المحلية والدولية .
- مشكلة عالمنا الرئيسية هي في الثقافات والحضارات المختلفة وكيف يتم اللقاء بينها على شكل حوار وليس على شكل صدام
- « جوليان »
- نحن نخرج من هذه الندوة أكثر اقترابا وأعمق فهمها وأشد حرصا على ألا تضيع خطوات الماضي مباء لانتفعا في حاضرنا ومستقبلنا .
- « حمروش »

درس السويس الأساسى

سير أنتوفى ناتنج : سيدى الرئيس ..

هناك الكثير الذى أود أن أقوله ولكن ذلك سيأخذ وقتا طويلا .. ولذلك سأحاول أن اختصر فى هذه الكلمة التى أنهى بها دورى فى هذه الندوة .. فى اعتقادى أننا قد حققنا مناقشات عالية المستوى فى ندوتنا هذه .. فقط أود أن أurd على المتحدث الذى انتقد هذه الندوة وقال إنها مثل باقى الندوات .. مجرد كلام ومضيعة للوقت ..

أنا لا أتفق مع هذا الرأى .. لقد حضرت العديد من الندوات فى حياتى والتى كانت بالفعل مضيعة للوقت .. ولكنى لا أعتقد أن هذا الوصف ينطبق على هذه الندوة .. لأننى أعتقد أننا تعلمنا الكثير منها .. أنا شخصيا تعلمت منها شيئا ..

إننا لم نحضر إلى هنا لكى يحاول كل منا أن يغير مواقف الآخرين .. وإنما نحن منذ البداية نقف نفس الموقف .. وننتهى إلى نفس الرأى .. ولقد حضرنا إلى هنا لكى نستخلص من الماضى دروسه وعبره .. وأن نلتقى فى هذه القاعة أصواتا من مختلف الدول فى مجموعة دولية .. مع الأصدقاء المصريين الأعزاء .. لكى نستطيع أن نصل إلى فهم مشترك حول ما يمكن أن يعنيه لمصر هذا الخط الفاصل الذى أحدثته فى التاريخ قضية السويس ..

وهنا أود أن أضم صوتى إلى صديقى القديم محمد سيد أحمد الذى أجمل الدرس الرئيسى للسويس فى كلمتين : الاستقلال .. والتضامن بين المتكافئين ..

وأنا أعتقد أنه إذا أمكن أن يجمل هذا الدرس في جملة واحدة فيأني أقول إن الدرس الأساسي للسويس هو أن مصر تعلمت أنها يمكن أن تكون مستقلة .. وأن بريطانيا وفرنسا قد تعلمتا أنها لم تستطيعا أن تكونا مستقلتين .. لأن العالم لم يعد محكوما بالاستقلال بصفة مطلقة لأن هناك عامل قوى هو التضامن بين المستقلين المتكافئين ..

استطاعت مصر أن تحارب وأن تتصر في صراع السويس لأن تضامنها مع العالم العربي وتعاطف شعوب العالم الخارجي معها بما في ذلك الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قد ساعدها على تحقيق النصر ..

ولكن بريطانيا وفرنسا بالطبع ، بتصرفها المنفرد ، وجلد نفسها منعزلتين في الأمم المتحدة ، بل وعلى صعيد العالم كله .. وعندئذ وجلد أنها لا يستطيعان المضي في فعلتها ..

والشيء المحزن الوحيد .. كما أتصور وأعتقد .. فيما يتعلق بالسياسة البريطانية .. أنه في أعقاب السويس فإنه يبدو أن بريطانيا قررت أن تأخذ موقفا سلبيا مطلقا في الشرق الأوسط .. وأن تنضوي تحت العباءة الأمريكية .. وأن تؤيد كل حركة تصدر عن واشنطن أيا كان سوء هذه الحركة وأيا كان انحيازها .. وبالطبع فإن الانحياز دائما يكون إلى جانب إسرائيل ..

الاستثناء الوحيد لهذا الاتجاه كان « إعلان فينيسيا » التي كانت بريطانيا هي المحرك الرئيسي له وهي التي وضعت أساسه .. ولكن للأسف أنه حتى في هذه المرة الوحيدة .. فإنه لم تحدث أية متابعة لإعلان فينيسيا هذا لتكون له فعالية .. وأصبح مجرد مخلفات تركت على مائدة الاجتماع بعد أن انفض .. ولم تقم بريطانيا .. أو أي من الدول الأوروبية التي وقعت به بأي جهد لوضعه موضع التنفيذ ..

ماهى سياسة بريطانيا فى الشرق الأوسط

ولقد تكلم كيث كايل عن سياسة بريطانيا فى الشرق الأوسط .. ولكنى أعتقد أنه يمكن القول على نحو ما .. أن بريطانيا ليس لها سياسة فى الشرق الأوسط .. وفى هذا الصدد أذكر أن اجتماعا عقد فى أوائل عام ١٩٥٦ ودعا إليه سلوين لويد السفراء البريطانيين فى الشرق الأوسط وفى هذا الاجتماع وقف واحد من وكلاء الوزارة البريطانيين فى وزارة الخارجية وقال لوزير الخارجية سلوين لويد : ألا تظن ياسيدى أنه قد آن الأوان لأن يكون لنا سياسة فى الشرق الأوسط .. وكان رد فعل هذا السؤال صدمة خيم بها الصمت على الحاضرين .. وفجأة زجر رجل من الحاضرين بصوت مسموع فإذا به جاك جارنر .. وكان وقتها سفيرا لبريطانيا فى دمشق .. وتكلم جاك جارنر هذا قائلا : « على قدر علمى وفهمى ياوزير الخارجية فإن آخر عهد كان لنا فيه سياسة للشرق الأوسط فى السنين المعاصرة .. كان ذلك عندما صدر وعد بلفور .. وأن ذلك لم يجدنا فتىلا .. » .

وأنا أعتقد أن السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط لم تكن مترابطة ولا منطقية وأعتقد أن هذا كان بداية الخطأ بالنسبة لنا .. فقد كانت سياستنا مجرد ردود فعل للأحداث الفردية .. كان ذلك دائما حتى ولو عدنا إلى الماضى زمن الثورة العراقية فى الثلاثينيات من القرن الماضى فنجد أن رد فعل بريطانيا كان قذف الإسكندرية بالقنابل ثم احتلال مصر بعد ذلك نهائيا .. وإذا رجعنا إلى رد فعل بريطانيا حيال حادثة دنشواى وما فعله كرومر .. ثم رد فعل اللورد اللبى .. لحادث مقتل السردار السير لى ستاك .. وأوامره التعسفية لحكومة سعد زغلول باشا بإنهاء اشتراك مصر فى حكم السودان .. وكان هذا التصرف بمثابة رد فعل عفوى لحادث فردى .. وهكذا انتقلنا من رد فعل إلى آخر حتى وصلنا إلى مرحلة السويس ..

والآن وبعد أن تناولت فى حديثى السابق دوافع إيدن اللاتية من حملة

السويس .. فإنتى أعتقد أنه لكى نفهم « السويس » فإنه يجب علينا أيضا أن نتذكر أنه كان فى بريطانيا نوع من الهوس استحوذ عليها سنين طويلة .. وربما قبل حفر القناة بل منذ مطلع القرن التاسع عشر عندما كانت السويس هى الطريق البرى إلى الهند .. وأعتقد أن هذا الهوس والاستحواذ قد تزايد واستمر حتى وصلنا إلى « السويس ٥٦ » وذلك لأن قناة السويس أصبحت الطريق للإمدادات البترولية التى تحتاجها بريطانيا ..

ولعلكم تذكرون أن لورد بالمستون قد عارض بشدة فكرة بناء قناة السويس عندما أثرت هذه الفكرة فى القرن التاسع عشر .. كان بالمستون وزيرا للخارجية بريطانيا فى هذا الوقت وكان الأساس فى اعتراضه أن بناء القناة سيتيح للفرنسيين دخول الشرق الأوسط .. وكان آخر عهد الفرنسيين بهذه المنطقة على يد نابليون والذى اضطررنا لإخراجه منها بقوة السلاح بتلك المعارك العنيفة فى أبى قير ومعركة النيل لذلك كان مزاج بالمستون غير موات بالمرّة لقبول فكرة تواجد فرنسى على الطريق الرئيسى لبريطانيا إلى الهند ..

ولقد قلب السماء على الأرض محاولا منع حفر قناة السويس .. إلى درجة أنه أرسل إلى ديليبس ليقول له إنه لا يمكنه أن يفعل ذلك .. وحاول أن يثبت له بالوسائل العلمية .. أو بما ادعى أنه أسس علمية .. وأن مستوى المياه فى البحر الأبيض مرتفع عن مستواها فى البحر الأحمر .. وأن البحر الأبيض سوف يفيض إلى المحيط الهندى .. فضلا عن أن البحر الأحمر .. وأن القناة سوف تجف الماء منها .. ولكن ديليبس حاول أن يثبت عكس هذه النظرة .. وطبعاً كلنا نعلم أنه أفلح فى النهاية فى بناء القناة .. ولكن هوس السويس استمر عند بريطانيا .. وعندما تصاعد أوج ثورة عراقى عام ١٨٨٠ .. استشعرنا مرة أخرى التهديد للقناة .. ثم عملنا بعد ذلك على الحصول على سندات القناة التى لم نكن نملكها .. وأفلحنا فى النهاية أن نفلس الحديدى التمس إسماعيل .. وأفلحنا فى أن نضطره لبيع نصيبه فى القناة لنا بثمن بخس لا يتعدى أربعة ملايين من

الجنيهاً .. وبالطبع كانت قيمة هذه الملايين تلك الأيام عالية .. ولكنها لم تكن أبداً ثمناً عادلاً لما حصلنا عليه من سندات ..

من هنا نرى أنه من خلال تاريخنا الطويل كله منذ منتصف القرن التاسع عشر قد استحوذ علينا الهوس بقناة السويس .. الأمر الذى وصل فى النهاية بالطبع إلى أقصى ذروته فى ١٩٥٦ .. وهذا فى اعتقادى قد يفسر إلى حد ما مسلك بريطانيا حيال هذه الأمور .. وكان هذا هو خلفية موقفنا .. هذا بالطبع إلى جانب عوامل إضافية منها تلك الحرب الشخصية التى أعلنها إيدن ضد عبد الناصر ..

والآن .. سيداتى وسادق .. ماهو الحال اليوم بعد ثلاثين عاماً من تلك الأحداث؟! ..

إنه كنتيجة لتولى أمريكا توجيه الأمور فى الشرق الأوسط .. بعد ثلاثين عاماً .. فإن النظرة العامة إلى تحقيق السلام تبدو ملبدة بالغيوم .. أكثر منها فى أى وقت مضى .. وأنا شخصياً لا أرى أن الزمن قد أصبح إلى جانبنا على الإطلاق ..

فها هى إسرائيل باحتلالها الضفة الغربية وقطاع غزة تحاول عن طريق الزحف التوسعى .. أن تستعمر نهائياً كل الأرض العربية فى فلسطين .. وإذا لم نكن حريصين بما فيه الكفاية فى المرحلة الحالية .. فإنه يبدو أنها مجرد مسألة عقد أو عقدين من .. الزمان يستحيل بعدها أن تسترد هذه الأراضى من إسرائيل ..

فالأمرىكون من جانبهم يرفضون البتة أن يمارسوا أى ضغط على إسرائيل .. ومن المؤكد أنهم لا يطالبونها بالانسحاب .. بل إنهم حتى لا يطالبونهم بعدم استعمار الأراضى التى احتلوها والتى يواصلون إقامة المستعمرات عليها ..

هذا فى الوقت الذى فيه الشعب الفلسطينى والمقاومة الفلسطينية يسلكون مسلكاً براجماتياً .. يجعل تحقيق آمالهم أبعد من إمكانياتهم .. بينما حلفاؤهم

العرب منقسمون وتشغلهم قضايا فرعية إلى جانب انشغالهم بحرب الخليج ..
وبالتدهور المزرى لأسعار البترول السعودى والخليجى ..

أما بالنسبة للأوروبيين فليس لهم أى سياسة منطقية أو مترابطة ..

ومع هذا فما زال يساورنى الأمل فى أن تأتى حكومة جديدة فى بريطانيا ربما
استطاعت أن تستعيد زمام المبادرة التى كانت لدى واضعى أسس إعلان فينيسيا
وأن تعبئ دول أوروبا لكى تحث الولايات المتحدة الأمريكية على تغيير سياستها
المدمرة والمنحازة كلية إلى جانب إسرائيل ..

إن صديقى المحترم العزيز من اليمن الشمالية تكلم عن الفرقة فى العالم العربى ..
ليكن فهذا أمر محزن حقا أن تسيطر الفرقة على العالم العربى فى الوقت الذى تسيطر
فيه فرقة مماثلة على المجتمع الأوروبى ..

لقد تكلم مايكل فوت بالأمس عن شخصية برلمانية خطيرة هى
ادموند بيرك .. الذى قال فى إحدى المناسبات الهامة قوله الشهيرة :

« إنه عندما يتضامن الأشرار فإن على الأخيار أن يتضامنوا ويتحدوا وإلا
فإنهم سيواجهون صراعا خسيسا يصبحون فيه ضحية فانية بلا رحمة »

فإذا استطاعت بريطانيا أن تنجح فى تعبئة رأى العام الأوروبى وأن تجعله
يحمل على الأمريكين فإننا عندئذ لانكون فقط قد محونا عارنا فى السويس ، ولا
نكون فقط قد أنقذنا الفلسطينيين من أن يصبحوا الضحية المسفوكة بلا رحمة فى
صراع خسيس ، وإنما نكون أيضا قد شاركنا قد ساهمنا فى إقرار سلام جزئى فى
عالم مذعور ومزق ..

أشكركم ...

العودة إلى القانون الدولي

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للسير أنتوني .ناتج على كلمته القيمة والكلمة الآن للمستر مايكل فوت ..

المستر مايكل فوت : السيد الرئيس .. الأصدقاء الأعزاء ..

أؤكد لكم أنني سأوجز قدر طاقتي .. ولكني أود أولاً أن أضم صوتي للسير أنتوني ناتج في توجيه الشكر لكم مرة أخرى على دعوتنا لهذه الندوة .. وأنا اتفق مع السير أنتوني ناتج في أن مناقشاتنا كانت مثمرة وكانت لها جدواها .. وإذا ما تجرأ أحد على سؤالى عندما أعود إلى لندن عما كنت أفعله هنا في القاهرة فسأقول له إنني كنت أدافع عن حرية الكلمة وحرية التعبير وعن الديمقراطية .. وأنه لدى التفويض السامى عن التعليق الصريح الذى أدلى به الصديق محمد الصباحى والذى جاءت كلمته بمثابة استصراخ لنوع الحرية والديموقراطية التى تؤمن بهما في بريطانيا ..

إن أحسن الطرق للإيمان بالديموقراطية والحرية هو ممارستها بالفعل .. ومن ثم فإن هذا هو الهدف الذى كنا نسعى إلى تحقيقه هنا .. وأنا جد شديد الامتنان لأنكم جعلتمونى قادرا على أن أقول هنا في القاهرة .. كل ما أردت أن أقوله بصراحة وبلا موارد ..

وبالطبع فإننى عندما أعود إلى لندن .. فلربما قال لى البعض « حسنا لقد جعلت الجرم مضاعفا لأنك اقترفته وأنت في صحبة أنتوني ناتج » .. ولست أدري الآن ماذا سيكون ردى عليهم ولكننى أظن بأن لدى بعض الوقت لكى أجهز ردا مفحما ..

والآن وبعد أن استمعنا إلى حساب شامل لـ ١٩٥٦ .. وبالطبع فأنا واثق من

أنه كان من الواجب أن نفكر بامعان في هذا الحدث ونتأمله .. لأنه كان حدثا خطيرا وهاما في تاريخ هذا القرن .. ومن ثم فإنه من الصواب أن ندرسه بامعان وكما يجب أن يكون الدرس .. وأن ندرس نتأمله وكل ماتفرع عنه ..

إن هذا الذي حدث عام ١٩٥٦ .. كان فضيحة شائنة إلى أقصى حد ، وإذا كنت أتكلم عن بلدى فإننى خجل من الدور الذى لعبته في هذا الحدث .. ولكننى أو من بأن مواجهة هذه الحقيقة بصراحة خير من محاولة اخفائها أو مواراتها أو تبريرها في كتب التاريخ أو في أى مكان آخر..

وإننى أو من بأنه أفضل ألف مرة أن نواجهها وأن نعترف بها ، وعلى الأخص لأن كثيرا من الأمور الذى ناقشناها وتدارسناها كانت على درجة كبيرة من الأهمية والارتباط بهذا الحدث .. وفوق ما كشف لنا السيرانتونى ناتج في حديثه في الدقائق السابقة ..

وبدورى أود أن أعلق في الختام على هذه القضية وأختار منها الجوانب التى يمكن أن يكون لها تأثير واستخلام في الحاضر والمستقبل .. وإذا كانت المناقشات هنا قد أغفلت مناقشة أى جانب من الجوانب فإن هناك جانبا واحدا .. حقيقى أن كثيرا من المتحدثين قد مسه عرضا .. ولكنه لم يعط حقه في المناقشة .. وهو دور الأمم المتحدة ودور ميثاق الأمم المتحدة في القضية كلها .. وأعتقد بالطبع أنه كان دورا رئيسيا له أهميته ..

في عام ١٩٥٦ استطاعت الولايات المتحدة والدول المعارضة للتصرف البريطانى الفرنسى الإسرائيلى .. استطاعت هذه الدول أن تنقل القضية إلى ساحة الأمم المتحدة .. وهناك أمكن استصدار الحكم السلمى من الأغلبية العريضة من الدول التى كانت تشكل منها الأمم المتحدة ذلك العام عام ١٩٥٦ ..

وكما قلت بالأمس للبعض الذى حاول أن يخلق نوعا من المقارنة بين قضية فولكاند وقضية السويس .. أن الأمم المتحدة قامت بدورها أيضا هنا .. ولكن

أود أن أؤكد .. من وجهة نظري .. أنه لا يوجد أى نوع من التشابه أو المقارنة بين الحدثين .. وأن ما فعلته بريطانيا عام ١٩٨٢ كان تصرفاً سليماً لأننا أخذنا القضية مباشرة إلى الأمم المتحدة واستطعنا أن نحصل على التأييد المطلق من الدول الممثلة فيها .. وهكذا فإنه من الخطأ الجسيم أن يدعى البعض على أى وجه من الوجوه أن القانون الدولى المتجسد فى ميثاق الأمم المتحدة يمكن أن يكون غير مناسب بالنسبة لبعض القضايا وأنه يمكن تنحيته جانباً .. هذا أمر غير مقبول ويجب ألا يحدث ..

إن الأمور عندما تتفاقم وتصل إلى حد الأزمة .. فإن العالم يجب أن يعود إلى الالتزام بالقانون الدولى وأن يعود إلى التمسك بالمؤسسات التى تتولى تطبيقه ..

أقول ذلك وأنا استرجع فى ذاكرتى عام ١٩٤٥ .. عندما كنت صحفياً يراقب مؤتمر سان فرانسيسكو الذى انبثقت عنه الأمم المتحدة .. وأنا استرجع الجدل والمناقشات التى جرت هناك .. وما من أحد هناك كان يتصور أنه يمكن الوصول إلى عالم أكثر أمناً .. دون أن نتمكن من إقامة منظمة الأمم المتحدة .. وميثاقاً يقنن خطاها ومسلكها ..

ولقد ناقشنا وجادلنا عندئذ .. والدول جميعها على اختلافها ناقشت وجادلت ثم اتفقت على ميثاق صالح للعمل بموجبه .. ميثاق تلتزم به كل الدول على طول العالم وعرضه ..

وبالطبع كنا نعلم أننا لن نستطيع بين عشية وضحاها أن نخلق عالماً جديداً .. وأن نقيم مؤسسات مثلى لا يأتىها الباطل .. ولكنهم استطاعوا أن يتوصلوا إلى إقامة مؤسسة ساعدت على منع وقوع حرب عالمية أخرى ..

ولدينا تحذير خطير .. مثال واقعى عاصرناه .. عندما انهارت عصبة الأمم .. وكان السبب الرئيسى لانهارها أن بعضاً من القوى الرئيسية التى وقعت على اتفاقها قد فشلت فى احترام توقيعها .. ويخزنى أن أقول إن انهيار عصبة الأمم نتيجة الفشل فى مساندة ميثاقها واجراءاتها ودورها ..

ولكن واحدا من الدروس المستفادة والتي يتحتم علينا أن نتعلمها من هذين الحربين العالميتين .. وأيضا مما حدث في السويس .. هذا الدرس هو أن هناك ضرورة مطلقة في أن تنشئ بالميثاق الذي يحكم مسلك الدول والأمم .. وأن يتشئ بضرورة أن يكون مسلك هذه الدول ملتزما بتصوص هذا الميثاق .. فإذا جاء من يقول إن هذا الميثاق لا يتسق مع ظروفنا الراهنة فإنني عتدئ أحيله على القضية التي كشفنا جوانبها في مناقشاتنا خلال اليومين الفائتين .. إني أحيله على قضايا الشرق الأوسط .. وأحيله على قضية الهجوم على ليبيا الذي انفردت بالقيام به الولايات المتحدة الأمريكية والذي يؤسفني أن أقرر أن هذا العدوان قد صادقت عليه حكومة بريطانية قدمت القواعد الجوية على أرضها لتيسر على أمريكا القيام به ..

وفي تقديري أن هذا العدوان كان خرقا فاضحا للقانون الدولي وللالتزامات التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة ..

وإذا كانت الولايات المتحدة قد عانت بالفعل .. بغير حق .. من بعض التصرفات الارهابية ضد البعض من رعاياها .. فإن الولايات المتحدة ليس لها أنه مجرد حدوث ذلك فإن من حقها أن تتصرف كما تصرفت .. لأن التصرف الذي أقدمت عليه كان اجترأ على الأمم المتحدة .. وكان التصرف السليم يوجب على الولايات المتحدة أن ترفع الأمر للأمم المتحدة .

ونفس الحكم يسرى على الأحداث الأخرى .. يسرى على حالة سوريا التي أثرتها هنا في مناقشاتنا .. فليس للحكومة البريطانية .. أو أية حكومة أخرى أيا كانت .. أن تأخذ في يدها الحق في القيام تلقائيا وبمفردها بأعمال الردع والانتقام حيال اضرار أصابتها .. إن ميثاق الأمم المتحدة لا يعطى لأية دولة الحق في أن تقرر بنفسها هذا الاجراء ..

وإذا قيل إن ميثاق الأمم المتحدة يكفل للدول حق الدفاع عن النفس .. فإنه من التشويه البشع لمعنى الحق في الدفاع عن النفس .. أن يقال إن من حق

أية دولة .. بريطانيا كانت .. أو أمريكا .. أو إسرائيل .. أو أية دولة أخرى أن تأخذ في يدها الحق في الرد المنفرد على الأعمال العدوانية الموجهة إليها .. إن اتباع هذا المسلك سوف يقودنا حتماً إلى فوضى دولية واسعة المدى .. الأمر الذي يعرض العالم كله للدمار إذا ما ساد هذا المفهوم .. إنه مفهوم مدمر وغير مقبول وغير محتمل ..

ومن الانصاف أن أقول .. كما أكدت في كلمتي بالأمس .. إن الحكومة البريطانية قد ظلت إلى اللحظة الأخيرة .. قبل أن تنتكب الطريق في قضية العدوان على ليبيا .. قد ظلت تقف في الأمم المتحدة إلى جانب المبدأ السليم .. على أنها على الأخص قد عارضت بالذات .. التصرفات الانتقامية التي اتخذتها إسرائيل ضد الدول المجاورة لها .. هذه التصرفات التي لم يكن لإسرائيل أي حق فيها على الإطلاق ..

ومن هنا فإن علينا جميعاً .. على كل الدول .. الدول الكبرى .. وأيضاً الدول الصغرى .. علينا جميعاً الالتزام المطلق بالعمل نحو استعادة الاحترام الكامل واللائق لميثاق الأمم المتحدة .. بل إنه من مصلحتنا جميعاً أن يسود هذا الاحترام للميثاق وللقانون الدولي .. وأن نعمل جميعاً على ألا تقوم أية دول .. أيا كانت هذه الدول .. بتشويه هذا الميثاق أو بتشويه القانون الدولي إذا ما سعت ان تتخذ من أي منهما ذريعة للقيام بأعمال هي في حد ذاتها عدوان صارخ وخرق فاضح لمبادئ هذا الميثاق ولمبادئ القانون الدولي ..

هذه هي قبة القضية .. وإلا فإن علينا أن نتساءل إذا ما كنا سنواجه مرة أخرى مأساة من نوع مأساة السويس بصورة أو بأخرى ..

ولذلك فإنني أكرر بإصرار : أنه ما من دولة مخولة أن تأخذ في يدها الحق في اتخاذ إجراءات انتقامية .. وإنما عليها أن ترفع قضيتها إلى السلطة الدولية وأن تسعى إلى أن تنال التأييد هناك .. وعندئذ يصبح للتصرف شرعيته ..

ولقد حدث هذا بالفعل في حالات عدة من قبل .. وعندما كانت

الاجراءات تتخذ تحت مظلة السلطة الدولية .. فإن هذا المسلك كان يستعيد بعض النظام فى عالم عز فيه النظام والاستقرار ..

هذا حدث بالفعل عام ١٩٥٦ .. عندما أوقف العدوان على مصر .. لم يوقف هذا العدوان فقط كتنيجة لمقاومة الشعب المصرى .. ولم يوقف فقط بسبب معارضته من جهات متعددة .. سواء من جانب حزب العمال البريطانى أو من جانب معارضة الكثيرين له فى بريطانيا .. ولم يوقف بسبب تدخل الولايات المتحدة الأمريكية .. رغم كفاءة وفعالية هذا التدخل فى حينه ..

ولكن أوقف هذا العدوان أيضا لأنه كان هناك مفهوم سائد على الصعيد العالمى باحترام النظام الدولى .. وبسبب توقيع ميثاق الأمم المتحدة الذى التزمت بالتمسك به والذود عنه جميع الدول بما فيها بلادى بريطانيا ..

وعندما نقضت بلادى التزامها بهذا الميثاق .. وعندما أهدرت مبادئه بما فعلته عام ١٩٥٦ .. جوبهت بالعداء والمعارضة لفعاليتها .. وكان هذا العداء مثمرا .. أفاد العالم بأكثر مما أفادته الاجراءات الأخرى ..

وإذا كان لى أن أقول من جديد .. وأؤكد بكل ما أستطيع من قوة .. أنه ليس هناك فى هذا العالم الممزق المضطرب .. الذى يعيش على قبلة تكاد تفجر فى أية لحظة فتمزقه إربا .. ونحن جميعا نعيش تحت هذا الشعور .. ونعرف هذه الحقيقة .. إننا نعيش فى عالم ظروفه أخطر بكثير مما كانت عليه عام ١٩٥٦ ..

أقول ليس هناك ما هو أكثر أهمية من الالتزام بقاعدة أنه ما من دولة بمفردها لها أدنى حق فى أن تفرض وتملى على هذا العالم وفق هواها .. الكيفية التى تدار بها أمور هذا العالم وأن تنظم له إدارة شئونه :. ما من دولة فى هذا العالم لها أدنى حق فى أن تتصور أن لديها من الحكمة ما يمكنها من أن تفعل ذلك .. ما من دولة لها الحق فى أن تأخذ فى يدها وحدها السلطة الدولية ..

إننا لكى نصل إلى إقامة سلطة دولية .. وصلنا إليها كتنيجة للتجربة المريرة التى خضناها خلال حربين رهيبتين فى عالمنا هذا خلال القرن الذى نعيش فيه ..

لقد أسسنا منظمة لكي نؤكد ونضمن تواجد سلطة دولية تعلو السيادة الفردية القومية لمختلف الدول .. هذه السلطة الدولية هي التي يجب أن نستعيدها ونؤازرها .. وعندما تحاول القوى الأعظم أن تتخطى هذه السلطة .. فإن علينا نحن القوى الأقل قدرة أن نتضامن جميعا لكي نحول دون هذا التخطى .. وفي هذا الأسبوع بالذات لم نكن نناقش مجرد موضوعات محلية .. أو موضوعات فرعية .

في هذا الأسبوع بالذات في اجتماع لمجلس الأمن كان هناك تصويت حول قضية نيكاراغوا .. ولنيكاراجوا كل الحق في أن ترفع قضيتها إلى المحكمة الدولية قبل كل شيء .. ولكنها رفعت قضيتها أمام مجلس الأمن .. وكان هناك تصويت في مجلس الأمن .. ورغم أن أغلبية المجلس قد صوتت إلى جانب نيكاراغوا .. إلا أنه يجزئي أن أقول إن بلادي عن طريق ممثل بريطانيا العظمى في المجلس لم يؤيد القرار الذي كنت أعتقد أنه يقوم على أسس متينة من القانون الدولي وعلى أساس الأغلبية التي أقرته ..

ولنقلها صريحة واضحة أن الدولة الأعظم قوة في هذا العالم قد تحلت هذا القرار الصادر من أعلى سلطة دولية في العالم .. وهو مجلس الأمن .. وإذا كانت أعظم دولة في هذا العالم قد فعلت ذلك فإنها تدين نفسها إدانة لم تتحملها أية دولة أخرى في عالمنا هذا ..

إن ظروف العالم اليوم تعد أخطر ظروف عرفناها وأن علينا أن نستعيد أعظم السلطات للقانون الدولي ولدينا الأداة والقدرة على تحقيق ذلك .. وفي اعتقادي أنه من مصلحة كافة الدول أن تتأكد من تحقيق هذه الغاية ..

وأعتقد أن هذا القصد كان من أهم الأمور التي ناقشناها هنا في هذه الندوة .. ومناقشتنا له كان واحدا من الأسباب التي جعلتني أعتقد أن هذه الندوة كانت على درجة عالية من الأهمية ..

،، وشكرا ،،

مصر من ١٩٧٣

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا لمسترمبايكل فوت ويبدو أن القوتين الأعظم قد اتفقا على رأى واحد فقد اتفق ديميشنكو وستيفن جرين على أن يتحدث ستيفن جرين أولا ثم ديميشنكو وأن يتكلم كل منهما دقيقة واحدة ..

مسترستيفن جرين : أعتقد أنه يمكن إثارة جدل طويل حول ما جرى عام ١٩٥٦ .. سواء فترة الأزمة أو الفترة القصيرة السابقة عليها .. وأنا شخصيا أركز بصفة خاصة على الفترة التي سبقتها حيث أعتقد أنه ربما أتاحت في تلك الفترة آخر فرصة لإجراء نوع من التفاوض بقصد إقرار السلام في الشرق الأوسط .. نعم كانت الفرصة الأخيرة لإقرار سلام غير ذلك السلام الذى أسفر عنه تدخل الولايات المتحدة .

في عام ١٩٦٧ تغيرت سياسة الولايات المتحدة تغيرا أساسيا تجاه الشرق الأوسط .. لقد توقعنا عن أن نكون وسطاء بين طرفين وتحولنا إلى مصنع للسلاح بيد إسرائيل بكل ما تريد ..

وفي عام ١٩٧٣ تغيرت السياسة المصرية تغيرا أساسيا وعميقا .. فقد تخلت عن دورها كقيادة طبيعية للشرق الأوسط واختارت أن تضع ثقها وآمالها في شيء لا أدرى كنهه بالضبط ..

وعلى أية حال فقد كانت مصر أول دولة على الاطلاق في التاريخ الحديث تنزع سلاحها بنفسها طواعية واختيارا ومن جانب واحد ..

ومن عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٩ أصبحت مصر دولة ليس في جعبتها شيء على الاطلاق ومن ثم فإن الرئيس السادات قد اتخذ خطوته التي كانت في غاية الجرأة .. بأن يذهب إلى القدس خالي الوفاض ..

في ذلك الوقت لم تكن جعبة المسترييغن خالية بل كانت مدمجة بالسلاح الأمريكى .. وكانت النتيجة بالطبع هنا الاتفاق الذى تم عام ١٩٧٩ والذى

كان نتيجة حتمية لمجريات الأمور .. تماما مثلما تمسك ببرقالة وتنظفها ثم تلقى بها في الهواء وترقبها فإذا هي لاتصل إلى السقف وإنما تقع لترطم بالأرض .. وكانت النتيجة التي حدثت بعد كامب ديفيد نتيجة حتمية وواقعية مثل ارتطام البرقالة بالأرض ..

فقد مضت إسرائيل في طرح القانون الذي يسمح للحكومة الإسرائيلية بمصادرة الأراضي لإقامة المستوطنات عليها وتم إقرار هذا القانون بعد عشرة أيام فقط من توقيع اتفاقية كامب ديفيد .. ومن بعد ذلك توالى الأحداث فقررت إسرائيل ضم الجولان .. وضم القدس وضرب المفاعل الذرى العراقى بالقنابل .. وضرب بيروت بالقنابل عام ٨١ .. ثم ضرب وغزو بيروت عام ١٩٨٢ .. كل هذه الاحداث كانت حتمية .. كانت بالفعل حتمية ترتيبا على ما جرى قبلها .. ولكن أين نذهب الآن مما نحن فيه ؟

إن مالم نتعلمه من أزمة السويس هو أننا اعتمدنا على الولايات المتحدة الأمريكية لكي تتدخل وتصلح الأمور .. ولكن هذه الأيام الذى كان فيها تدخل الولايات المتحدة يصلح الأمور .. أيام مضت بغير رجعة .

هذا هو رأيي قد يختلف معى البعض ولكن بالنسبة لى فهو توكيد لا أحميد عنه ..

وأنا أعتقد أن دوركم سواء كان لديكم السلاح أو لم يكن لديكم فإن دوركم سيظل مهما ولازما ..

وأعتقد أن الأهم هو أن تجعلوا الولايات المتحدة تعانى من الألم .. ولست أعنى أن يكون ذلك عن طريق زيارة رئيس دولة ثم زيارة رئيس دولة أخرى .. إلى واشنطن حيث تجلسون في غرف مغلقة وتتحدثون عن الواقع والحقيقة .. إن هذا ليس فيه الكفاية ولن يحقق شيئا .. المطلوب منكم الآن أن تملأوا جمعيتكم من جديد ..

أنا آسف ولكن هذا هو ما وصلت إليه من رأى ولست أدعوكم .. كما قلت من قبل .. أن تعاودوا من جديد دورة الحرب .. فليس عليكم أن تفعلوا ذلك الآن ..

إن جانباً كبيراً من قوة الدولة وصلابتها ينبع من طبيعتها .. ينبع من حقيقة أن تعرفوا من أنتم .. وإن لديكم قاعدة صناعية وتكنولوجية .. ولديكم زعامة طبيعية في المنطقة التي تعيشون فيها ..

وعلمياً فإن لديكم بعض البدائل ... لكى يكون لديكم بعض الثواب التكنولوجية .. وإذا عدنا إلى ما قاله بن جوريون في اجتماع سيفر ومخاوفه من الاليوشن المصرية .. وتراجعته عن القيام بالعدوان على مصر في مواجهة تواجد مثل هذا السلاح لديها .. إذن فالدرس واضح أمامكم .. ولن أذهب في حديثي إلى أبعد من هذا ..

،،، وشكراً

ندوة مفيدة

الأستاذ أحمد حمروش : شكراً للكاتب الكبير ستيفن جرين .. والكلمة الآن للكاتب السوفيتي ديمتشنكو ..

السيد ديمتشنكو : أشكر السيد الرئيس ..

أعتقد أنه من الصعب جداً أن يقال شيء جديد له قيمة خاصة بعد كل ما قيل من جانب الفريق الأنجليزى الموقر بما فيهم المستر مايكل فوت والسير أنتونى ناتنج والمستر كيث كايل .. وبالطبع أيضاً بعد ما قاله المستر ستيفن جرين .. ولكننى سأحاول وأرجو أن تمنحونى دقيقة أو نصف دقيقة ..

أعتقد أن هذه الندوة كانت مفيدة للغاية .. وأعتقد أن هذه الندوة قد فتحت صفحة جديدة فى مناقشات صريحة ومفتوحة حول العديد من القضايا

المحلية والدولية وخاصة قضية السلام في الشرق الأوسط بل وعلى الصعيد
الدولى ..

لقد أتاحت لى هذه الندوة أن ألتقى هنا بعدد من الاصدقاء وأن اطلع على
كثير من الأفكار والآراء .. وأعتقد أنها كانت بالنسبة لى أفكارا وآراء جديدة
على ..

والآن أريد أن أقول لكم شكرا .. شكرا للسيد حمروش لدعوته لى لزيارة
القاهرة .. وإنى لأرجو كل تمنيات. التوفيق والنجاح للجنة المصرية للتضامن
الأفريقي الآسيوى .. ومرة أخرى أوجه شكرى لكافة الأصدقاء المصريين ..
وهكذا أخذت من وقتكم نصف دقيقة فقط .

حاضرات مختلفة

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للكاتب السوفيتى ديمتشنكو على التزامه
الشديد بالتوقيت الذى أرجو أن يلتزم به مسيو كلود جوليان كما وعد .. دقيقة
واحدة ..

المسيو كلود جوليان : سيدى الرئيس شكرا لكم .. وشكرا للجنة المصرية
للتضامن الأفريقي وتحريكها واستخدامها ضد حكماها .. فهى تنظر لى هذه
الشعوب وكأنها مجرد قطع تحركها على رقعة الشطرنج العالمية ..

علاوة على ذلك فإن هذه الحكومات أسيرة مفاهيم عصرية تحاول أن تجارى
بها الرأى العام وتغفل عن عامل أساسى وهو أن الأفكار والمفاهيم التى تكون
عصرية فى لحظة تتراجع بصورة عامة تراجعا مأساويا أمام تطور الواقع العالمى
الذى يعيش فيه .. إنها تبنى مواقفها على أساس مفاهيم موقوتة فإذا تصرفت فإنها
تتصرف وفق هذه المفاهيم دون أن تلاحظ أن سرعة تتابع الأحداث قد أفرز
تطورات كبيرة على هذه المفاهيم ..

وعلاوة على ذلك فإن هذه الحكومات أسيرة أيضا لمفاهيم عفا عليها

الزمان .. وفي الغالب تكون دائما متخلفة عن الزمن الذي تستخدم فيه عندما تحاول أن تملى على الحكومات الأخرى مواقف قد لاتستسيغها هذه الحكومات ولكنها بحكم القوة مرغمة على الرضوخ لها ..

ومثال ذلك فنحن نصر على أن نتحدث عن الحرب الباردة وعن الوفاق وأن نقسم الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية إلى مراحل نميز بينها ونقول إن هذه مرحلة اشتدت فيها الحرب الباردة وهذه مرحلة حدث فيها وفاق .. وذلك دون أن نفكر لحظة واحدة أنه في الفترة التي نسميها بفترة الوفاق كانت الصراعات في العالم الثالث وفي الشرق الأدنى وفي الهند الصينية القديمة أكثر عنفا وأكثر دموية من الصراعات التي كانت تجرى في المرحلة المسماة بالحرب الباردة .. ذلك أننا ننظر إلى ما يجري على القمة .. وننسى أن نتابع الأصابع الخفية لجانب القمة التي تحرك الأحداث عند القاعدة ..

وأخشى أن تكون الحكومات غير قادرة على مواجهة المشكلات الرئيسية لعصرنا الراهن وربما يرجع ذلك إلى الأسلوب المتبع في اختيار الشخصيات الرئيسية فيها ..

إن المشكلات الرئيسية لعصرنا الراهن ليست في بادئ الأمر مشكلات اقتصادية ولا هي مشكلات تكنولوجية أو مشكلات عسكرية رغم أهمية هذه المشكلات ..

ولكن المشكلة الرئيسية لعصرنا هذا تكمن في أن في العالم ثقافات مختلفة وحضارات مختلفة ..

فهل حكوماتنا قادرة على أن تجعل هذا اللقاء الحضارى والثقافى يتم على شكل حوار وليس على شكل صدام ..

تحية من حمروش

الأستاذ أحمد حمروش : شكرا للكاتب الكبير كلود جوليان رئيس تحرير الموند دبلوماسيك والآن اسمحوا لى أن أقدم كلمة قصيرة جدا فى حدود الالتزام الذى التزم به ممثلو القوى الأعظم وفرنسا ..

السادة الضيوف الأعزاء .. الزميلات والزملاء ..

هناك لحظات يصعب فيها على الإنسان أن يعبر عن مشاعره أو يجيد الحديث عما يطويه صدره وهذا هو ما أشعر به الآن وأنا أتحدث إليكم أيها الأصدقاء والزملاء فى هذا الوقت الذى نكاد نتصافح فيه وداعا على أمل فى لقاء قريب ..

بعد هذه الأيام التى جمعت بيننا فى ود وشوق ورغبة مشتركة فى أن نخرج من هذه الندوة أكثر اقترابا وأعمق فهما وأشد حرصا على ألا تضعى خطوات الماضى هباء لا نفعنا فى حاضرنا ومستقبلنا ..

لقد أضاعت أفكار المتحدثين من السادة الضيوف والزملاء هذا الحدث الكبير الذى أثر - كما قلت - فى ثوابت كانت راسخة ومتوارثة فى عهود ساد فيها الاستعمار والاحتلال .. وتناوله الجميع من وجهات نظر متعددة تاريخية وسياسية واقتصادية ..

البعض من داخل الدائرة السياسية المغلقة حيث يصنع القرار والبعض من الدائرة الشعبية الرحبة حيث تبلورت إرادة الجماهير فى قرار الزعيم جمال عبد الناصر ..

وما أظن أن جانبا من القضية قد أغفل .. ومع ذلك فإنى أعبر عن مشاعر زملاى فى اللجنة المصرية فى تمنيم فى أن تمتد هذه الندوة أياما أخرى حتى نعيش معا فى هذا الجو الفكرى والثقافى والسياسى العطر والمتميز برحابة الصدر وسعة الأفق والرغبة المشتركة فى بعث الأمل ..

كانت فرصة نادرة أن يلتقى هؤلاء الضيوف الذين قدموا من بلادهم البعيدة

وتجشموا مشقة السفر وحرصوا رغم مشاغلهم على الحضور لمشاركة شعبنا رغبته في الاحتفال بهذه الذكرى التاريخية النادرة التي أضاء المتحدثون ظروفها التاريخية وأبعادها المستقبلية وطالبوا اللجنة المصرية للتضامن أن تقدم ندوات أخرى في موضوعات تروق صدورنا وتثير همومنا وتطالبنا بأن نتكاتف جميعا من أجل الوصول إلى الحقيقة ..

ونحن على وعد بأن نضع هذه الرغبة موضع التنفيذ بكل ما تتيحه قدراتنا المتواضعة ..

الزميلات والزملاء ..

لا أريد أن أطيل الحديث رغم أن التعليق على الندوة يحتاج إلى وقت طويل وأعلن لكم أنه أمام كلمات التقدير والتشجيع التي أحاطت بالندوة فإنها ستكون قريبا بين أيديكم كتابا تقدمها الهيئة العامة للاستعلامات التي حرص رئيسها الدكتور ممدوح البلتاجي على أن يبادر بإعلان رغبته في المساهمة بهذا الدور .. وأخيرا .. لم تعد هناك إلا دقائق وينفض هنا اللقاء وتبقى في نفوسنا الذكريات وهنا أبادر بشكر السادة الضيوف الذين بادروا بتلبية دعوة اللجنة المصرية للتضامن وأسهموا في نجاح هذه الندوة الدولية ووضعوا لنا أساسا من الثقة وغرسوا في نفوسنا تطلعا إلى مزيد من ندوات حية متوهجة ..

أرجو أن تحيوا معي السير أنتوني ناتنج الذي قدم لنا صورة معبرة من مركز اتخاذ القرار في بريطانيا والذي سَظَل استقالته من عمله الرسمي مثالا تاريخيا يعطى القدوة لكل الذين تجبرهم الظروف على مواجهة مواقف لا تقبلها ضمائرهم ..

كما أرجو أن نحى الزعيم العمالي البارز مستر مايكل فوت الذي قاوم العدوان بالاشتراك في مظاهرات الشعب البريطاني ضد إيدن وفي كتابه الذي نشره عام ١٩٥٧ ..

ونحى الكاتب السوفيتي مستر ديمتشنكو ممثل الاتحاد السوفيتي الدولة التي

وقفت معنا في صلابة وصلت إلى حد تقديم انذار لبريطانيا ..
ونحبي الكاتب الأمريكي الشهير ستيفن جرين الذي قدم وجهة نظر
موضوعية وغير متحيزة إلا للحق ..

كما نحبي الكاتب الفرنسي الكبير كلود جوليان رئيس تحرير الموند دبلوماتيك
الذي عبر بكلمته المخلصة عما نشعر به جميعا من ضرورة ربط الماضي بالحاضر ..
ونحبي أيضا البروفسور مارتن روبا أستاذ التاريخ في أكاديمية العلوم في ألمانيا
الديموقراطية والكاتب البارز الذي صدر له أكثر من كتاب حول القضايا العربية
الراهنة وهو رئيس جمعية الصداقة الألمانية المصرية ..

ونشكر السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية
على إيفادة الأستاذ أحمد عبد الرحمن المتحدث الرسمي للمنظمة والذي عبر
بكلمته عن الموقف العربي الشامل ..

وكذلك أرجو أن نقدم التحية لمدوب جهة التحرير الجزائرية الأخ خليفة
الجنيدى الذى نحتفل معه اليوم بعيد انطلاقة الثورة الجزائرية فى الفاتح من
نوفمبر ..

كذلك نقدم التحية للكاتب البريطانى كيث كايل ..

أما الزملاء المصريون الذين شاركوا بالبحث والحديث والاعداد فهم كانوا
جميعا يشكلون فريقا متجانسا يعمل على نجاح الندوة .. ولكننى أنوه بصفة
خاصة بالأخ الصديق الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل الذى كان بحق فى
موقع المسئولية من هذه الندوة وحديثه كان محل تقديركم جميعا وكان تعاونه قبل
الندوة ذا أثر كبير فى حسن اعدادها وسلامة مسارها .. وكلنا الأخ العزيز
والصديق الحميم أمين هويدى الذى قدم لكم بحثا أثرى الندوة بفكر جديد ..

والأخ عبدالمجيد فريد الذى لعب دورا كبيرا فى الإعداد لهذه الندوة .. يبقى
زميلنا العزيز وصديقنا الحميم الذى قدم من اليمن لينال إعجابكم وتصفيقكم

ومحبتكم. والذي نشكره على كلمته التي أثارت أكبر تقدير عند كافة الزملاء .
السادة الضيوف الأعزاء الزميلات والزملاء ..
مرة أخرى أكرر الشكر للسادة الضيوف ولكم على تفضلكم بالمشاركة وأثناء
الندوة بأفكاركم ولا أقول وداعا وإنما إلى لقاء قريب ..
والسلام عليكم

رقم الإيداع : ٨٨ ٤٤٧٥
التقديم الدولي : ٣ - ٠٤٨ - ١٤٨ - ٩٧٧

